مكتب عنبر للترجمة
عباس عنبر

قصة حياة
الأديبة الفرنسية

كوليت

بقلم
كوليت

ترجمة
ادمون كايتانو مايتوس

من منشورات
مكتب عنبر للترجمة ـ بغداد

قصة حياة كوليت

بقلم كوليت

تقديم : جيرمين بومونت

تم اختيار النصوص من قبل اندريـه بارينود

ترجمة : ادمون كايا نوما يتوس

الطبعة الاولى ١٩٨٥

مطبعة الامـة ـ بغداد



((كوليت)) ٣٠ سنة بعد وفاتها

الدكتور اكرم فاضل

تحت هذا العنوان نشرت جريدة « العراق » الغراء بعددها المرقم ٢٦٥٢ في ٢٤-١٠-١٩٨٤ مقالة للدكتور

أكرم فاضل فيما يلي نصها :

ولدت القصصية الفرنسية كوليت في ٢٨ كانون الثاني ١٨٧٣ في سان ـ سوفور ـ آن ـ بويزيه ، في اسرة فلاحين وبرجوازيين صغار . وقد تزوجت في عامها العشرين من الصحفي الزائف والقصصي المنتحل هنري كوتييه ـ فيلار ـ (اسمه الادبي ويلي) الذي يكبرها بأربع عشرة سنة . والذي زج بهذه القروية في عالم لم تألفه من قبل ، هو عالم الادب والتمثيل والتزوير .. والغريب ان هذا الرجل حمل زوجته على كتابة مذكرات طفولتها ودفعها الى المطبعة لتظهر موقعة باسمه ، وكان عنوان هذه المذكرات (كلودين في المدرسة) وقد طبعت عام ١٩٠٠ ، وبعد طلاق كوليت من هذا المشعوذ عام ١٩٠٦ عملت كوليت في صالات الموسيقى ولا سيما في ملهى

(مولان روج) ٠ وفي عام ١٩١٢ تزوجت كوليت من هنري دي جوفيه كبير المحررين في صحيفة (لهماتن) حيث نشرت أقاصيص وحكايات ٠ ولكنها طلقت مرة أخرى عام ١٩٢٤ ، وتزوجت من موريس كودكيت ، وفي عام ١٩٣٦ ورثت كرسي الشاعرة آنا دي نواي في الاكاديمية الملكية البلجيكية ٠ وانتخبت عام ١٩٤٤ لعضوية أكاديمية كونكور ٠ ثم نالت وسام اللجيون دونور ٠ وتوفيت في ٣ آب ١٩٥٤ وشيعت تشييعا رسميا مهيبا محفوفا بالتكريمات التي هي أهل لها ٠

ورغم تزوجها ثلاث مرات لم تحظ بالحب الذي كانت تهفو اليه وظلت غريبة عن باريس تحن الى قريتها التي لا تترك باريس لاجلها ٠٠ أما مؤلفاتها الرئيسية فهي : سلسلة كلودين (٤ أجزاء بين ١٩٠٠ و١٩٠٣ ، بالتعاون مع ويلي ، أو بالاحرى بسطو ويلي عليها) ٠٠ وتلت هذه السلسلة قصص (مين وضلالات مين عام ١٩٠٥) ٠ ثم اندمجت هاتان المجموعتان في مجموعة كبرى اطلقت عليها اسم (الخليعة الساذجة) ٠ ثم ظهرت لها قصة (المتشردة) عام ١٩١١ ٠ وقصة (شيري) عام ١٩٢٠ وقصة (القمح الاخضر) عام ١٩٢٣ وقصة (نهاية شيري) عام ١٩٢٦ وقصة (مولد النهار) عام ١٩٢٨ ، وقصة (الثانية) عام ١٩٢٩ ، وقصة (جولي دي كارنيلان) عام ١٩٤١ وقصة (القبعة) عام ١٩٤٣ وقصة (جيجي) عام ١٩٤٤ ، وقصة (الفانوس الأزرق) عام ١٩٤٩ ، و (رسائل الى القرصان الصغير) عام ١٩٥٣ ٠٠ في كل هذه القصص اجادت كوليت في تصوير حياتها الاولى ٠٠ وظلت ذكرى زوجها الاول السيء التصرفات تنغص حياتها ، اذ قد احتال عليها بحيث كان يبتز مردودات كتبها حتى لو ظهرت باسمها ٠٠ وبلغ به الخبث أنه كان يدع لها ايرادات قصصها

عن الحيوانات ، لانها كانت قليلة الرواج .. وقد انغمست كوليت في الكتابة عن القطط والكلاب وفي تربية القطط والكلاب .. ومما زاد حياتها تعاسة وقوعها على زوجها أثناء تلبسه بجريمة الخيانة الزوجية مع احدى الممثلات .. صديقتها !.. وكان قد دفع كوليت الى التمثيل ليستغل جهودها ويمعن في خيانتها .. فكانت تمثل نصف عارية ، وتعود الى الكواليس وهي تتصبب عرقا وتلهث .. وقد برعت في التمثيل الايمائي ، رغم صعوبته .

ـ ومع ذلك لم تستطع العودة الى امها . ولم تستطع كذلك ايقاف زوجها المستهتر عند حده .. وقد عوضها عن شروره شر عوض هو ترك حبلها على غاربها أي ان تحذو حذوه .. وكان من أصدقائها وأصدقاء زوجها اميل زولا واناتول فرانس وستيفان مالارميه وبيير لويس وبيير لوني وكورتلين .. وكانوا مستعدين للوقوع في شباكها لو كانت هذه القروية الساذجة تحسن نصب شباك الغرام .. فلم تتأثر بأي من هؤلاء ، بل تعوضت عن حب أبناء آدم بحب العجماوات .. وقد اعجب بها كبار الادباء . فقال عنها اراغون : « لقد كانت كوليت أعظم فرنسية معاصرة » . كما كتب عنها فوترلان يقول : « ان كوليت هي اعظم كاتبة فرنسية طبيعية .. » .. وقال عنها بيير بودايفر الناقد الفرنسي الدبلوماسي : « ان كوليت هي بوق العصر وصناجة الادب الفرنسي » ..

ورغم هذه الاشادات بها ، فان الكثرة من الفرنسيين لا تتذوق أدبها ، لأنها تعتقد ان قصصها لا تعبر عن واقع عاشته الكاتبة ، وانما تصور واقعا مفتعلا غير طبيعي ، بخلاف جورج صاند التي كانت تحسن تصوير كل البيئات الفرنسية .. وكانت كوليت لا تحب الاختلاط فاحيطت

شخصيتها بغموض غير محبب واتهمت بالاستعلاء على الناس .. وكان من المعجبين بها كذلك فرانسوا مورياك . ولكن خصوم مورياك وخصومها قالوا ان هذا الاعجاب دليل على فشلها . لان اعجاب الفاشل بالفاشل هو تربيع للفشل !.. بالاضافة الى انهم ادعوا ان مورياك كاتب تقهقري لا يفكر الا بالكاثوليكية وبديغول .. وقد نصح اراغون مورياك مرة بأن يكف عن كتابة الروايات . فكف عنها مورياك زهاء عشرين سنة ، ولكنه عاد الى كتابة رواية في أواخر حياته رضي عنها اراغون ! ويقال ان كوليت كادت تلبس ثياب الحداد على نفسها عند ظهور قصة (مرحبا ايها الحزن) لفرانسواز ساغان . وصرحت يومها لاحد الصحفيين بقولها : « لقد اكتسحتنا هذه الصبية » ، وينفي بعضهم هذه القصة ويدعي ان كوليت كانت مريضة أثناء ظهور قصة ساغان الاولى ، أو ربما كانت قد ماتت !.. والواقع ان ذهنية الجيل الجديد هي التي اكتسحت فرانسوا مورياك وكوليت وغيرهما .. وسيكتسح الجيل الجديد فرانسواز ساغان نفسها ..

لقد تناول كوليت عدة مؤلفين في كتب اشهرها « كوليت بقلمها » لجرمين بومون و « صورة كوليت » لبرازياك و « كوليت » لماريا لهاردوان . و « قرب كوليت وحلاوة الشيخوخة » لموريس كودكيت و « كوليت وبداياتها » لبول دولاندر .. وغيرهم ..

وقد سألني أحد الاصدقاء عن وجود كتاب بالعربية عن كوليت ، فأجبته بأنني اجهل .. ولكن السيد عباس عنبر يمتلك نسخة من كتاب « كوليت بقلمها » بيد انه لا يأمن أحدا عليه .

على هامش موضوع « كوليت »

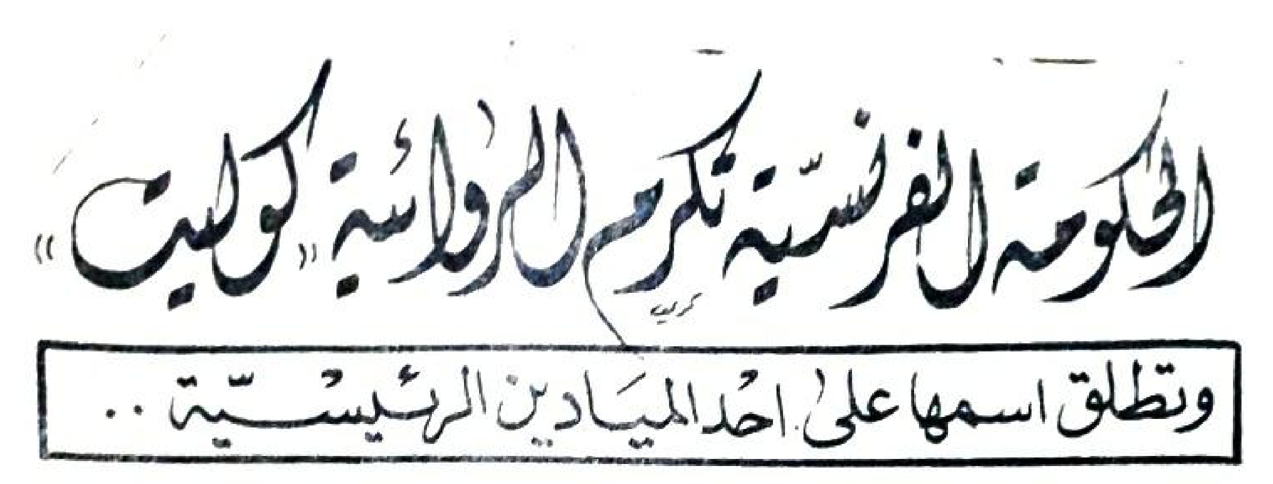
للدكتور اكرم فاضل

بقلم : عباس عنبر

عند مطالعتي لموضوع من مواضيع الدكتور اكرم فاضل المنشورة على صفحات هذه الجريدة أو تلك أشعر بأنني تناولـــت مادة من (الكيك) بدلا من رغيف الخبز المادة الرئيسية لغذاء طبقتي الفقيرة ولاجله اعتبره اليوم ابرز أديب واقعي في العراق ٠ غير اني عثرت على كلمة منشورة بعـدد جريدة العراق المرقم ٢٦٥٢ في ٢٤ـ١٠ـ١٩٨٤ في صفحتها الرابعة بعنوان (كوليت) ٣٠ سنة بعد وفاتها ـ وكانت هذه الكلمة عرضا مقتضبا لحياة كوليت التي تعتبر الاديبة الاولى في عالم الفكر الاوربي أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية وبأسفل كلمته قال (وقد سألني أحد الاصدقاء عن وجود كتاب بالعربية عن كوليت فاجبته بانني أجهل ٠٠٠ ولكن السيد عباس عنبر يمتلك نسخة من كتاب كوليت بقلمها بيد انه لا يأمن أحدا عليه) وفي الحقيقة انني امتلك هذه النسخة من كتاب كوليت بقلم كوليت باللغة الفرنسية وهو عرض لحياتها الصاخبة من ولادتها الى كافة أدوار ومراحل حياتها وكنت قد اتفقت مع الاستاذ الدكتور اكرم فاضل ان يقوم بترجمته من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية فحضر لمكتبي (مكتب عنبر للترجمة

وبعد تصفحه لهذا الكتاب الهام رماه في حقيبته بعد ان نطق بكلمة شكرا ومن ثم اعاده لي وازاء موقفه هـذا اتفقت مع المترجم العراقي الاستاذ ادمون كايتانو مايتوس الذي اشار الى اسمه بحرف (أ٠ك) بترجمة الكتاب موضوع البحث من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية بمبلغ متفق عليـه وتمت بطبعه طبعا انيقا من قبل مكتب (ياسمينه) للترجمة كذلك بمبلغ معين وقد وافقت دائرة رقابة المطبوعات العامة بكتابها المرقم ١٣٢٤ في ٢٧ـ١٠ـ١٩٨٤ على نشره ٠ اما بصدد ما ذكره الدكتور أكرم فاضـل من انني لاأأتمن احدا على النسخة الموجودة لدي فهو غير صحيح لانـي كما ذكرت سلمته تلك النسخة لغرض ترجمتها لقاء أجـر متفق عليه فأعادها لي دون ان يفي بالاتفاق ٠

هذه روايـة كتاب كوليت بقلـم كوليـت التي قـام بروايتها الدكتور الفاضـل أكرم فاضـل بصورة مقلوبـة لا تمت الى الحقيقة الرائدة بصلة وقد اشارت جريدة العراق بعددها المرقم ٢٦٧٢ في ١٧/تشرين الثاني ١٩٨٤ لهذا الرد بصورة خاطفة واحقاقا للحق وددت اثباته نصا ٠

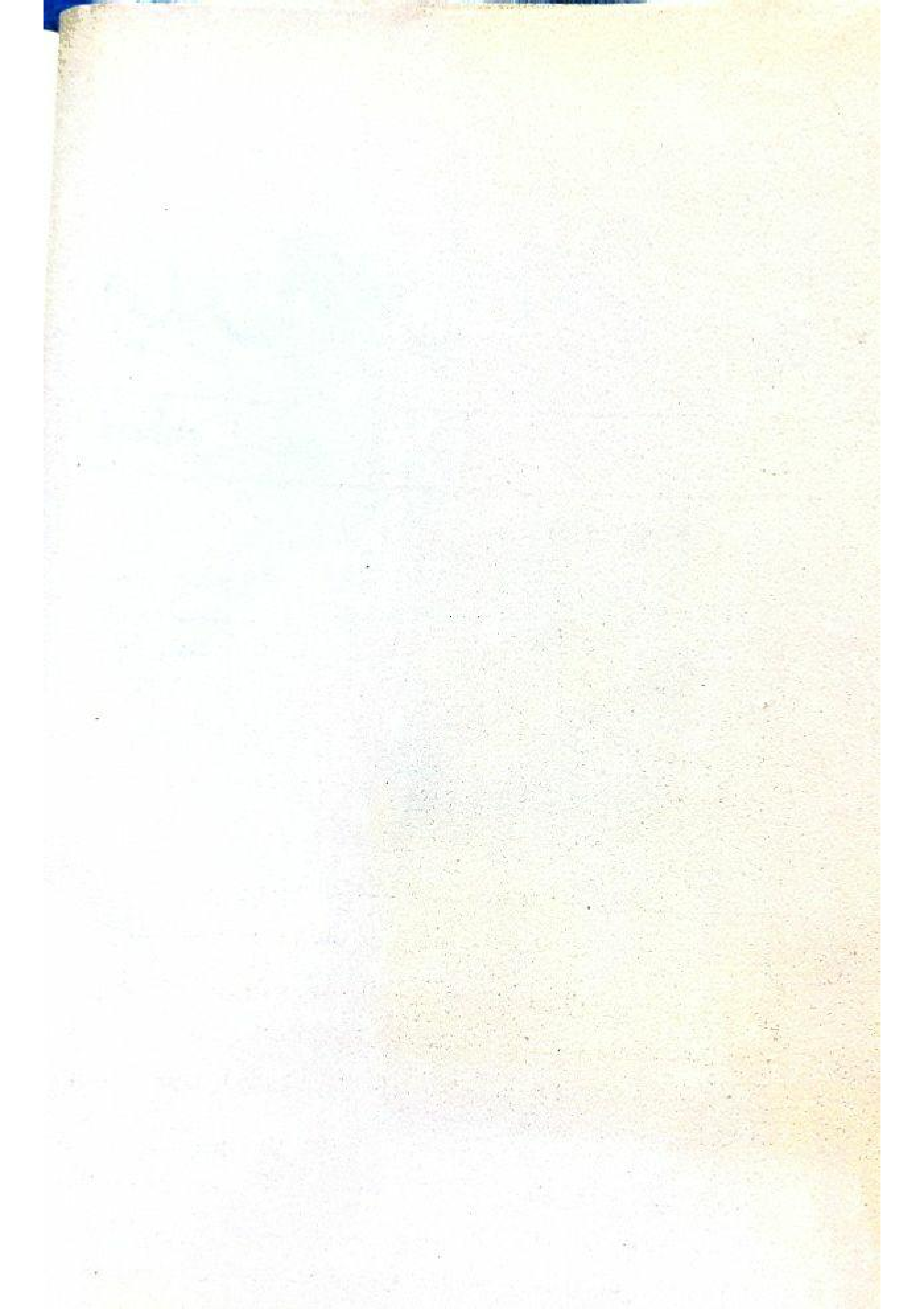




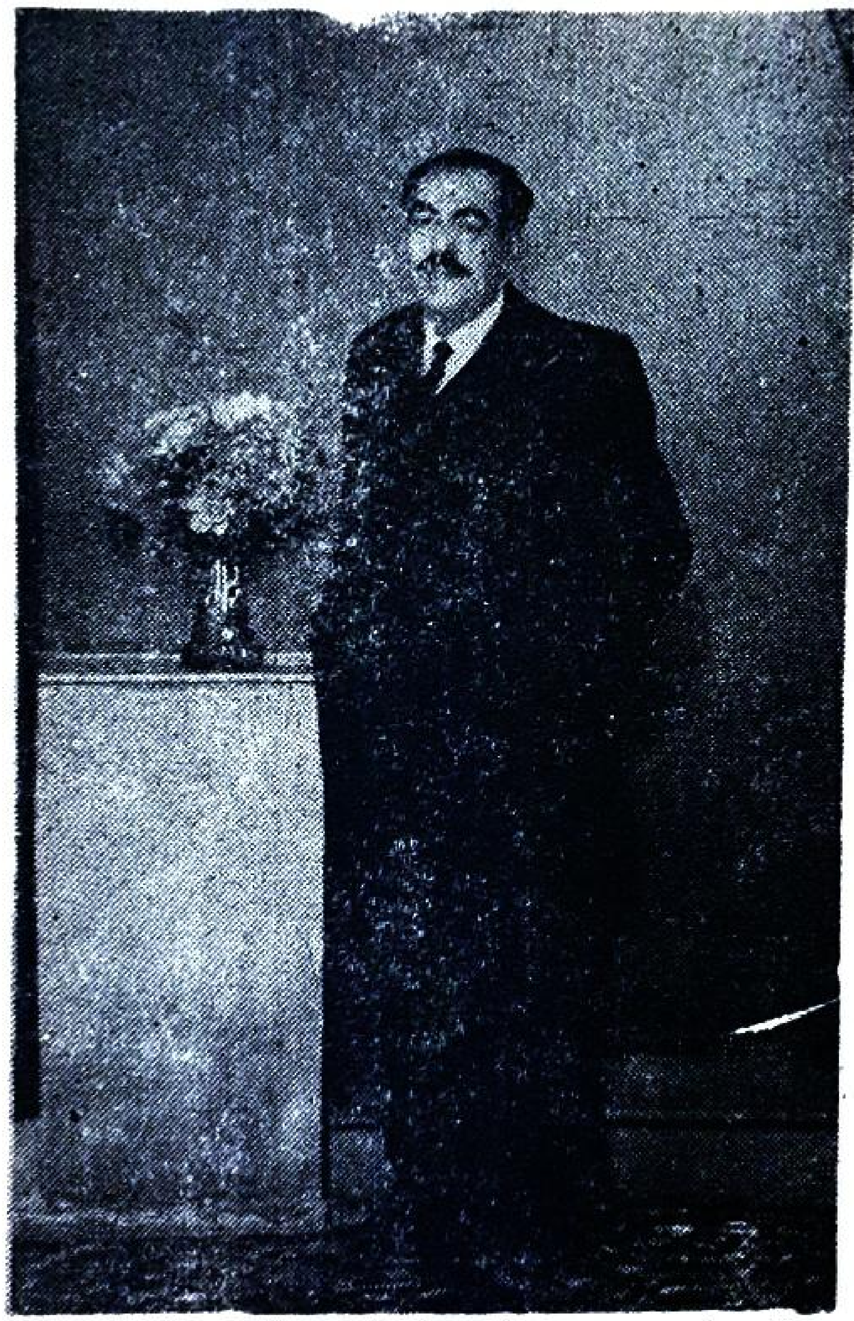
كوليت في مسرحية حلم مصر التي مثلت عام ١٩٠٧

اطلق اسم الروائية الفرنسية « كوليت » على احدى الميادين الفرنسية وذلك بمناسبة مرور ٣٠ عاما على وفاتها ٠٠ كما اصدرت المؤلفة الفرنسية « جونوفياف دورمان » بهذه المناسبة مجموعة من الوثائق التي لم تنشر من قبل عن بعض الاسرار الخفية في حياة « كوليت » وقد تضمنت هـذه الوثائق العلاقة العاطفية الاولى التي ربطت بين الروائية الشهيرة والكاتب هنري جوتيه فيلار الذي كان سببا في شهرتها اذ اكتشف موهبتها الادبية وساعدهـا على كتابة سلسلة رواياتهـا المعروفة باسـم كلودين

وكوليت أديبـة فرنسية ولدت عام ١٨٧٣ وتوفيت عـام ١٩٥٤ واشتهرت برواياتها التى تقوم فيها بتحليل مشاعر المرأة ٠



كلمة لا بد منها..



ان قلمي ليعجز عن وصف عبقرية الاديبة العالمية (كوليت) ذات النزعة الانسانية في مختلف نتاجاتها الفكرية المترجمة الى كافة لغات العالم ... هذا من جهة ومن جهة اخرى يتركز ميلي لها لكونها عاشت

في وسط عائلة فقيرة معدمة شبيهة بسيرة حياتي وكفاحي في كافة ميادين الحياة البائسة التي مررت بها . ولكونها انبثقت في وسط أدبي فرنسي تمكنت ان تسطع بنبوغها في كافة اصقاع الارض ولهذا فقد حازت على رضى واستحسان كافة طبقات بني الانسان المتعايشة في هذا الكوكب بدون ان تؤثر عليها مختلف هذه النزعات الفكرية سواء في باريس أو واشنطن أو لندن أو موسكو . نعم ان كافـة بني الانسان يزدادون عجبـا بنتاج (كوليت) الفكري على الرغم من انتقالها لعالمها الثاني قبل مدة ليست بالقصيرة اقول انها خالدة خلود زملائها ادباء العالـم كجي دي موبسان واناتول‌فرانس وهمنغواي وشلي وغوركي وتشيخوف وغيرهم من النجوم الساطعة في عالم الفكر العالمي .

ان قصة حياتها كما كتبتها هي بقلمها ذات نكهـة عاطفية رطبة بالنسبة لشباب اليوم المتفتح لطالعة الادب النسوي التقدمي الذي سحق التقاليد الرجعية البالية باحذيته .

عباس عنبر

كوليت ...

تقديم « جيرمين بومون »

تعرضت حياتي الى كافة المفاجات التي يمكن لاي انسان ان يتعرض لها ولكن مع ذلك فانها كانت متميزة – لقد تعرفت على كوليت ! . لقد حالفني الحظ ومنذ سنوات عديدة ان أعيش بالقرب منها أو على الاقل في ظل اشراقة عبقريتها وحرارة صداقتها .

ان الشرف العظيم الذي اتمتع به اليوم والذي يربط اسمي باسمها لاعبر عن بالغ تقديري لها يجعلني ان اقدر أهمية شرف معرفتها والصدى غير المحدود لهذه المعرفة بها . كنت افكر بان هذا الشرف الكبير يتطلب مني عبودية وبأن ذلك هو قسمتي أو انه جزء من مخطط ما حسب الطرق التقليدية وبانه سيسلبني حق التصرف الحر وهل يمكنني ان اسمي « تصرف » التعبير عن أفكار ثابتة ؟. أليس ما اكتبه اليوم حول هذا الموضوع هو ما كتب قبل فترة طويلة وبأني لست مثل هؤلاء البخلاء الذين ما يكادون يلمسون جواهرهم وقطعهم الذهبية حتى يعاودوا ذلك من جديد؟ وبعد ذلك كيف يمكن ادخال مثل هذه النابغة في اطار حديدي مثل اطار مقالة منضدة . كيف يمكن القبض على وسجن تلك التي لا يمكن الحد من حريتها ؟ ان ذلك مثل من يحاول ان يضع غيمة في اطار دائم أو ان يجعل



الدار التي ولدت فيها كوليت

الطير يغير مجال طيرانه الاعتيادي أو ان يجعل الينبوع يسيل في غير منحدره الطبيعي !. كوليت لا تخضع الى اساليب معينة أو الى صيغة معينة أو حتى الى تعاريف معينة . لا يمكنني ان اقول شيئا سوى ما اظهرته لي

بمرور الايام والظروف الطارئة وما هو غير متوقع من امور الحياة . ان كوليت متغيرة دائما فتراها تارة برداء بلون نور الشمس وتارة أخرى برداء بلون نور القمر ومرة أخرى بثوب ثقل الحياة .

كوليت تعيش في كوليت مس حركة النجوم في الافق . كوليت ابنة المدينة وكوليت ابنة الحقول ، وكوليت ابنة البحار . كوليت المندفعة ومع هذا فانها كوليت الرزينة في أعمالها والهادئة في تقبل الراحة المفروضة عليها . كوليت لا تشبه أحد ولا يشابهها أحد . انها كوليت التي تنظر دوما الى الجميع بنظرة متجددة والتي لها حكمة فطرية ليست مثل الحكمة التي يمكن الحصول عليها من دراسة الكتب ولكن الحكمة التي تنبع من أعماق الفرد ـ حكمة شبه بدائية ولكن لا تخطيء الا في القليل من الحالات ـ حكمة بدائية تغذي طريقة تصرف فريدة لا تتوافق مع أي عهد أو اي اسلوب . تصرف فرح للعهد الحاضر نموذج للايام القادمة وشهادة على الحيوية النشطة والمباشرة والمستديمة للغة الفرنسية .

في الحقيقة انه من غير الممكن لي ان اتكلم بصورة علمية عن كوليت بل أستطيع ان أتكلم عنها فقط حسب ما يمليه علي قلبي ، مثلما كانت الصدف تضعني بجانبها عندما كنا نتمشى سويةوانا كلي آذان صاغية لكل كلمة تتفوه بها والى ملاحظاتها الرقيقة واللطيفة التي توحيها اليها مصادفات الطريق والتي كانت بالنسبة لي تضيف الي كنوز حياتي !

ان بعض الصفحات لا تكفي أبدا ... يلزمني مجلدات حيث تضاف الى الصور الجديدة مئة سمة شخصية معبرة وهل يمكن الاختيار بين هذه السمات وهذه الصور ؟ . قبل ان اتعرف عليها كنت اعرف عنها كل ما كانت تقصه لي امي عنها حيث كانت صديقتها ... والتي حسب ظني كانت أقاصيص بسيطة جداً وبشكل لا يجعلها تنطبق على شخصية

غير اعتيادية مثل شخصيتها . هل من الممكن ان يتكلم المرء عن كوليت بكلام اعتيادي ؟ لقد كنت بسن يجهل التأكيد والمغالاة وكنت اطير من دون ان تلمس رجلي الارض في عالم غريب من الحروف .

بعد ذلك وفي صباح أحدى الايام علمت بأنه يمكنني ان احمل بعد ظهر اليوم التالي رسالة الى كوليت التي كانت تسكن آنذاك في شارع كورنتبرت . وما زلت اتذكر الحمى التي سرت في جسمي . هل ساكون اهلا للقيام بهذه المهمة ؟ هل سأتوصل الى طريقة لتقديم نفسي واظهار ذكائي والتعبير عن اعجابي ؟ هل سأتوصل خلال بضع ساعات من بناء نوع من القصور الخيالية حيث سأكون في ذات الوقت سيدة القصر والقنطرة ـ الكنيسة والبرج ؟

كان فستاني الصوفي الازرق بياقته البيضاء يثقل علي بتحشمه . كنت احسد « استر » على عطورها وعلى معجبيها وعلى كراسيها المحمولة . لقد كانت المسافة قريبة بين البيت والاخر ولكن عندما حان الوقت ثقلت خطاي أكثر فأكثر وكانت بعض الواجهات في الطريق تبين لي شحوب سماتي .

ومن ثم وجدت نفسي أقرع بابا وامر تحت القبة لانزل درجا على جانب حديقة لاصل الى دار صغيرة على الطراز السويسري تغطيه النباتات المتسلقة . وعلى العتبة وجدت (كوليت) تسبح بانعكاسات الاشجار . اخذت مني الرسالة وقرأتها ثم غمرتني بنظرة ثاقبة ثم قالت لي بكل بساطة « يا ابنة (آني) لقد وصلت في الوقت المناسب . سوف تساعديني على تنظيف الفاصولياء الخضراء لكي أقوم بتعليبها » .

بعد لحظات وجدت نفسي جالسة مقابل (كوليت) في مطبخ شبه ريفي بين حاويات زجاجية فارغة وأمامي هرم من الفاصولياء الناعمة جدا

بينما كان الماء في الوعاء يغلي فوق نار الطباخ الهادئة !

اما قصري الفخم الخيالي فلم يبق منه غير تراب بددته رياح الواقع . وهكذا انتهت تصوراتي وعالم الحروف الذي كنت اسرح فيه . لم تقل لي (كوليت) أي شيء ولم اشعر بأي ارتباك أو بأني محقرة ، أو ان أملي قد خاب ، ولكن مثلي مثـل ذلك الشخص الذي كان ينظر الى الحيـاة بمنظار دون ان يثبت عدسته وفجأة يرى الامور بوضوح لانه وجد بؤرة النظر الصحيحة !

هذا ما كان علي التوصل اليه : الى البؤرة الصحيحة لان (كوليت) هي كذلك .. فهي انسانة تفكر تفكيرا صحيحا وتنظر بنظـرة صحيحة وتسمع باذنهـا . تلك الاذن الموسيقية البديعة بصورة صحيحة . انـي والكثير من مقربيها وأصدقائها مدينون لها باحترام ما هو صحيح وعدم الثقة بكثرة الكلام وقلة المعنى والمخاتلة . اني مدينة اليها في اختيار الدقة على المجاملة .

ان الفلاسـفة يتوصلون الى معرفـة انفسهم أو على الاقل نأمـل ذلك عـن طريق التفكير والاستنتاج . ولكـن (كوليت) بفطرتها واني اعظمها عندما اصفها بانها فطرة حيوانية ، تعتبر لبوس الحضارة باطلة ولا تعتقد بأن اللف والدوران ولا الغش والخـداع ضروريان للتفكير أو ترجمة الافكار أو ما تحبه أو ما تراه . يجب عدم اتهامها من هذا بالمادية المحضة من دون اندفاع روحي . ان المادة جميلة كما ان كل كائن حي وكل ما يتنفس أو يعبر أو يسكت أو يقبع في مكانه المعين هو جميل حتى الصخر والقواقع والنباتات والحيوانات . كانت (كوليت) ترى كل ذلك بعيون ليس لأي منا حدتها ! وتحدد معالمها وتترجمها بعبارات لا يمكن لأي عبارة لحد الان ان تجاريها بصدقها التام .

ويقال عنها انها شاعرة ، تلك التي هي جوهر الشعر ... تلك التي هي كلها ايقاع وصدح موسيقي ، يكفي بأنها تمر عبر كلمات جميلة لا تحصى نحـو الكلمات التي هي فقط حقيقية لأن ذاكرتها تملي عليهـا الضبط الفني .



أول صورة لكوليت



ليس بدون سبب تحتفظ (كوليت) في مكتبتها وبجوار « بلزاك » وبجوار « مسرح لابيش » العدد الكبير من الكتب المهنية الصغيرة « روريت » التي تهتم بالمهن . لقد كانت كوليت نجارة وعاملة زجاج وعاملة خزف وحياكة ممتازة . وكما تعرف كيف تختار كلماتها كانت تعرف كيف تختار عددها والتي أقول عنها بأنها كانت تختلقها وتحسنها تدريجيا الى ان تجعلها فعالة الى أقصى حد .

لم أكن اعرفها منذ زمن طويل ولكنها كانت تصطحبني الى « البوس » الذي لم يكن في حينه مكان موعد لرفقة طيبة ولكنه كان بلاج خرب كدس عليه مد القدر حطاما لا يمكن الا للقليل معرفة قيمته !!



تحت نسخة من هذه الصورة التي تبين العبارة « كوليت بعمر سنتين » بدون غش شهادة الميلاد ! كان عمري ثلاث سنوات · ارجو الاعتراف بان ذلك لا يظهر على ·

عندما كنت اسرع الى هذه كالطائشة كانت (كوليت) تحد من تحمسي وتقول لي : « احذري من الاشياء التي لها شكل قبيح » · ولتوضح هذا الكلام القاسي رمت على قطعة من الحديد سكين بعدة رؤوس كنت ..طيتها اياها لتوي · هي التي تحب السكاكين ذات الرؤوس المتعددة ، بينت لي بأن هنالك شيء ما غير صحيح ويصعب التصرف بالسكين مما يجعلها مقززة للعين وخطرة عند الاستعمال · وهكـذا كانت تعلمني بأن مجال المتطلبات الصحيحة يتعدى مجال المصطلحات ويشمل حتى الاشياء الاعتيادية ويشمل في الواقع كل ما يمكن ان تلمسه اليد أو ترفعه أو تستعمله . الفنجان والكأس والمسطرة والسكين ومنفضة السكائر وقلـم الحبر والمقص !! وكل ما له كثافة أو وزن أو سمك ! لم يكن للانسجام في البيئة التي توصلت اليها كوليت أي مصدر آخـر · ان مظهر البذخ الذي كانت تمليه الاشياء التي كانت تملكها نابع من الكمال وليس من

السعر . ونفس الشيء يمكن ان يقال عن التحفيات الزجاجية التي كانت تجمعها ـ كانت أشياء لا تمل العين منها وتفرح القلب وكانت تحيط بها مثل فقاعات الصابون التي تسر وتسحر الاطفال . واذا كان من الضروري للتهرب في بعض الاحيان من رتابة الايام لبس نعال من الزجاج مثلا فيجب ان يكون النعال قد صنع بيد عامل ماهر ، وهكذا الامر بالنسبة الى كل ما يساهم في جعل الشيء مفيدا ومسرا ، فالمكتبة مصففة فيها الكتب بصورة منتظمة وسهلة المنال والارائك بعلو مناسب وعمـق مناسب والطاولات متوازنة .

لقد تعلمت أثناء قضائي العطلة مع كوليت في « روزفين » (الملك الذي كانت تمتلكه آنذاك في بريتاين) بأن وضع غطاء على الركبة أثناء ساعات العمل وبعد تناول الطعام هو مصدر للشعور بالسعادة والرفاه وبأن العمل الاجباري يفقد ثقله باستعمال مصباح « ضياء النهار » وبان نسخة ورق ملونة بلون أزرق أو أخضر تريح العين المتعبة من وهج الورقة ذات اللون الابيض . ولنفس السبب وبالنظر لنفس الاعتبار بالنسبة الى الحواس التي تعرض أحيانا الى تجارب لا جدوى منها أو خاطئة تبين لي بان منظر ما خاصة منظر بحري يتطلب اطاراً يحدده وبأن فتحة كبيرة على السماء والماء تسبب الانشراح بقدر ما تسبب ألما في الرأس وبأنه يجب أخذ الجمال بجرع صغيرة مثل ما يؤخذ اي علاج توازي فائدته مضاره .

بالاضافة الى ذلك تعلمت طعم الخبز المعجون جيدا وطعم المشروبات التي تؤخذ بالحرارة التي تناسبها وطعم الفواكه الناضجة في موسمها التي لم يقدم موعد نضوجها وموازنة جرعات الشمس والظل للجسم الضعيف أو المتعب .

وكما هو الامر بالنسبة الى كافة المهن كنت الاحظ (كوليت) وهي

تقرأ كراريس « روريت » ويمكن ان اؤكد بان الكلاسيكيات حول إيصال التدبير المنزلي الى درجة الكمال لم تترك أبدا الرف فوق سريرها وبأنها تتمتع دون ان تتحرك بالتجوال في متاهات « الدار الريفية للسيدات » .
لا يمكن للسيدة (ميليت روبينت) ان تنتقد دور وشقق (كوليت) والتي قامت بترتيبها في « اوشي » و « الشانزاليزيه » و « الباليه رويال » .
ولا يمكنها انتقاد ترتيب السراديب أو الدواليب أو الغرف أو قوائم الطعام التي هي بسيطة ولكن في نفس الوقت ممتازة .

ان هذه المرأة ذات العبقرية في معرفة كيفية العيش بانشراح لايمكن ان تلقى من يمكن انتقادها ومن يدري فقد يكون هنالك من يطريها .

كوليت علمتني أيضا على نبذ كل ما هو فارغ ابتداء (بالفجل) ووصولا الى الكلام وكل ما هو سطحي أو تافه أو متسرع أو الاطعمة المطبوخة على عجل أو تناول الطعا م بسرعة من أجل الخروج بفسحة أو التمادي غير العقلاني في الممارسات الرياضية !! لقد علمتني أيضا على الاقتصاد في صرف الطاقة وهي التي يتهموها بالكسل علمتني ان اقدم العمل على المتعة . لقد لاحظتها وهي ترفض المشاركة في سفرة لصيد السمك أو التفسح على ساحل البحر لتبقى معتكفة ومتأملة في أعمالها الصعبة مفتشة هنا وهناك الى ان تتوصل الى غايتها . وأخيرا رأيتها منزوية في الدار التي هي أشبه الى الكهف غارقة بين أكداس الاوراق الزرقاء التي كانت تتوجها لعناوين خالدة مثل « نهاية الحبيب » « الحنطة والاعشاب » وكافة الكتب والمذكرات والقصص الغرامية التي تنافس بعضها البعض بالكمال .

لقد علمتني كوليت أيضا أسماء أنواع لا تحصى من الورود فقد كانت تشارك أمي في علم النبات المختص بالنباتات الريفية التي تنمو على حافة

الطريق أو على سفوح التلال أو بمحاذاة الجداول . لا اذكر أبدا بانها كانت تعتبر ذلك ومن دون ان تقول لي شيئا بانه عمل طائش شبيه بالسرقة !! كانت تذكر لي أسماء الاعشاب البرية وأسماء الحشرات التي تجوب الحقول وتعلمت أسماء كل ما يطن أو يركض أو ينسل أو يطير أو يزحف أو ينقل اللقاح أو يمتص رحيق الازهار أو يثقب الارض وكل ما له قرن أو قوقعة وكذلك أسماء الفراشات بأجنحتها البديعة وأسماء النباتات البرية .

كنا نذهب سوية الى قصر منسي وراء أشجار عالية داعبتها الرياح البحرية ونصل الى الجدران الرمادية المزينة بورود النباتات المتسلقة البرتقالية اللون ونمر من خلال الساحات التي طوحها الدهر والتي تقودنا الى حديقة حيث نرى صاحبة القصر البسيطة تنادي على دجاجاتها بعرض حبات الذرة في الصينية التي كانت يوما ما جديدة . عندئذ أراد الكلبان (وكان اسمهما بلود وباتي-باتي) ان يتعرفا عن قرب بالدجاج ثم ارادا التقرب من السيدة التي كانت ترتدي بدلة العمل السوداء وقبعة القش . بادرت (كوليت) بصوت لا يرتفع أبدا عن مستوى الكلام العادي الى مناداتهما ، واذا لم يطيعا كانت تذكرهما بسوء أعمالها الماضية وكان ذلك كاف لأن يذعنا اليها وان يرقدا بالقرب من قدميها .

ان هذه القابلية للتفاهم مع الحيوان الابهم يمكن ان تقارن بالسحر اني لا أعتقد بان سيطرتها على الحيوانات هي نتيجة للترويض أو القهر ولا عن طريق فرض السيطرة بصورة مغناطيسية ولكني أعتقد بان ذلك كان يحصل بتفاهم عميق وبالفطرة . بكلمات الغابة التي توحى ولا تقال والتي تنتقل مثل ما تنتقل الريح من ذروة الى ذروة أو تنتقل على الارض وتظهر تارة أو تتشتت ـ شيء ما لا يمكن للانسان ادراكه ولكن مع هذا فانه شيء خاص بالسحرة أو بالاناس الذين لهم ادراك عميق !!

لقد ادركت قابلية (كوليت) هذه عند بداية الحرب الاخرى عندما قمنا بزيارة مأوى للكلاب البوليسية التي كانت تحت التدريب ··· في اول الامر ثارت الكلاب وصارت ترمي بنفسها على السياج ، وعندما سارت (كوليت)في الممر هدأت تلك الكلاب الهائجة !! وكان ما كانت تقوله لهم وبصوت هادىء ما هذا ؟ ما هذا ؟

بين أجمل الصفحات التي كرستها (كوليت) الى الحيوانات (وكيف يمكنني ان اختار بينها) نجد في كل حين وعن طريق الكلام الهادىء والتعبير المتواضع اعتراف بهذه القابلية الفريدة · ان ذلك يزداد وضوحا بالنسبة الى القطط · اني احتفظ بصورة خاصة بصورة متميزة هي تلك التي ظهر فيها وهي شبه متمددة على السجادة وهي تلعب مع فرخ نمر والذي كان يستجيب لها حين تناديه بأسم با ـ تو ! من كان يتقاسم مع (كوليت) خضوع هذا الحيوان الوحشي ؟ شخص قاهر ؟ بالطبع لا ··· كانت فتاة صغيرة تقوم بالاعمال البيتية اسمها فرجين ·· وعندما كانت (كوليت) غائبة فان با ـ تو كان يرمي نفسه عند قدميها بكل رغبته ويموء مثل القطة ولما كان هذا المواء الذي ينافس خرير ماكنة قوية يزعج فرجين عندما كانت تحلم بأحلام اليقظة أو تعمل كانت تضع الكشتبان على انفه !! باتو الذي لم يكن يخضع الى أي انسان آخر والذي كان يخيف ساعي البريد واللذين يجلبون ما يطلبه أهل الدار من طعام والمارين في الطريق والكلاب في المحلة توجب عليه سلوك الطريق الى حديقة الحيوانات يرافقه شخصان فقط ـ اثنتين من النساء تجرى الدموع الغزيرة من عينيهما اثنتين من النساء لم يخدشهما هذا القط ـ النمر بأظافره أبدا ·

ان علاقة كوليت بالسنجاب بيتي ـ ريكي، كانت أقل خطورة ولو ان « بيتي ـ ريكي » كان شرس أيضا · لقد عرفت « بيتي ـ ريكي » لفترة

قصيرة جدا ولكن مع هـذا ما زلت أتصور كيف كان يتنقل بين طيـات الستارة وكأنه شعلة من نار في الدار الواقعة في شارع كورتانبير .

ان هذا المخلوق العجيب الذي كان يقضي وعلى حساب راحة أهل البيت ، معظم أوقاته بين الحلقات الخشبية في أعلى الستائر . كان يقوم بأكل الفاكهة بطريقة فريدة بحيث ان شكلها الخارجي لا يتغير أبدا .

لقد وصل الحال بان محاولة لابعاده عن القضيب الذي يحوي الحلقات الخشبية كانت تسبب ضوضاء لا تطاق . نعم كان من الممكن تبديل الحلقات الخشبية بأخرى معدنية ولكن السنجاب لا يعجبه ذلك ، أو كان من الممكن وضع السنجاب في قفص ولكن كيف يمكن حبس السنجاب .. أخيرا حلت الطبيعة المشكلة التي لم نجد لها حل وذلك بقدوم سنجاب « انسة » في الحديقة القريبة وتسحر بيتي – ريكي وتغريه للعودة الى حياة الطبيعة ولكن لم يغادر قبل ان يقدم خطيبته الى (كوليت) . في احدى الفصول أخذ الاثنان يدوران حول الدار ولكن الحب تغلب عليهما أخيرا ووضع حدا نهائيا للعيشة السهلة التي لم تكن تصلح لهما .

كنت اعلم الكفاية عن احد أساليب كوليت الموسيقية ، ربما كانت اتباع ايقاع موسيقي داخلي والاعادة في مقطع مثل « سوناتا فنتسي » التي تحمل (كوليت) على الارتخاء وعيناها مغلقتان ولكن غير نائمتين ولكن علي ان اضيف بان هذا السكوت كان لا يشابه أبدا انطواء العبقريين فلا يوجد شخص يفكر بالعبقرية أقل من (كوليت) . لا يوجد شخص يتشدد على نفسه أو أكثر رغبة بالحصول على اراء مثل هذه . وبالضبط يجب ان لا نتردد أبدا فنلاحظ انها كانت خجولة .

عندما قدمت (كوليت) الي للمرة الاولى ورقة زرقاء مملوءة بكتابتها ومزينـة على الجوانب بصـور الحيوانات والورود وطلبت مني قراءتها

واعلامها اذا كان ما كتبته لا باس به ، تصورت بأنها لعبة . ولكن القلق الذي كان باديا على وجهها سرعان ما بدد هذا التصور . قرأت واحدة من أجمل صفحات الكتاب « الحنطة في الاعشب » لم أجد بدوري ما يمكن ان اعبر به عن اعجابي سوى نظرة ، وعندئذ قالت كوليت « جيد لقد اطمانيت هيا لنذهب نلعب » .

اللعبة في ذلك الموسم كانت توصلنا الى أسفل القرية « سنت كولومب » حيث كنا نشتري من فرع الشركة « ماهي - كيلبرت » (للنسيج) الملحقة بالمخزن المحلي امتار عديدة وعديدة من القماش الحريري لخياطة ثياب للنوم التي كانت أنيقة . صحيح انها جميلة ولكنها غير محددة الشكل والتي كانت مطرزة حول الرقبة (مربعة) والردن بكشاكيش محاكة بالصنارة مع شريط حريري بلون متناقض .

ان التناقض كان يشغل بالنا كثيرا حيث يجب ان نجد ما يتوافق بين هذين الحدين المتناقضين : الاناقة والابتكار . اللون الازرق على الوردي والعكس بالعكس . ان القماش الحريري نفسه كان لا يتقبل هذه الفكرة السهلة مثل تجاور السواحل التي ينطلق منها الكثير من البحارة نحو الجزر ، كانت مصدر انشراح مع البيت الام الذي كان يزود هذه القرية ببعض البلابل اطلقت من بعض المدن وهكذا كانت الالوان دائما مفاجئة بعد ذلك كانت مسابقة بحق وحقيقة لاكمال الثوب بأسرع ما يمكن بعد ان فشلنا بصورة مخزية في الخياطة وحاشية الثوب التي تسند الزوايا ومهما عملنا وبالرغم من المحاولات العديدة لتغطية جهلنا التام بالفصال فكانت الثياب تتدلى من كل جهة . « هذا غير مهم » كانت تقول كوليت « سوف نبقى نائمين ولن يروا سوى الجزء العلوي » .

وحقيقة فان الجزء العلوي كان يحقق آمالنا والغسيل الاول كان يلين الشكل ويكمل الغسيل الثاني ذلك .

وكانت نساء بارب ـ بلو وعلى السقف تريد مثل هـذه الطريقة للارتخاء ان جلسات الخياطة المزدحمة كهذه لا تجري بهدوء الاديرة ٠ ومن لا تخيط تقرأ ٠ وكانت نشرة « بتيت باريسين » مصدر انشراحنا طوال الصيف وكانت تكتب كثيرا عن مصائب نبيل شاب اسمه « هوبير » كان اهله يمتلكان قلعة بديعة ولا تقل عدد غرف الاكل فيها عن اثنتين . ان هذه القلعة بالرغم من ابهتها كانت مرهونة لغـاية الاعمدة التي كانت تسند داخل ابراجها مما اجبر هوبير على هجر فتـاة فقيرة كان يحبها ليتزوج من فتاة غنية ، والتي جعلها ترى الهول والموت قبل ان تموت بالتسمم بصورة مجهولة ٠ ودون ان يعلموا اذا كانت قد عضت لسانها أو انها في لحظة سهو تناولت صحنا كاملا من الفطر السام !

لقد كنا نبكي من كثرة الضحك ، كما كنا نساهم في بعض الاحيان في لعبة استوردها وابتكرها (ليبولد مارشاند) وكان على المرء ان يملأ كلمات نعت مقترحة لا على التعيين في فراغات تتخلل قصة بسيطة جدا . وهكذا عند تحشية القصة تصل الى درجة كمال « لوتر يامونت » وفي بعض الاحيان الى درجة الكابوس ٠

ليسمعني الجميع ـ لتبدأ ليو ٠ اني سأبدأ ٠٠٠ كنا نسير تحت مطر نازف ممزوج بالكرميلة ٠٠٠

ـ ليو انت تختلقين الامور ـ قالت كوليت

ـ لا يا سيدتي لا ـ اني لا اسمح لنفسي بان اختلق شيئا

ـ خذي الورقة منها ـ امرتني كوليت

ولكن الحق يجب ان يقال بأن ليو ما كانت تختلق شيئا وهذا ما اكدته أنا لها ٠

ـ « طيب » قالت كوليت « لنواصل » ٠

– ··· عندما وصلنا الى دير مزاح · عرضت علينا الخادمة التي كانت متعفنة جدران غوطية مع كأس ماء مشبع بالكافور ··· ·

لعبة أخرى كانت بأن تقوم ليو باقتراح التعريف بأشخاص تسميهم هي وهذا يقود الى أمور سخيفة !



صورة « كوليت » وعمرها خمسة سنوات

طوال صيف كامل اطربنا « فرنسيس كاركو » باغان منوعة من الفولكلور الى اغاني « بات داف » ومرورا « بالقطة السوداء » .

في كل سنة تقريبا اعود الى « روز فن » كان سحر مرور كوليت



صورة « كوليت » وعمرها ٧ سنوات

فيها قد جعل من هذا المكان مكانا لا يتغير ابدا وكنت أجد كل شيء في

محله . من « مينكا » لغاية النقطة المتحجرة التي تفصل بلاج « روزفس »
عن بلاج « القواقع » يمد البحر رداءه الحريري الاخضر أو الازرق . وهناك
نفس المراكب الشراعية تشق السماء والماء بأشرعتها . . . كل ما هو متواجد
في هـذا المكان يضمن لي بأن نمط كوليت هـو بخدمة ملاحظات جديه
للطبيعة . لوتي كان ينقل وصف ما يراه ملونا اياه بالحنين في أعماقه .
ولكن ما كانت تقوله كوليت هو حقيقي . . . حقيقي في ألوانه وكذلك
بالنكهة الخاصة النابعة من تلك التي كانت تعرف كيف تتنفس وتتذوق
وفي نفس الوقت كيف تنظر ، وكيف يكون الامر بخلاف ذلك !

رأيتها عـــدة مرات وهي تشم أولا ثم تضع فاكهة ما بين شفتيها .
كم من مرات رأيتها تجس جوزة لتتأكد من أنها ناضجة وما زالت مليئة
بحليبها ثم تفتحها بأسنانها .

كان الخريف يغطي ذراعيها الاملسين الممدودتين بين الاعشاب باللؤلؤ
لم ارى أبدا على هاتين الذراعين أي أثر للتخدش بفضل شجاعة ووداعة
حركتيهما وبهذا كانت تظهر الطبيعة المفضلة رعاية خاصة مثـل ما كان
(بان ـ تو) يظهرها لها .

في كتبها الاولى وفي « كلودين في البداية » ـ كم هو سهل ان نفصل
الحقيقة الاساسية للنص بتاثير غريب وان لا نبقي في ذهننا سوى صورة
ابنة « سيدو » وهي تعدو في الغابة وتقفز من فوق الجداول . هنا أيضا
نعلم من الصورة ومن الفلم بأن ما قالته كوليت عن بلدها الام وعن بيتها
هو الحقيقة حتى من دون تنقيح شاعري للذكريات . ان الشعر ليس فنا
جاء متأخرا الى كوليت ليغني انتاجاتها . انها كانت دائما تلاحظ وتدرك
شاعريتها وتبقها حية كالورود التي تعتني بها . . منذ طفولتها كانت بعيدة
عما هو مبتذل وتنفر من كل شيء يصبح هينا بسرعة ـ من القرميد القديم

ومن الصباح . كانت حقا ابنة هذه الام الفريدة أيضا بادراكها الفطري للحقائق المهمة وعطفها المبرر وشعورها العميق بالطبيعة . الم تكن (كوليت) الطفلة التي رفعت الى الاعلى فن سبق وان تضمنته الرسائل المشهورة لنبات الصبير والطفلة التي تتكلم دون تكلف عن كستناء الماء وعن منحدرات من الحصى تربط مدينة صغيرة بالبراري التي تحيط بجدرانها القديمة وعن جسور من جذع الشجر والتي يمر الماء مسرعا من تحتها . ان الشعور البديع بالطبيعة الذي يجعل اعمال (جورج ساند) تفوح برائحة زكية وتتشح بالخضرة نجده بصورة اعمق وأكثر تركيزا ومباشرا لدى (كوليت) .

انه من الفريد حقا بان نتعلم أشياء كثيرة هكذا دون اضافة ذكريات الدروس . اما بالنسبة الى النصائح فهي الوحيدة التي تسرف فيها .. صداقة كوليت هي من النوع الذي يجمع بين البهجة وما هو عملي . الم تقوم بكتابة كتيب ! الكثير من النساء والكثير من الرجال يستطيعون استشارته والحصول على نتائج طيبة . يجدون فيه المصل المضاد الذي تطلبه انسانية عديمة الصبر وضجرة من كل شيء وغير قادرة على الخلق عن طريق ممارسة بسيطة لقوة الملاحظة والعقل وجزر السعادة في الصحة الجيدة واللجوء الى السكون والاسترخاء .

من الممكن بانه لم يصدر من أحد ما يعارض تعقل مثل هذه الاعمال ومع هذا فأني رأيت من ينفر من بساطة استقبال (كوليت) للزوار الذين كانوا يحضرون لسماع محاضرة أدبية لها وكان في صوت (كوليت) وازدرائها لكل الجمل التي سبق تحضيرها ما يثير الرهبة وحتى الارتباك في نفوس الحاضرين ! .

ان الصور التي رسمت في « كلودين » و « نحو قاعة الموسيقى » و « المتشردة » لا تظهر بوضوح للذين لا يكلفون انفسهم مشقة القراءة بأنتباه لافكار (كوليت) الثاقبة والدقيقة والحازمة ٠

اني استطيع ان اتحدث بعلم ومعرفة عن السبب لأني كنت ولفترة طويلة سكرتيرة كوليت في « ماتن » ٠ اني استطيع ان اؤكد انتظام ساعات العمل والنظام الذي كان يسود مكتبها ، وأن اتكلم عن العناية التي كانت توليها الى القصص التي تعود لهـا لانتقاء ما سينشر في « الف صباح وصباح » وكان يرتبط بهـذه الادارة الادبيـة عمـل النقد الدراماتيكي الصعب ٠ لقد كانت وبقليل من الكلمات تبين ما يجب تذكره عن عرض ما ٠ ومع هذا فان الادارة الادبية والنقد الدراماتيكي ما كانا يعوقانها عن أعمالها كربة بيت ، أعتقد بأنه في هذا الوقت ظهرت « بولين » النظرة الى جانب « فيرجيني » في الفندق الصغير في شارع « سوشيت » والتي لم تفارق كوليت أبدا والتي بقيت نظرة بالرغم من ان شعرها امتلأ بالشيب !!٠٠

مما لاشك فيه ان (كوليت) عرفت كيف تضيف الى كافة هذه المواهب موهبة تنمية الصداقات والاخلاص العظيم ويظهر لي بأني دائما كنت اسمع حواليها صدى نفس الاسماء وأن أرى نفس الوجود وحتى اولئك الذين يتغيبون فان غيابهم لم يحرمهم من مكانتهم في نفسها ٠

ان والدتي كانت دائما شغوفة (بكوليت) ومثلها كانت كلود شوفير وهيلين بيكارد وماركريت مورينو وغيرهن وغيرهن كثيرات ٠

لقد ساعدت (كوليت) كلود مورينو كثيرا ، وكانـت تحل محلي بالقرب منها في مكتب السكرتارية في « مافن » ٠ وكانت تعيش حياة فريدة

وصعبة لقد كانت عدوة لدودة للنمط الاجتماعي السائد وكانت تتظاهر بانها تعتبر الزواج المستمر والشريف نقطة ضعف · وكانت أيضا ملحدة ثم ثابت فجأة ·· كانت (كوليت) تسير بيد رقيقة وحنونة هذا المركب الذي حملته تيارات متناقضة وتقاذفته باستمرار، لقد قادتها نحو السكون·

هيلين بيكارد جلبت فجأة عاصفة هاجرة الى « ايل ـ دي ـ فرانس » لقد وصلت مرتدية السواد بسبب ترملها مؤخرا ولكنها كانت تزين شعرها بطيور حمراء حيث انها بوهيمية بالفطرة فانها كانت تنثر سيلا من الشعر في مقاطعة زوجها وكـذلك كلمات الاغاني والهندباء في المنطقة · ـ ـعه متأخرة وعنيفة كانها السحر غير ان موهبتها الكبيرة يفصح عنها مجلد من الشعر بجمال وحشي ·

ان مهزلة حياتها اليومية خذلت كل من كان يقـدر قيمتها الحقيقيه ولكن ليس بالنسبة الـى (كوليت) · فبدون (كوليت) لعاشت هيلين حياة من الفاقة والوحدة لانها لم يكن من الممكن الاعتماد عليها · لقد كانت مثل نملة في جزيرة لقالق بدون مأوى ······ اما (كوليت) فأنهـــا اجرت لها شقة واسكنتها فيها وكانت تسهر عليها وتغمرها بكل عنايـــة بالظاهر للتسلية ولكن في الواقع عناية متواصلة وفعالة وكانت تواصلهـا في اعمالها وتدبر لها امورها المادية · وبفضل (كوليت) تمكنت هيلين من خوض حياتها الغريبة كشاعرة ، والحياة الاليمة كمريضة وان تتجـــه تدريجيا نحو نهايتهـــا ·

صداقة بدون اظهار عواطف ولكن ثابتة تقدم المساعدة الرشيدة على التظاهر الفارغ · اني لا اتكلم عن ماركيريت مورينو امام كوليت الا نادرا عندما كنت اراها لاني كنت اعرف وكذلك كانت هي تعرف بان ماركريت موجودة دائما ·

لم يكن (لكوليت) طقوس المقابر ولا ذوق مظاهر الحزن ولا المناحة

التقليدية مثلما كانت لاتتقبل التحسس بالألم الذي يتحمله الكلب الاعمى او الطير المكسور الجناح . ان عطفها كان للاحياء وليس للاموات ـ كان لكل الاحياء الذين ما زال من الممكن مساعدتهم بعمل ما او بكلمة او بطريقة ما . كم من الرسائل كتبت تحت انظاري وكم من مكالمة هاتفية وكم من توصية ...



صورة سيدو بعمر ٤٥ سنة

.. ومن خلال هذه النشاطات العديدة ومن خلال جهادها النابع من القلب كانت اعمالها تتتابع . لقد بدأنا نلاحظ بان هذه الاعمال ترفع الشخص . لاشيء يمكن ان يزيد من كمال جمال الموسيقى ولكن ذلك ينبع من اشخاص ومن ظروف كانت تسمى في عصر اخر درس في الاخلاق ، وكل ذلك تولد عن « سيدو » التي دخلت التاريخ الادبي بخطاها الهادئة والوطيدة للتعبير بمعنى زاهي . انها لاتذكر ابدا اسم الله ولكنها تمارس اعمال الاحسان التي يوصي بها الانجيل وتعلق على الحياة ولكن بعبارات متزنة وبذوق بدون التطرق الى نواحيها البشعة .

« سيدو » التي كانت ترمم حبل نظارتها المقطوع الف مرة ، تارة وتارة أخرى تصعد وتنزل سلالم الدار ذات الشبابيك الخشبية الخارجية التي هي شبه مغلقة بسبب الحر ، انها تصرفات تمثل حياة اعمال مملة وسهلة ـ تلك الحياة التي يجب ان نرضى بها ، وفجأة تذهب (كوليت) لتاخذ بيدها وتقول لنا « تلك كانت امي » .

« سيدو » التي كانت تنادى اطفالها المشتتين هنا وهناك عند العصر ...

« سيدو » التي تعتني بالقطة ... « سيدو » على سلم الدرج الخارجي كصورة لها عمل كبير منذ الان وخاصة وانها سبق وان وهبت شخصين سيبقيان كمثالين : كلودين وشيري . واذا كان من الصعب تمرير الخيال في مجال الحقيقة فانه من الاصعب تمرير الحقيقة في مجال الخيال وذلك بالاخذ بشخصيات حقيقية تموت في يوما ما وتصبح منسية لتسليط ضياء نار الحقيقة الابدية عليهم . ومن دون شك فأن (كوليت) تستعد لهذا الفن الرفيع ومثلما كانت دائما عدوة لكل ما هو غير نافع فانها كانت وبدون انقطاع تفرض تجرد واقتصاد جديد وعلى نفسها أشد وأكثر فأكثر . لم تراها في أي يوم كان تكتفي بنجاح ما ولا بالمديح .

خلال فترة طويلة كنا نعتقد بانها كاتبة مدهشة لامثيل لها على هذه الارض وبانها كاتبة لها قابلية عظيمة على تفهم الفطرة والشهوات وبطريقة ما تسامحها • ربما كان ذلك هو الواقع في عصر كانت تفتش فيه في نفسها عبر مرايا عديدة مشوهة • ولكن كل ذلك سنتجاوزه عبر الطريق الذي يقود الى « نجمة المساء » و « الفانوس الازرق » ستظهر الصورة الجميلة لبعض المجتمعات والقابلية الكوميديه الكبيرة وان تنحسر عن الدراما مثلما تنحسر بعض الستائر ذات الالوان المفرحة للقلب عن اسرار الليل • في الصفحات الاخيرة من « كلودين تذهب » فان كآبة « الانسحار العاطفي » الذي قاد الى انتحار شيري اللاشعوري ومغادرة جولي وكافة حالات استسلامهما المفجع بسبب ظروف لم تذكر ابدا • ولكن كوليت لم تتخلى عن قابليتها للايضاح • علينا نحن ان نقدر بان موت كائن لا فائدة منه ، كائن لم يستطيع ان يتجاوز حبه ولم يستطع ان يستنبط اهدافاً اخرى ولا ان يمد جذوراً أخرى في الارض فانه لا يستحق الحياة • وبان يفسح المجال لاناس آخرين يمكن محبتهم آخرين ممن هم أكثر تفاؤلا في الحياة ، وهكذا تحولت (كوليت) من انسانة تهتم بالملاحظة فقط الى انسانة تعطي العبر • ولكن قوة الملاحظة الحقة هي التي جعلت « جي‌جي » ان تظهر بهذا المستوى من العبرة الاصلية التي هي السذاجة التي تكافىء •

لقد قلت بان كلودين وبان شيرى قد اصبحتا حقيقتين • اما بالنسبة الى « جي جي » فان هذه الحقيقة تصل الى الروعة •

كما كان كل شيء رائع في كافة قصص كوليت القصيرة والموجزة والبديعة لم يكن ينقص هذه المرأة الكسولة التي لها بحار فاسق يعلمها فن الارضاء وعائلة متولعة بما هو شاذ بدرجة بانها ترفعها الى مقام

العقيدة · لم ينقص شيئا سوى مثال الفضيلة · ان اعمال التصرف غير اللائق يوحي بالنجاح ولكن على حساب الشرف وبالنسبة الى جي جي لايوجد اى عار وان هذا الاعتراف البرىء هو الذي يضع فتى الاحـــلام امام مسؤولياته وهكذا تتزوج جي جي كما لو كانت القرون العريقـــة بتقاليدها البرجوازية قد حضرتها لهذا العرس ·

لكن « كوليت » لم تكن في أي وقت ما تؤكد على سيطرة الفساد ان الفساد كامن في زمن مرح ولنقل مثل زمن اهل اثينا ولكن لم يكـــن نتيجة فقط بسبب اوقات الفراغ · انها مكافأة عن ملاطفة مسرة ناتجـــة عن كؤوس الشمبانيا والذي يتضمن في الواقع القلق والوحـــدة وبؤس الروح التي تفتش عن ما هو مطلق بدون نتيجة ·

هنالك شيء ما في كوليت وهو الرغبة بعدالة اساسية ، من دون محاكـــم وكانت دائما تناضل ضد الادانة من دون استئناف للحكم مثل الاستسلام للســوء ·

ان هؤلاء الشخصيات ليسوا من قطعة واحـدة ولكنهم مكرريـــن بقابليتهم على تقمص شخصيات مختلفة « موجيس » هو ايضـاً « رينو » « ميني » التي ضاعت على طريق الرذيلة هي ايضا مستقيمة جوهريـــا مثل جي جي وتجد سعادتها بالقرب من زوجها · بالشفقة العميقة كانـت تنثر العزاء وكأنه متجسد والعزاء يوصل الى مجالات عميقة · ولكن هذا الاعتبار للاشخاص المساكين والمجروحين وهذه الرأفـــة تجاه الخاطئين والخاطئات تضع مع هذا خارج دائرتها المسحورة المخالفين لقوانين معينة في المنفى · ولكن هنالك شخص ملعون في اعمال (كوليت) وهــو الامرأة الشابة التي حاولت قتل القطة !

وهكذا لاحظت كيف ينفون من قلب (كوليت) تحت ستار هـــن

المحاملة مثل هؤلاء الاشخاص الذين تمكنت هذه الساحرة من اكتشاف لعمالهم كما لاحظت كيف انها تنصرف عنهم بحركات خفيفة وجدا خفيفة التي تبعدها عن الشخص المراوغ الذي تعرف بأنه يختفي وراء المظاهر الجذابة جدا . وامثال هـــذا الشخص يشبهون السكين ذات الشفرات العديـدة !!

لقد تكلمت ما فيه الكفاية ولكن كيف يمكن ان يكون اخلاص (كوليت) لصداقتها ؟ للاجابة على هؤلاء الذين يعتبرونها غير مخلصة على المـــدى الطويل لانها كانت بدوية . لا ادرى لماذا اقول ذلك ؟ انه شيء افتكره بجدية وليس فقط لانها تبنت لبس نعل الحجاج والمغاربة وليس فقط لان هذا النعال فرض عليها ودأبت عليه ، فبه استعادت اتصالها بالارض واتصالها بالرمل ، ذلك الاحساس الغالي لدى المسافرين الـــذي تعتبره بصورة محددة وواضحة بانه الاحساس بالتنقيب الدائم ! لقـــد ذهبت كلودين وهكذا نرى كوليت أيضاً تذهب من بلدها الاصلي ، تذهب مـــن القيود العاطفية ودائما باقل ما يمكن من الامتعة .

كانت (كوليت) تقتني القليل . وبيتها ما خلا الضروريات والقليل من الاشياء الكمالية كان شبه خال ، لقد كانت مثل الجوال بدون قيود مكتفية بسكن عابر ولم تكن تكره شيئا مثلما كانت تكره السكن في الفنادق القريبة من محطات القطار حيث ضوضاء حركة القطارات وصافراتها المزعجة لقد تكلمت بتكرار عن الهجرة ، لقد رأيتها تتابع بنظرها الطيور الطليقة وسمعتها تمدح قابلية السلحفاة على الهرب . وكان لها بالفعل في (روز فن) سلحفاة كانوا يعيدونها اليها من امكنة بعيدة جدا بعد غياب قصير نسبيا !! كانت اقدام كوليت تطبع شكلها الجميل على الرمل وما كادت ابنتها تستطيع ان تقف على قدميها الصغيرتين حتى تخلصت من الحذاء . كنت

ارى جيدا كوليت وهي تقطع الصحراء وهـــي ترتدى ثيابا فضفاضـــة لا تضايق جسمها ولكن باقل حركة تظهر وكانها تهويها .

كان ولعها المراهق بالعاب الجمناستيك يحررها من حياتها القليلة الحركة . كان بقاءها جالسة للقيام بعملها يسبب لها ضيق كبير لانهـــا تحب الحركة كطفلة . كانت كطفلة تحب الاكتشاف والانطـلاق وكامرأة شابة كانت تتبع الفرق الموسيقية مثلمـا كانت من قبل تتبع المهرجين وسياراتهم والغجر وعرباتهم ، وكانت مولعة بالنوم خارج الغرف وبأخـذ فترات من الراحة الطويلة خارج البيت كما كانت تغريها الشبابيك المفتوحة على مناجاة السماء والفضاء !

كان لها قابلية على القيام بنزهات طويلة جدا وكانت تسير بخطى متزنة بدون تسرع ولكن كانت تأكل المسافات . انه غير ممكن ابداً وباذواق صادرة من الفطرة كهذه لايمكن لانسان ما ان يجد السعادة في نفس المكان لفترة طويلة ، ان ذلك لم يكن بسبب انعدام عاطفة الحـــب ولكن بسبب الانصياع الى نداء وتلبية لرغبة جامحة في الانعتاق . لقد شاهدت (كوليت) تبتعد عن (بريتاني) التي كانت تحبها للذهاب الى (سان تروبيز) التـــى تحبها أيضاً وبعد ذلك تختار «ايل ــ د ــ فرانس» ثم التوجـــه الـــــى «كاربير او بارك» بعد توقف في «باكوينود» ما الذي خافته ؟ لايوجد اى شيء كتبته حول حقولها وسواحلها وسمائها وخضارها يحمل اية اشارة تدل على الادانة او الاشمئزاز ! بكل بساطة انها مسافرة ، مرت وتوقفت لفترة قصيرة ثم غادرت . ان الفلم الذي كرس اليها مؤخرا سجل هـــذه المغادرات التي لابد منها بعد استراحة وتوقف لفترة قصيرة او طويلة ولم يذكر أي من المعلقين أي شيء سوى الكلام اللطيف والمديح .

وبالعكس فان (كوليت) غير المخلصة الى الاماكن ... غير المخلصة

الى الشفق مثل عدم اخلاصها للدور في الريف حيث ان العودة الى الباليه وريال كانت عودة بعد مغادرة وفي خلال ذلك كانت هنالك عدة فترات من السكن في باريس فانها كانت مخلصة بصورة فريدة الى الاشياء ٠ لقد عرفت (كوليت) مهما كان عنوانها في ذلك الحين وهي في نفس المحيط مع نفس ضاغطات الورق الزجاجية فوق المدفأة وفي دولاب زجاجي صغير تجد نفس المجموعة من القلائد ذات الالوان المختلفة وتحت انظارها تتألق نفس الفراشات البرازيلية التي لها لون أزرق غامض المصدر ويقال

كنت ارى دائما في غرفتها وفي غرفة الاستقبال المدفئة بحاشيتها الخشبية والارائك بلونها البرونزي الذي يضفي رونقاً على شريط من قماش مطرز من قبل (كوليت) بموجب تصميم تعوم فيه الازهار على حساب الفراشات والفواكه ٠ ان الحرب والاحتلال ومن بعد ذلك قلة الحركة وفرا (لكوليت) الوسيلة للتهرب الفكري والراحة النفسية حيث انصرفت لتطريز الاقمشة ، وتجد في ذوقها بأنتقاء الالوان متعة جديدة . ذلك الذوق الذي عرفته فيها دائما عندما كانت تشتري الخيوط القطنية من المحلات في شارع سوش ٠

ما زلت احتفظ ـ وهي تعلم ذلك ـ بقطعة من القماش بانطباع صيني كانت تزين جدران غرفتها في روزفن ٠ وكان القماش بخلفية سوداء وعليه مرسومه صورة نساء متجمعات وكأنهن كورس مرتديات ثياباً بالوان فاتحة جذابة جداً الوردي والأزرق الفاتح والاخضر بلون الخس ، واغصان الصنوبر متشابكة فوق رؤوسهن وجسر مقوس تحت ارجلهن وهل هناك ما هو صيني اكثر من ذلك ؟ وهل هناك تذكار احسن من هذا بالنسبة لي ؟ لما تفتح هذه القطعة الطريق امام الكثير من الذكريات انها تذكرني بـ « كوانين » الهة وديعة وبيضاء مثل اللبن

المختر والتي كان من الممكن العثور عليها لدى بياعي التحفيات في سان ..
مالو والتي كان يجلبها البحارة بين كنوز لها قيمة أدنى ولكنهم كانـوا يجلبون ايضا قلائد من احجار كانتون مخططة مثل حبات ورد السلبوت٠

ولم تكن « كوليت » تلبس حلي سوى اسورتها الذهبية ولم تكن تستطيع ابدا ان تعلق في اذنها موارد سوى عند المزاح وعندما كانت تقول « انتبهوا ! انظروا الي جيدا ٠ سأضع موارد في اذني » كان ذلك مصدر فرح كبير لنا وكانت « كوليت » تنفر من التبرج وكانت تفضل الملابس الرزينة وحتى القاتمة منها ، ولكنها كانـت لاتستطيع مقاومـــة رغبة شراء هذه القلائد الثقيلة والتي كانت تجد طريقها الى الدولاب الزجاجي لتلتحق بالقلائد الاخرى هناك ٠ اعطت مرة احدى هذه القلائد الــــى « كلود شوفير » لان لون القلادة بلـــــون عينيها الزرقاوين الهادئتين ٠ ان الازرق كان دائما كتعويذة بالنسبة لها وكانت تستعمله مثل وشاح معقود بارتخاء حول العنق وقد اختارته كلون لاوراق رسائلها وكتاباتها ٠

كان هناك بائع تحفيات يتخصص في التحفيات الصينية وكان محله بعد الكنيسة عند التوجه نحو البريد ولكن كان المرء يتوقف اولا عند محل السيدة (كولومارد ــ مالوين) سميت بهذا الاسم لانه يوجد واحـــــدة اخرى ــ احدى الاقرباء اذا ما كنت على خطـــأ ــ في (سان سرفان) كانت تلك السيدة في مخزن معتم اختصاصه بيع الاثاث المصنوعة مــــن أخشاب أشجار الكستناء التي أكسبها الزمن لونا ذهبيا مصقولا وكانت اقفالها الفضية تعكس الضياء لتقلل ولو قليلا من العتمة ٠ في هذا المخزن لايتم بيع الا المشتريات المحترمة ٠ وكانـــت (مدام كوبومارد) مـــــن (سان سرفان) تشرف على قاعات اقل رهبة مخصصة لبيع البورسيلان ٠ وحيث ان مجهزي مؤن السفن والبورجوازيين في المنطقة يفضلون دائمـا



البورسلان الذي يجلب من المستعمرات السابقة لم يكن من الصعب انذاك ان نجد صحونا وطقومة كانت تعود الى شركة الهند !! وفي فترة ما عندما

لم تكن الطقومة الملونة «المودة» الشائعة بعـــد ماكنا نجـــد «الروبيل» و «السالن» بخضرة الزمرد وخضرة اوراق العنب واوراق اللهانـــة · ان

هذا اللون الاخضر الذي توحيه الوان النباتات كان يجعل من مائـــدة « كوليت » براقة · انها مناظر تعلق بالذاكرة مثل خضرة ايام العطل ···

خضرة الاشجار ··· الخضرة التي تنتشر شفافة تحت زرقة البحـــر ووجبة الطعام الاولى ليوم ما التي نتناولها في الغرفة الصغيرة التي تقود

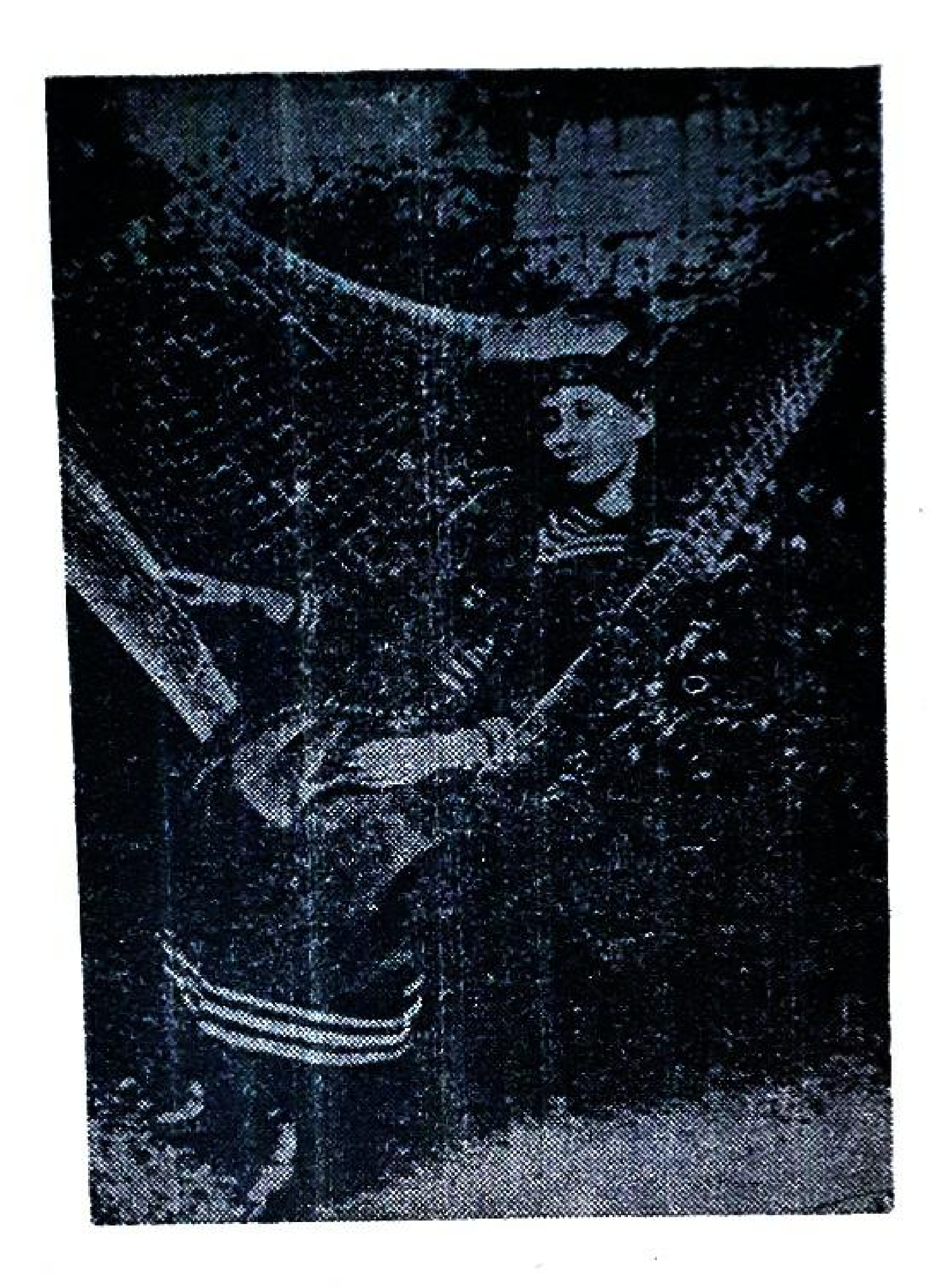
الى الساحة كانت تفوق بانشراحها وجبات الطعام الاخـــرى التـــي كنا نتناولها في الغرفة الكبيرة التي تطل على البحر ! وكان طعام الفطـــور

يتعزز بعض الاحيان واذا حالفنا الحظ بان يقودنا الى سان مالـــو اليوم السابق بسلة مملؤة من الخبز المـــدور يسمى « خبز بريتون »

المحمر والمحلى بقليل من السكر والـــذي يشبه « الكعك الانكليزي » · ما هو السحر الذي يكمن في « خبز بريتانيا » بطعمه البسيط ؟ أليس

هو نفس السحر الذي يكمن في نزهة قصيرة سواء قمنا بها على الاسوار او في الشوارع الفرعية التي يخيل للمرء بانها قد انحرفت بفعل الرياح ·

كنا نعرف كافة المنعطفات وكافة الواجهات الزجاجية وخاصة تلك التـــي تعرض معدات البحارة في الايام الماضية ·



اذا كنت اتسمك من خلال هذه الصفحات على التأكيد على فترة قصيرة نسبيا من حياة (كولیت) فهو بسبب هذا النور الذي يغمرها ويحدد معالمها والذي جعلني ارى بوضـوح وببعد يشبه التنبوء بالمستقبل الاحتفاظ في ذاكرتي بكل ما جرى أمامي ، نظرة ... حديث ... نزهة ... عـادات . وكل الظواهـر البسيطة الاخرى كنت اعتبرها مهمة حيث لا يمكنني ان اهمل شيئا ، ولا أن أنسى أي منها ، انه كما لو كنت اريد

ان احدد حياتي الخاصة باللحظة التي كانت في اوج حياتها وذلك بسبب هذه الصداقة . هذا العيش في أطار واحد وهذه الالفة الصافية المتنوعة والشاقة كانت تبهج القلب وامتدت وتوطدت عبر الفصول وعبر الربيع وعبر الخريف وعبر هطول أول الامطار التي تبدأ بهدوء وحيث تسبح الاشباح في الاراضي البائرة والمهملة !

من المؤكد عندما كنت أعود الى باريس وواجباتي بالقرب من (كوليت) فأنها كانت توفر لي فرص أخرى للدراسة وفهم الامور . كنت ما أزال أعيش بالقرب منها لخدمتها بكل قابلياتي حتى عندما كانت الظروف ترخي هذا الترابط القوي لم يكن هناك أبدا أي تراخ في المحبة . واستمر الحديث الطويل بيننا كانت تحدثني عن « نبيذ العنب المسكي » وعن سان تروبيز وعن أصدقائها هناك ، كنت أرى ألوانا أخرى تزدهر حولها ـ الوانا متنوعة وبراقة وذات جاذبية لا تضاهيها أية ألوان جذابة أخرى والتي لا يمكن حصرها حتى في بريتاني ! كانت تعود وجسمها برونزي اللون ! ولكن أي لون برونزي يمكن ان يكون أكثر رقة وتجانسا من اللون البرونزي التي يمكن للمرء ان يحصل عليه في روزفن !! . كانت تتذوق أطعمة وفواكه أخرى تقتطفها هي وكذلك أزهار الكاميليا وغيرها . وكانت تجلب صفحات أخرى لو قرأها آخرون لكانوا اعجبوا بها مثل اعجابها ، وبنفس الاعجاب ونفس الاحترام . وبالرغم من الحر كانت تغطي ركبتيها دائما بغطاء ، كما كانت تأخذ قسطها الكافي من النوم . ولكنه كان نوما تسيطر عليه والذي كان دائما يثير اعجابي . لقد واصلت « كوليت » سهرها على حياتي وعلى مستقبلي بعناية لا تكل . وكنت اذهب لزيارتها في الطابق الاعلى من ذلك الفندق الكبير في « الشانزليزيه » حيث انها كما ظنت لبعض الوقت حلت المشكلة

الصعبه التي هي هموم التدبير المنزلي ! ولا يوجد شيء يثير العجب أكثر من رؤيه « كوليت » في هذا المكان الذي اضفت عليه هالة من الالفه والشعور بالراحة تذكر بالريف اكثر من ان تذكر بالقصور . والتي كانت تعتبره كملجأ نهائي ولكن هيهات ان يمكنها ان تنبت الفريز في الشرفة أو ان تشرف بولين على مكان السكن بهدوئها المعهود . لم يكن من الممكن ايقاف سيل المصاعد التي كانت تصعد مثل الفقاعات في قنينة الشامبانيا أو التي كانت تنزل او ان يطالب الكثير من الراجات بالكثير من الغـرف لأتباعهم ، أو ان يتجمع الكثير من الناس في الممرات وبأن يصبح كل ذلك على المدى الطويل وبالرغم من توفر وسائل الراحـة غير قابل للتحمل ... عندئذ ندمت على شقتها في « الباليترويال » التي كانت مثل النفق والتي كانت تسميها نصف قمر حيث كان يعيش المرء حياة بأبعاد متغايرة لأن العلو متداخل مع الطول بمطاطية الحواجز في الاحلام . بعد ذلك كانت هناك محاولات أخرى الى ان تبدأ لترى « البالية رويال » بجمال شكله المستطيل وغير المحصور . كنت أرى دائما بالقرب منها الدولاب الزجاجي مع القلائد والكرات الزجاجية ولوحة المصلوب في زجاجة والفراشات من امريكا الجنوبية والمجلدات التي تبحث في أمور الزراعة والارائك مع اشرطتها ، وكانت تقول لي بنفس النظرة وبنفس الصوت « انت هنا يا طفلتي » !!

لكنها كانت تفضل ان تتمدد وان تداري صحتها وتنشد راحتها . وما زلت أتذكر بان طاولة الكتابة لم تكن أبدا بعيدة عن ركبتيها وبأن الاشياء اللازمة للعمل كانت دائما متوفرة لديها وكنت أرى دائما الورق الازرق وأيضا المصباح المائل وبلون زرقة السماء المصرية في الليل !!.

فن عدم الحركة بعد فن التحرك ... مغادرة عالم الى عالم ثان

كانت كوليت قادرة على ذلك · واذا يظن البعض بانها تستهلك عبقريتها بنشاطاتها وبانها تمارس حياة فعالة فقط فان عليهم ان يغيروا حكمهم ·· صحيح بان الحياة كانت تتدفق نحو غرفة مغطاة جدرانها بلون أحمر براق ولكن ذلك يكون تافها ما لم يتطور في (كوليت) وبفضل الذكريات والخبرة والمعرفة والتي يمكن ان نسميها عبقرية متجددة ·

لقد ولد ذلك كما اعتقد خلال سنوات الاحتلال عندما كانت الحياة مقيدة ، اذ لم تكن الا حياة عزلة ·· التعتيم الاجباري ومنع التجول والترقب من وراء الستارة التي لا نجسر على رفعها ·· والترصد وراء الباب بسبب خطـوة تلكات أو خطوة لا نسمعها لفترة طويلة أو لن نسمعها أبدا ، والكتاب الذي يسقط من اليد من دون ان نكمل قراءته ، والسطر المتوقف في منتصفه · وقماش التطريز الذي يهتز تحت الاصابع بحيث لا يمكن غرز الابرة فيه ، واللقمة التي تقف في البلعوم ، والخبز الذي له طعم الرمل ، كل ذلك كان من نصيب الجميع وكانت (كوليت) تحفظه بكل فارق دقيقة وكل جزء وهي تبتسم مثلما حفظت كل ما هو جميل في الحياة السابقة للحرب !! ·

بدأ الفانوس الازرق بانارة جبهتها ويديهـا وأصـبح رمـزا لقيم أساسية باقية بالرغم من الفوضى العالمية ومن أهوال الاضطهاد · في الاول من كانون الثاني كان يجتمع حولها الاصدقاء المخلصين الذين ليس لديهم أي هدف ولا مهمة ولا منطقة نفوذ ولا اي من أسباب المنع الرهيبه التي كانت سائدة آنذاك · كان شيئا مريحا ان نفكر بان وجودنا بالقرب منهـا يمثل وجودنا بالقرب من الامل · كانت هنالك الازهار وبعض الحلوى الغريبة من التين والعنب والصويا ، ولكن في الحقيقة فان قليلا من الرز أو القهوة أو السكر أو الزيت او قطعة من الشحم او الزبدة

في ذلك الوقت كانت تساوي كل كنوز « كلكوند » ٠

لم تكن (كوليت) تتحرك الا قليلا كانت تترقب وتنتظر وتتألم ومع هذا فانها كانت تستمع الى آلام الآخرين ٠ في اليوم الاول مـن كـل شهر كانون الثاني خاصـة فان (باريس والباليه رويال) كانـ كالسراب خاليين ومهجورين فالمخلوقات البشرية قد هاجرت ولم تبق الا الابنية !! كانت (كوليت) وحيدة على نحو مفجع في البداية وخلال ثلاثة أشهر طويلة ثم وحيدة على نحو حزين ٠ ان المأساة حلت محل الفرقة والغياب ٠ لقد استطاعت ان تتكلم عن تلك الايام وان تكتب عنهـا وتضمنها عبارات أخرى تمزق القلب ٠ في تلك الاوقات ابتعدت (كوليت) عن تصاميم التطريز المعقدة ٠ كانت تختار تصميم لكرسي مدير ٠ كانت تقول لي : « هذا لمكتب موريس عندما يعود » وكانت تشرح لي مزايا التضليع والقماش المخطط واحدى الفوائد كانت بان ذلك كان ينتهي بشلة من خيوط الصوف التي لا تكفي للقيام بأعمال أكبر وفائدة أخرى هو عدم الحاجة للتفكير بأي شيء ولا بتنسيق الالوان ٠ كل ما كان علينـا القيام به هو التوفيق بين الخطوط نفسها ٠ كانت تكتب لي في دفتر تسلسل الالوان التي يبرز رونقها من مكان الى آخر مقطع داكن أو أحمر غامق أو قهوائي أو أسود تقريبا ومن يقرأ ملاحظاتها في هذا الدفتر سوف لن يرى فيها سوى معلومات دون معنى ٠ ولكنها بالنسبة لي تعني تعليمات فرضتها يـد مرتجفة وأفكار تائهـة ، تعني ساعات غـير محددة ومجمعة من قوة تطمح ان تجعـل الزمن أمر عابر واعتيادي لانجاز التطريز الذي انجز والغائب سيعود ٠

خلال فترة الحرب والاحتلال هذه وخلال فترة الانفصام العميق في الحياة الفرنسية التي اثرت على القيم وبدلت الاصنام وغيرت تماما

الاذواق . فاصبح للادب رؤساء جدد واعطت للفلسفه دوافع جديدة لليأس . وحتى مفردات اللغه تغيرت مثلما تغيرت اللغه العاميه ولكن لا يوجد اي فقدان للاعتبار بالنسبه الى أعمال (كوليت) لاننا حدسنا بانها كتابات كلاسيكية . ومهما كانت أساليب التعبير في الحاضر أو في المستقبل فانها ستبقى كما بقيت الروائع الادبية . موجزة ورفيعة والتي تسمى « أميرة كليف » و « مانون » و « ادولف » ، كما بقيت حكايات « لافونتين » فالايجاز هو أساس الروائع الادبية ووضوحها . ... ان كوليت تستعمل مفردات واضحة وليست مبهمة أبدا ولا يوجد من يصطدم بعدم وضوح الفكرة او العبارة أو الجملة وأحسن من هذا فان القارئ يجد بان هذا الصفاء ينوره لأنه يعكس له عالم مجهول ولكن لا يجد نفسه أمام لغز او غموض . ان كتبها قصيرة . قصيرة جدا حسب اعتقادنا ولكن لا يمكن اضافة أي شيء اليها كما لا يمكن حذف اي شيء منها .

بصورة عامة فان الادب الذي ما زالت تسيطر عليه الرومانسية التي يعتقد بانه يجب سرد كل شيء بانفعال فيها لا يضع أية حدود بين الاعترافات الموسومة بفقر الموضوع وجفوة المؤلف وبين هذا الكتيب وذلك السيل من المجلدات فان أي كتاب من كتب (كوليت) يظهر وكأنه المثال لما يجب ان يكون عليه الكتاب . فاذا كان الكتاب عن قصة فان الاشخاص فيه ليسوا أشخاصا لهم أسرار الحياة ولا هم أشخاص لهم دوافع داخلية ، بل أن الدوافع التي تدفعهم هي دوافع أزلية تتمثل بالحب والغيرة . وأتعس من ذلك غياب الغيرة والتفتيش والساذج عما هو مطلق . والعاطفة من جهة واحدة . واستخفاف الذكور والعطف اللاعقلاني . والهروب من الحب . والحاجة للايمان بالحب وضجر الحب .

ان الكلمات الطنانة قد تذكر أو لا تذكر أبدا ، لقد قالت لنا (كوليت) ما تعني هذه الكلمة : السعادة ... أولا ما هي السعادة ؟ هل هي بان نكون فرحين من دون أن ندري أو فرحين لاسباب تافهة لا تدخل في أطار المواضيع الشجاعة ؟ . ونحن نربط كلمة السعادة بزمن ما ، ولكن هذه السعادة التي نشعر بها هي كالبرق في ليلة من لياليِنا . وكوليت لا تتكلم عن العالم الاخر ، فقد نفت الموت من مصطلحاتها ومع هذا نجد أنها عبرت أحسن من أي شخص اخر عن « التجلي » . ظهور هذا الكائن الذي يرفض ان يترك هذا العالم أو الذي تركها ثم عاد بملابس شفافة يجر وراءه القيود ولكن يظهر بواسطة تكثف الظل أو عن طريق صفق الباب أو في مكان خال أو رنين جسم يلمس . تطفل بسيط من العالم الآخر .

لمدة طويلة كنت أرى بالقرب من (كوليت) صورة جميلة ورومانتيكية تمثل أحد النبلاء الشبان مرتخيا على اريكة ويرتخي فوقه شبح امرأة تلبس تنورة من الازهار وعلى رأسها تاج من الورود مثل الاموات في الباليه « جيزيل » . أشباح اسكتلندة والاشباح الاخرى : ليست هنالك هوة لا يمكنهم ان يعبروها . ولم الاحظ أبدا بأن كوليت تنكر بكلمة أو بهزة كتف هذا الايمان بالغير مرئي ... منطقيا كان يجب ان تفعل ذلك بموجب ادراكها السليم وتفسيرها الحكيم للامور والمؤشرات ولكنها كطفلة غابات مسكونة بالاشباح والبيوت القديمة التي تطقطق أثناء الليل والتي تعبر عن نفسها بأصوات غير مألوفة لا يمكنها ان تنفي هذه الامكانية التي لم يمكن لحد الان تسميتها . ومن جهة أخرى الا تحب « نوديير » و « هوفمان » و « بلزاك » الذين مضوا بعيدا في هذا المجال الذي هو « الارض الحرام » بالنسبة الى الحياة والموت ؟ .



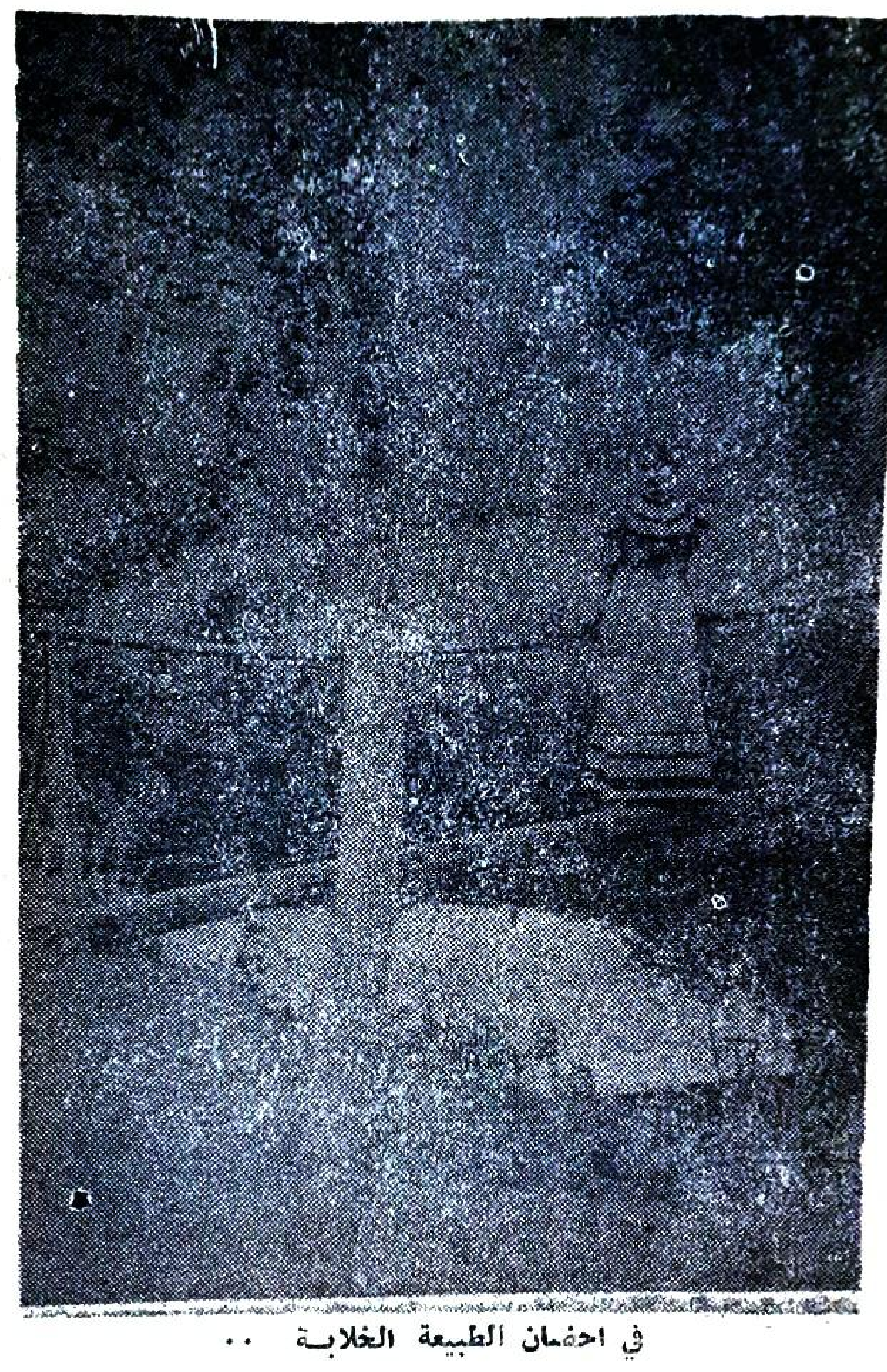
صورة مع عائلتها

وهكذا بترجيح السعادة على السعادة والحب على الحب تنعطف عن الاموات لاستقبال اولئك الذين يعودون اليها فهي متسامحة بكل ما يمكن ان يخفف من الظروف الانسانية . انها قاسية بالنسبة الى نفسها عندما يتطلب التعبير عنه . وهكذا كانت تبني فلسفتها الخاصه ودينها الخاص من دون ان تشعر .

ان الايمان والامل غير مذكورين في كتبها ، ولكن الفضيلة والمحبة الاصعب تطبيقا بين الفضائل الثلاث الا وهي فضيلة العطف فان كتبها تفيض بهـا ... المحبـة والعطف على الحيوانات المتألمـة والاشـخاص الوحيدين . فقـد مرت هي بتجربة الوحدانية وعاشتها . وفي يوم ما اخبرتها بحماس لا شعوري بأني وجدت شقة (وهذا منذ أمد طويل) في الطابق الخامس من عمارة . بحيث يتوفر لي منظر فريد من نوعه . ولكنها قالت لي « احذري من الوحدانية » أي لا تبقي وحيدة في مكان عال !! ولم استأجر الشقة فكون الانسان وحيدا في محل عال ، نداء الفراغ ! ... وحدانيـة في محلات سكن يمكن الوصول اليها بسهولة والتي يحاول المرء تغطيتها بمضاعفة ظواهر الراحة . ظواهر خارجية هزيلة لا تعوض عن استقبال أو رفقة أو تدخل صديـــق ، وحدانيه في هذه المساكن الغريبة التي تملأ باريس بين باحتين أو في آخر الباحة : في هذه المساكن « بغرفتين » التي تلجأ اليها الارملة الشابة والمطلقـــة والفتاة التي تطيل عبثا شبابها غير المجدي . اماكن السكن التي نمر بها دون ان نفكر بالذين يذبلون خلف ابوابهم المغلقة .. اماكن سكن تقع في أحياء مريحة بحيث لا يمكن للمرء ان يفكر أبدا بأن يرثي لحال القاطنين فيها !! كأن تلك الزخرفة في السقف وذلك المدخـــل المزين بالزجاج وتلك المدفئة من الرخام الابيض تعفي المرء من ان يرثي ويواسي ... لا اتذكر بان (كوليت) تبنت نظرية الوحدانية . لقد أكدت دائما

على مابقيه التدمير . لا يمكن أبدا نسيان وحدانية « شيري » ولا تلك المرأة التي مع الاسف كانت تلبس القبعة العسكريه ولا تلك في « فجر المطر » ولا تلك في « المتشردة في المحطة » ولا الانواع الأخرى من الوحدانيه التي لا تنبع من غياب الحب او الكائن المحبوب ولكن من وجودهم .. وحدانية عدم التفاهم المتبادل وذلك النوع من المنفى . وهو في مكانه لمخلوق لا يفهم الآخرين أو ليس هنـاك من يفهمـه . ان الزوجين في « القطة » هما الصورة الحقيقية فهو بتعلقه بحيوان يشعر فيه العواطف الانسانية (نتذكر هنا « عواطف في الصحراء ») وهي تحاول ان تفهم ولكن لا تفهم وتصطدم بما لا يمكنها اكتشاف اغواره وتعجز عن التعبير عن نفسها وكذلك وحدانية الاخلاص الذي تجابهه الغيرة ، ووحدانيه الغيرة المسجونـة في الجحيم الذي خلقته لنفسها ... وأخيرا وحدانيه الضعفاء ، والاشخاص غير الطبيعيين وهؤلاء الذين دللتهم الحياة باحاطتهم بالمتطفلين أو أصدقاء حاقدين . ووحدانيـة الاشخاص الذين لم تدللهم الحياة بالكفاية وليس لهم أصدقاء ومن دون وسائل للترفيه هم سجناء وسجينات من دون قضبان ، والذين يصبحون مهوسين بأفكار ضيقـه يتمرجحون قليلا بين الجريمة والانتحار والجنون .

ان عطف ومحبة (كوليت) كانا كالدواء الشافي تمنحه لهـذا وذاك . لم تعط وعدا بعزاء السماء الذي هو غـير أكيد ، وقـد يأتي متأخرا ، ولكن كانت تمنح العزاء الارضي الذي يتجدد بدون انقطاع . طعم الفواكه وطعم الاكلات وعطر الريف ومناظر الطبيعة واحترام النفس ورفض عدم الاكتراث ... عطف قـد يظهر بانـه سطحي ولكنه يدوم طويلا لانها كانت تعيد الصلة بين الوحدانية والحيـاة وكانت تخلق المسؤوليات وحيث تبدأ المسؤوليات تفقد الوحدانيـة موطـأ قدمهـا . ولا تنفتح الا في فـراغ الاستسلام التام .



في احضان الطبيعة الخلابة ..

من الجدير بالملاحظة بان يكون عمـــل ما يعنى بالكثير من الآلام يحتفظ من البداية الى النهاية بحركة حرة وسعيدة ٠ ان التشهي بالاثم

منفي مثلما نفيت العاصفة الشعرية ! التحمل والسكوت والظهور عند الحاجة لتجنيب الاخرين مشاهدة ضعفهم — كل ذلك لم تكن نصائح تعطيها لمن له أحزان وهمية — كانت تطبقها على نفسها فقط . مثالي هو الصبر الذي يبقيها ممددة ، مثالية هي العناية بنفسها الذي يجعل من رأس سريرها مصدر راحة لزوارها . هل سأقول ضاحكة ؟ لم اسمعها أبدا تشكو واذا قالت مرة ما: «اني اتألم»فانها تقولها بنبرة تدل على واقعة مثلما تقول اني افكر : « ان هذا الصباح جميل » أو : « الن نتخلص من هذه العاصفة » .

وهكذا فانها كانت تتوافق مع أعمالها ، وهكذا كانت تنغمس تماما في أعمالها ... ومنذ البداية تجنبت الاعترافات وعبرت عن اهتمام مباشر بالحوادث والاساليب والوقائع التي كانت تتبين بأنها لا تتجزء من الحوادث اليومية والتي عكست وجوها تبينت عليها أسماء في بعض الاحيان ومواقف استخلصت مما حدث خلال الايام الخوالي كما يظهر ان نقطة ضعف الكاتبات هي عدم القابلية على الانفصال عن انفسهن وليس لديهن القابلية على الخلق ولا التكلم عن العواطف بتجرد . ان قراءة انتاجات (كوليت) ينفي هذا الحكم ، ويحرض على السؤال عما اذا كان الخيال المطلق العنان ينير بقدر ما تنيره هذه الدراسة المتواصلة لاحاسيس القلب ؟ .

مما لاشك فيه بأنقول «كنت هناك ووقع لي الحادث الفلاني» حينما تقولها انسانة ما ، فأن تلك الانسانة اسمها (كوليت) . وتزداد اعتناء بسيكيولجيتها بحيث تفوق أي موضوع عاطفي في القصص الخيالية .

كوليت وثنية !.

كوليت لاتؤمن !. كوليت مادية !!

كوليت الوثنية ترينا في آخر الأمر احتراما للاشخاص في آلامهم وأهدافهم غير المضمونة والكئيبة وأخطائهم الغرامية ، وفي كل هذه الوثنية فأنها تغاظت أو عزت الامور الى قدر لا ينازع . وكوليت غير المؤمنة توصلت بالتدرج المستمر وبالسمو المستمر في أعمالها الى ذروة الحكمة ونكران الذات التي لا تتوصل اليها دائما النفوس التي تعتقد بأنها قديسة !..

(كوليت) المادية رفعت المادة الى الشاعرية أو بالاحرى انها دمجت الواحدة بالاخرى ، بحيث ان المختارات الادبية لا تستطيع ان تفرق بينها . اني أضيف بأنه لا شيء في كل ذلك يبقى على مستوى الوصف قد يكون جامد قليلا أو لا حياة فيه . وبأن كل شيء هو حركة ، وتنقل الهواء ، وبأن الصفحات الثابتة والاكيدة تحافظ على حيويتها .

وهنالك أيضا المحاورات التي لها طابع النثر .. في « محاورات الحيوانات » (كوليت) تفصح عن قابليتها المسرحية ... قابلية السماع اليها وليست قابلية قراءة كتبها فحسب ، هنالك في «جولي دى كارنيهان» امثلة تسمو وتتألق ، وهناك في محاورة « شيرى » من البداية حتى النهاية خواص قاطعة بشخصيات واضحة تظهر قابلياتها . وامكانات «بومارشيه» و «ميزين» في الامثال بوضع النقاط على الحروف . ان الصورة الصادقة

للشخصيات والمواقف المضحكة والتسلسل الايقاعـــي في النص تفرض تدريجيا على المسرح نمطا كلاسيكيا جديـدا يحقق متطلبات جديـــدة لجمهور المشاهديـن ٠

مما لاشك فيه فأن اذني كوليت حساستين بالنسبة الى العبارات المنطوقة بصوت عال ، والتي تملأ حواسها ، انى مازلت اسمعها وهي تورق كتابات « كيبلينك » ونتوقف عند « متهنا » في هـــذا المنشور الجديد والذي يسمى « حب النساء » فان النبرة والصوت يبقيان عالقين بذاكرتـي مثل دقات الساعة التي لا يمكن ان تنسى والضائعة بين ذكريات الطفولة ٠

هل كان في معرفة (كيبلينك) جيدا اشياء قادتها وهـــي رقيقة الايجاز الى هذا النمط الذي تالقت فيه ؟ هذا ممكن ٠ وكذلك (بلزاك) ولكن المجال لايسمح للكلام عن صداقاتها الادبية ، وعلي أن أترك هـــذا الموضوع الواسع وان اتذكر الكثير من الامور ، بالاضافة الى اني سردت ما يجب ان اسرده ، فلايوجد اي انسان يعرف انسانا اخرا تماما ولايمكنه الا ان يتحسس به ولايمكنه الا ان يحبه ٠٠ قد يكون مفتاح المعرفة موجود بكامله حيث يتوقف تحكيم الرأي وحيث يموت المنطق ٠

أتوقف عن التعليق واضيف ما يلي : ان احدى حاجاتي التي اعتز بها جدا هي حاملة خرائط صغيرة من الحرير الازرق الفاتح حوله الوقت الى الاخضر وغطاءه من البروسلين المرسومة عليه باقة من الورد والازهار كما كانت تتطلبه المودة حوالي ١٨٣٠ ٠ ان حاملة الخرائط هذه كانـت تحتوي ايضا على تقويم وعلى غلافها كان مكتوب « للذكرى » فوق زخرفة على شكل كرمة يمكن تسميتها « وداع جياور » وبعد ذلك تأتـــي ايام الاسبوع بتسلسل يومين لكل صفحة وصفحة كاملة ليوم الاحد ٠

في أحد الايام كانت والدتي في « مارشة او بوس » مع كوليـــت ورأت هذه الحاملة الجذابة التي أعجبتها و (كوليت) أهدتها اليهــــا

ولكن قبل ان تعطيني اياها كتبت سطرا تحت كل يوم من ايام الاسبوع « الاثنين » اذهبي لزيارة آني « ٠ الاربعاء اذهبي لزيارة آني » ٠٠٠٠٠٠ وينتهي ذلك بعبارة « وهكذا الى نهاية الايام ـ هذه النعمة التي اتمناها » وبدوري وتحت كتابة عزيزة علي كتبت: الاثنين اذهبي لزيارة كوليت٠٠ الثلاثاء اذهبي لزيارة كوليت ٠٠٠٠٠ الاربعاء اذهبي لزيارة كوليت ـ ولتكن كذلك برحمة الله الى نهاية ايام حياتي ٠

جيرمين بومونت

عن «كلودين» نفسها !.

« أي خوف٠٠حتى الخوف من الاستهزاء يمنعني من كتابة هذه الاسطر التي ستنشر وانا اتحمل مسؤوليتها ٠ لماذا اوقف مسيرة يدي فوق هذا الورق الذي يجمع ومنذ سنوات عديدة كل ما اعرفه عن نفسي وكل ما اريد ان اخفيه وكل ما ابتكره وكل ما اتكهنه ؟ » ٠

ان هذا الاستشهاد الذي قدمته لنا السيدة كوليت في «مولد النهار» يضع في النور موهبتها والحركة الذكية لافكارها ودور خيالها ٠٠٠٠ وتكتيكها الذي يمكن أن يقال عنه بأنه توزيع لحركة روحيتها كما يوزعون أنغام الموسيقى ٠

ان ذلك هو ايضا الخطة التي سنتبعها في مقاطع مسلسل انتاجاتها الادبية من اجل الغرض الاساسي الذي يستهدف تقديم « صورة خارجية وصورة مخفية » للسيدة كوليت ٠ هل يمكن لاعجابنا بالكاتب ان يسامح هذه الجرأة ؟ ٠

بعد واحد واربعين عاما من كتابة اول كتاب لها تحكي لنا السيدة كوليت في « احترافي » كيف دخلت عالم العلم مع كلودين في المدرسة ٠

في احدى السنوات وبعد ثمانية عشر شهرا من زواجها قال لي السيد ويلي : ـ يجب ان تضعي على الورق ذكريات ايام الدراسة الابتدائية ٠ لاتخافي من التفاصيل الطريفة فقد يمكن ان استخلص منها شيئا ما ٠٠٠٠٠٠ ان القعر عميق ٠

تاثرت اقل من العبارة الاخيرة التي هي صيغة يومية مكررة تنوعت عبر ثلاثة عشر سنة من خلال خيال لاينتهي مثلما تاثرت بالعبارة الاولى ،



صورة كوليـــت ١٨٩٨ ثوب أحمر (اولد انكلنـــد)

وذلك لأني قمت من مرض طويل وخطير وما زال كل من جسمي وروحـــي مثقلين بالكسل . ولكن حيث اني وجدت نفسي في مكتبة اشتريت دفاتر مثل الدفاتر التي كنت استعملها في المدرسة والمخططة بالرصاصي مـــع حاشية مخططة باللون الاحمر وظهرها من القماش الاسود وعلى غلافه ا

حقيبه دائرية نافرة مكتوب عليها « الخط » اعادت الى انامل نوعا من الحكة للعمل الاجباري . وسلبية القيام بعمل امرت ان اقوم به . كانت هنالك عبر الاوراق المخططة علامة مائية تجعلني اشعر باني اصغر سنا بست سنوات . على جهة من الطاولة والشباك ورائي وبكتف مائل وركبة معقوفة كنت اجلس لاكتب بمثابرة وبدون اهتمام . عندما انتهيت قدمت الى زوجي نص باسلوب وجيز يحترم الهوامش حيث قرأه ثم قال لـي :

ـ كنت على خطأ فهذا لايسلوى شيئا !! ..

وهكذا انقذت نفسي وعدت الـى الاريكة والقطـة والكلب والـى اصدقائي الجدد والى الحياة التي يمكن ان تجعلني سعيدة والتي كنت اجهل بانها تجعل مني سقيمة .

اذا لم اكن على خطأ فقد كان عند العودة الى حياة الريف البسيطة وذلك لان هذه الذكرى ترتبط بحسرة يوم في ايلول يسود عليه اللون الاشقر وعناقيد عنب صغير حلو المذاق ومشمش اصفر وقوى وداخله بنفسجي دام قرر السيد ويلي ان يرتب محتويات مكتبه . ان المكتب القبيح الشكل المصبوغ بلون الابنوس ومغطى بغطاء اخضر كان يفصح عن جراراتـه المصنوعة من الخشب الابيض المحشوة بالاوراق المضغوطة بداخلها حيث وجد الدفاتر المنسية التي سودتها بـ « كلودين في المدرسة »

ـ ما كنت اعتقد باني وضعتها في السلة .

فتح احد الدفاتر وبدأ يتصفحـه ..

ـ هذا لطيـف

ثم فتح دفترا آخر ولم يقل شيئا . ثم فتح الثالث والرابـع وتمتم :

ـ باسم السماء لقد كنت حقا غبي !

ثم جمع الدفاتر كيفما كان ولبس قبعته بحاشيتها المسطحة واسرع الى

احد الناشرين وهكذا اصبحت كاتبة .

لم اعرف في البداية سوى الضجر لاني وجدت بانه يجب أن أخضع نفسي الى اقتراحات ملحه ومحددة .

كان يقول لي السيد « ويلي » : الا تستطيعين ان تبعثي الحياة في هذه الاقوال الصبيانية وعلى سبيل المثال صداقة اكثر رقة بين كلوديس واحدى صديقاتها .... (وكان يتصرف بطريقة اخرى موجزة ليعبر عن نفسه) ومن ثم هنالك اللغة المحلية . لغة محلية تفوق الضرورة ..... ثم هنالك الكثير من الشقاوة الصبيانية .... أتفهمين ما ارمي اليه ؟!...

كنت افهم جيدا كما فهمت جيدا فيما بعد بأنه مقابل تعاوني كان السيد ويلي ينظم شيئا افضل من السكوت . اتخذ العادة بأن يغمرني بمديح لم يتفوه به أحد وبأن يضع يده على رأسي ويقول :

ـ انت تعرفين بان هذه الطفلة كانت غالية علي ... غالية وغالية جدا لقد روت لي عن امور الدنيا ما يبهج القلب .

ليس هناك ما يمنع عن الكاتبات الشابات (وكبار السن ايضا) بأن يكون لهن عند الكتابة قلق من الاجراءات . ليس هنالك ما يمنح الشعور بالثقة بالقدر الذي يمنحه القناع . ان مولد كلودين كان يلهيني مثل نكتة سمجة قليلا .

لم اكن اجد كتابي الاول جيدا ولا الكتب الثلاث التي جاءت بعده ، مع الوقت لم اغير ابدا رأيي واني احكم بقساوة على كل الكتب عن « كلودين » انها تعطي انطباع المراهقة والطيش بدون تحفظ . ان طور الشباب يتبرئ من خلالها وهذا صحيح عندما يظهر ذلك من خلال عدم حيازتها على اية مهنة لكن لا يعجبني أبدا أن أرى في هذه الكتب القديمه مرونة تتطلب مني الخضوع الى اقتراحات واسلوب ماهر في تلافي بذل الجهود . فما كان من اللائق ان ارسل الى الموت اشخاص تجاوزتهم .

اني احقد على نفسي لأنه بالتلميح وبمميزات كاريكاتورية ، ولكن لهم شبه بقصص خرافية . ان مسلسلات « كلودين » تفصح عن عدم الاهتمام بالأذية . اذا كنت مخطئة فذلك جيد ولكنني لست مخطئة ....

منذ ظهور قصة « كلودين في المدرسة » كانــت مبيعات الكتاب جيدة وبعدئذ احسن . وكانت مبيعات المسلسلة التي تبعتها افضل حسب ما يظهر بعد نفاذ مئات الطبعات . لم استطع ان آكد شيئا الا بما سمعته ، كانت سلسلة « كلودين » عند طلاقي الاول تعود بملكيتها الى ناشرين . لقد تنازل ويلي اليهم عن كافة الحقوق . وفي اسفل العقود وقعت كزوجة. ان هذا التنازل هو العمل الذي لايمكن غفرانه أبدا والذي حصل عليه مني عن طريق الخوف ، ولم اسامحه ابدا عن ذلك .

« السيدة كوليت تقدم الينا ايضا كلمة عن (كاتول – منديـــز) الذي يضع تحت ابصارنا بالضبط الاهتمام (بكلودين)

انا والسيد (ويلي) كنا نتناول الطعام ونشرب القهوة بدون حليب ذات النكهة الطيبة والتي كان يحضرها بنفسه في بيته . خرج السيد (ويلي) من الغرفة لبضع دقائق وكلمني (كاتول) بصورة مباغتة : « اذن انت مؤلفة مسلسلة كلودين .. اليس كذلك ؟ لا ! لا ! اني لا القي عليــك اسئلة فلاتبالغي بالحرج . بعد عشرين سنة او ثلاثين سنة لا ادري سوف تعلمين معنى خلق شخصية جديدة في الاداب . انت لا تفقهين الآن . انها قوة بلاشك نعم بلاشك انها قوة ولكنها نوع من العقاب . غلطة ستتابعك وتلتصق بجسمك . انها مكافأة لاتحتمل والتي يتقيؤها الانسان .... سوف لن تهربي من ذلك .... فقد خلقت شخصية جديدة .

كلودين في المدرسة

اسمي كلودين واقطن في « مونتني » ولدت عام ١٨٨٤ ومن المحتمل ان لا امـت ٠

هناك هـذا ما يـرد في كتـاب الجغرافيـة ! « (مونتي آن فرنوا) مدينـة صغـيرة وجميلـة عـدد سكانهـا ١٩٥٠ نسمة ومشيدة بشكل مدرج على (الثيز) ويمكن مشاهدة برج عربـي هناك مازال بحالة جيدة » بالنسبة لي لا افهم هذا الوصف ٠ اولا لايوجد « الثيز » ٠ لا ادري ما هو المفروض ان يمر عبر المراعي ولكن لن تجدي اي فصل من الفصول ماء حتى لغسل اقدام طـير الدورى ٠ « مونتني » مشيدة بشكل مدرج ؟ لاني لاأراها هكذا اني ارى دور تتأرجح من اعلى التل الى اسفل الوادي انها تتدرج تحت ولم يبقى قصر كبير اعيد بناءه ايام لويس الخامس عشر وهو متهدم اكثر من البرج العربي وتغطي القسم التحتاني منه الاعشاب وينهدم قليلا يوما بعد يوم من الاعلى ٠ انها قريـة وليست مدينة ٠ فالشوارع شكرا للسماء غير مبلطة وتجرى مياه الامطار بشكل سيول مصغرة تجف خلال ساعتين ٠ انها قرية وحتى ولو انها غير جميلة ولكن مع هذا فاني احبها

« بهذا الاسلوب وكانها تبوح لك بسر تقدم لنا السيده كوليـت (كلودين في المدرسة) وموطنها وغاباتها الكبيرة ٠ »

هنالك الغابات والشجيرات التي تلتصق بوقاحة بوجـه المرء عند المرور من خلالها وهي مغمورة بالشمس ومملوءة بالفريز والاعشاب وكذلك بالثعابين ، وكنت ارتعش من خوف خانق عندما ارى هذه الاجسام الصغيرة

الملساء والباردة التي تمرق تحت قدمي . اكثر من عشرين مرة توقفت
مبهورة عندما كنت ارى يدي وبالقرب من الورد حية ملتفة كاللولب
وعيونها الذهبية تنظر الي . انها غير خطرة ولكن مع هذا فانها مخيفة .
ورغم هذا كنت اعود لوحدي او مع صديقاتي ولكن في اكثر الاحيان لوحدي
لان هؤلاء الفتيات الكبار ولكن كالاطفال كن يثرن اشمئزازي فهذه تخاف
ان تخدشها الاشواك وتلك تخاف من الحيوانات الصغيرة ومن الدودة ذات
الوبر ومن العنكبوت الجميل والوردي اللون والمستدير كلؤلؤة ، والاخرى
تصيح لقد تعبت - في الواقع شيء لايتحمل .

وهنالك ما افضله - تلك الاشجار الضخمة بعمر ستة عشر او
عشرين سنة كان قلبي يتفطر عندما ارى شجرة منها تقطع ولم يكن لها
اشواك بل كانت اشجار مثل الاعمدة وكان هناك ممرات حيث يخيل لك
انك في الليل تقريبا حتى في عز النهار وحيث الصوت ووقع الاقدام ترد
بصورة مقلقة . يا الهي كم احبها ! .

في بعض الاحيان كان مطر او عاصفة يفاجئنا في هذه الغابات
الكبيرة فنلتجأ تحت شجرة بلوط اكثف من الاخريات ومن دون ان نتفوه
بكلمة كنا نسمع المطر وهو يزخ في الاعلى كما يزخ على السطح بينما
نحن في امان . وكنا نخرج من هذا المكان العميق وكأننا مندهشات
وتائهات وغير مرتاحات في ضياء النهار والشجيرات المرجية الاقل
غموضا : احبها من اجل رائحتها ومن اجل الاعشاب الوردية والبنفسجية
التي تنمو فوقها ولموسيقاها عندما يمر الهواء من خلال اغصانها . قبل
الوصول الى هناك يتوجب عبور غابة نمت الاغصان فيها بكثافة بعد
قطع الاشجار . وعلى حين غرة يفاجأ المرء بالوصول الى حافة غدير راكد
وعميق محاط من كل الجهات بالغابة بعيدا كل البعد عن كل شيء !

وتنمو اشجار التنوب في ما يشبه الجزيرة في الوسـط ويجب العبور بشجاعة ممتطيا ـ كما يمتطي المرء الحصان جذع شجرة مقلوعة توصل بين الشاطئين . وتحت اشجار التنوب نشعل نارا حتى في الصيف لان ذلك ممنوع . ونقوم بشواء اى شيء كان ، تفاحة او عرموطة او بطاطـا سرقت من احدى المزارع ، وحتى الخبز اذا لم يتوفر شيء اخر ويشـم المرء رائحة دخان مر ورائحة الراتنج . رائحة بغيضة ولكنها رائعـة . لقد عشت في هـذه الغابات خـلال عشرة سنوات مـن التسكع والهيام والانتصارات والاكتشافات . وسوف احزن كثيرا في اليوم الذي يجب ان اتركهـا .

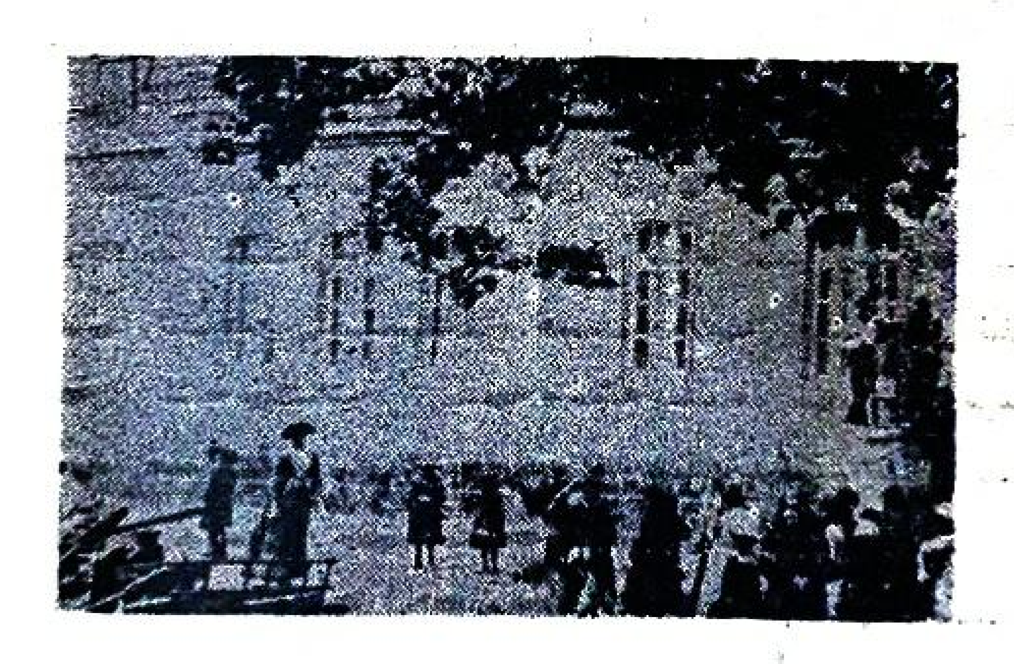
« اصدقاء واشخاص مختلفون ينجذبون الى محيط كلودين وتوصفهم بلمسات خفيفة يتميز بها اسلوبها الرقيق :

«... ان « انايس » الكبيرة الباردة واللئيمة ولايمكن اثارتها !! حتى انه من غير الممكن ان تحمر وجنتيها من الخجل كما انها مخلوقة محظوظة ! ، لها شعر لا هو كستنائي ولا هو اشقر ولون جلدها اصفر وخدودها شاحبة وعينيها السوداوين مستطيلتان ورفيعتان وبالاجمال فـان لها خطوات تافهة . كذابة وغشاشة .. منافقة وخائنة ستعرف كيف تدبر أمرها في الحياة ، هذه الـ «انايس» الكبيرة ! وهنالك فتيات جوبير ـ اختان اثنتان ـ في الواقع توأمتين تربيتهما صحيحه ـ طالبتان جيدتان طبعا ! اسـلخ جلدهما بكل طيبة خاطر طالما يزعجانني بذكائهما وكتابتهما الخاصـة الجميلة وشبههما المتصنع ووجه مرتخي وباهـت واعين خروف ممتلئة بالرقة وباكية . تعملان دائما ولهما الكثير من الملاحظات الجيدة انهما دائما يتصفان بسلوك حسن ومنافق انهما ينفثن انفاسا برائحة الصمغ .

اما (ماري بل اوم) فهي مثل الطفل مرحـة ، سمراء وباهتة وبعيون

سوداء مستطيلة وحارة ، (ماري) بانفها تشبه ارنبا جميلا وخاتفا ٠

والمدرسة « الانسة سرجت » لاتظهر الا وكانها لطيفة ولااتوقع خيرا من شاكلتها فطولها ووركها مدوران ولكن بقباحة لاتوصف ٠ ووجهها دائما متورم وملتهب والانف افطس قليلا بين عينين سوداويتين صغيرتين وشكوكتين ٠ والمدرسة المساعدة « الانسة ايمي » طبيعتها كطبيعة القطه المتدللة ـ ناعمة وباردة وملاطفة الى اقصى حد ٠ كان يعجبني ان انظر الى وجهها الصبياني الوردي وعيونها العسلية باهدابها المرتفعة الى الوراء ٠٠٠٠٠٠ لكي اجعلها تلين بالنسبة لي كنت اتصنع الوداعة بدون صعوبة وكنت اسألها بكثرة وانا مكتفية بان انظر اليها باعجاب !



كوليت في باحة مدرسة « سان سوفير » عام ١٨٩٠

مجاراة تقود الى دروس خاصة !!

كنت اعتبر مدرستي للغة الانكليزية رائعة هذا المساء تحت ضوء المصباح في المكتبة ٠ كانت عيناها كعيون القطة تلمعان مثل الذهب ـ ماكرة وملاطفة وكنت معجبة بهما ، كنت مدركة بانهما ليستا عطوفتين ولا صريحتين ولا حازمتين ولكن كانتا تلمعان ببرق جذاب في وجهها النضر وكانت مظاهرها توحي بانها مرتاحة جدا في هذه الغرفة الدافئة والصامتة

كنت اشعر باني على استعداد بان احبها كثيرا وكثيرا جدا وبكل قلبي الذي لايعرف التعقل ٠٠٠ قبلتني وصرت اهر مثل القطة وفجاة اخذتها بين ذراعي بقوة بحيث ان صرخة خافتة صدرت منها ثم قالت ـ كلودين يجب ان نعمل !!

٠٠ ياه ! ، فلتذهب قواعد اللغة الانكليزية الى الجحيم ٠ ني افضل ان اريح رأسي على صدرها ٠٠ اخذت تمسد شعري ورقبتي وكنت اسمع تحت اذني قلبها وهو يدق بقوة ٠٠٠ كم ان مرتاحة معها !! ، ولكن يجب علي ان امسك القلم وان اتظاهر بالعمل : في الواقع مالفائدة ؟ ، من يمكن ان يدخل ؟ ابي ؟ ، اي نعم ! ، كان ابي يحبس نفسه في الغرفة غير المريحة في الطابق الاول حيث البرد يجمد المرء في الشتاء ويشويه في الصيف وهو منهمك واعمى واطرش بالنسبة الى كل ما يجرى في العالم وذلك من اجل ٠٠٠

ها ! انكم لم تقراؤا ـ لانه لم ينه ابدا ـ عمله الكبير حول « دراسة الرخويات في فرينواز » لم تعرفوا ابدا عن التجارب المعقدة والاهتمام الكبير

الذي كان يتطلب ساعات وساعات كـــان يقضيها منحنيا على اعـــداد لاتحصى من البزاق محصورة داخل اجراس زجاجية صغيرة . كان يراني عندما كان يتوفر عنده الوقـت باندهاش ويتعجب بانـي ما زلـت على قيد الحياة . كانسانة طبيعية ، كان يضحك بعيونـه الصغيرة الراصدة وبانفه النبيل البوربوني (من اين اتى هذا الانف الملوكـي ؟) وبلحيته ذات الالوان الثلاثة : الاحمر والرمادي والابيض .

عن « كلوديــن » نفســها

تمعنت في اظافري ورتبت شعر رأسي لان ذلك ما ينظر اليه الزوار فينا نحن النساء ! . لهم بنات بعمر خمسة عشر سنة ولكنهن كبار القامه واذا كان وجهي يظهرني بعمر اقل فان جسمي هو جسم من هي في الثامنه عشر من العمر ، وكان علي ان اظهر شعري لانه كان يشكل خصلا متجعدة تتغير الوانها حسب الاوقات وتتراوح بين الكستاني والذهبي الغامـق وتتناقض مع لون عيناي القهوائيتين ولكن بتناسق . وبالرغم مـن ان شعري كان مجعدا فانه كان يصل الى منتصف ظهري تقريبا . لم اخصله ابدا كما اني لم اعقصه لان عقص الشعر كان يسبب لـي آلاما في الرأس ولان الخصل ما كانت تلائم وجهي . عندما نلعب السباق كنت اجمـع شعري الذي كان يجعل مني طريدة سهلة واعقدها على شكل ذيل حصان وفي النهاية اليس ذلك اجمـل ؟ .

لقد بقي لدينا عشرة دقائـق قبل ان ينتهي الدرس ولكـن كيف استغلها ؟ . طلبت السماح لي بالخروج لكي اجمع بالخفية القليل من الثلج الذي كان يتساقط باستمرار . عملت كرة من الثلج ثم عضضتها

باسناني . كانت باردة جدا وفيها قليل من طعم التراب لانها كانت المره الاولى بتساقط الثلج . اخفيتها في جيبي وعدت . ناولت كرة الثلج الى رميلاتي وكل منهن ما عدا التوأمين غرسن اسنانهن فيها وعلى وجوههن علائم الاستهواء .

في ذلك الاحد ذهبت لقضاء فترة بعد الظهر في المزرعة التي تسكن فيها (كلير) اختي الوديعة والرقيقة في تناولنا الاول والتي لم تعد تأتي الى المدرسة منذ سنة تقريبا . نزلنا من طريق « ما تينيون » الذي يقود الى محطة القطار ، طريق مليء باوراق الاشجار ومعتم في ايام الصيف ولكن في ايام الشتاء هذه لايوجد اوراق طبعا ولكن مع هذا كنا متسترين بالكفاية هناك لمراقبة الناس الذين يجلسون على المقاعد في الطريق . كنا نسير في الثلج الذي كان يتكسر تحت اقدامنا . وكان الغدير المتجمد يصدر اصواتا موسيقية تحت اشعة الشمس ! اصواتا جميلة لامثيل لها وهو صوت الجليد الذي أخذ بالذوبان . كانت (كلير) تهمس لي عن بداية مغامراتها الغرامية مع الشبان في حفلة يوم الاحد في بيت « ترويارد » شباب خشنين ومندفعين وكنت متشوقة لسماعها

مع قطتها المفضلة !

اللعنة ! لقد اصبت بالزكام ! بقيت في مكتبة ابي لقراءة قصة « فرانس دميشله » ولم اضجر ابدا حيث اني كنت مرتاحة في الاريكة الكبيرة محاطة بالكتب مع « فرانشيت » الجميلة تلك القطة الذكية بين القطط والتي تحبني كثيرا بكل تجرد بالرغم من مضايقاتي لها كقرص اذنها الوردية والترويض المعقد التي كنت افرضه عليها ..

كانت تحبني الى درجة انها تفهم كل ما اقوله وكانت تأتي لتدغدغ شفتي.
عندما تسمع صوتي ٠ وكانت تحب الكتب ايضا مثل عالم مسن وكانت
تصايقني مساء كل يوم بعد العشاء لكي اسحب من على الرف كتابين او
ثلاث من قواميس ابي الضخمة بحيث ان الفراغ الناتج يشكل ما يشبه
الغرفة الصغيرة المربعة الشكل تجلس فيها فرانشيت ملتفة على نفسها
ثم اغلق الباب الزجاجي عليها، وكان هريرها الحبيس يتردد بدون انقطاع
بصوت كانه صوت طبل مغطى ٠

ومن طفولتها تبوح لنا (كوليت)عن تعلقها بالملذات الجسدية الشابه
في الواقع ـ وكن ذلك عام ١٩٠٠ ـ كانوا يرون ! في ذلك انحرافا
واستخفاف علنيا ولكن الجرأة الادبية المتكررة منذ ذلك الحين جعلت
الكثير من القراء يغيروا حكمهم علينا ٠ واليوم ثبت لهؤلاء بانه كان
لكوليت فضول وخيال من هو بمثل سنها ٠

عمليا فان هذه المخلوقة السوية والنهمة والصادقة كانت تكتفي
برفض الاغواء او ان تخضع اليه بصورة عذرية ٠ كانت تحب البوح
بالاسرار الشخصية وعدم التحفظ ولكن غريزتها كانت تحفظها من اى
بدوت لسمعة ٠ مما لاشك فيه كان تغنجها يفوق الحد في الكثير من الاحيان
كانت تريد ان ترضي الجميع ولكن بحسن نية تامة ومن دون تخطيط مسبق
بحيث ان جهليا يبرهن من دون شك على براءتها ٠ ان رغبتها الشديدة
بان تكون محط الانظار وبان يعجب بها وأن تكون محبوبة تحسدها
لاحريات ليست الا طورا من اطوار تطور الادراك ، وهذا الرضى عن
النفس وحب الذات الذين خففت عنهما طفولة جياشة وشعور حساس
يجعلان من (كلودين) قطة حقيقية بمخالب قوية منذ الان وبمزاج متقلب
مشبعة بالرقة ولكن غنية بالطهارة وحب ملح للعيش ٠ لن يكون من

السهل التنازل الى ذوق « لاذع » بذكر بعض النصوص التي وحسب نيه تكاتب لم يكن لها اى معني اخر . وبنفس الطريقة ففي احدى المختارات الادبية المحضة فان بعض صفحات « كلودين في المدرسة » لها مكان ثابت . يوم الامتحان والانشاء الفرنسي وباقة الازهار المقدمة الى الوزير الـــذي تنمع المدرسة في المدينة الصغيرة بفرح جماعي – وغيرها من النصوص التي تظهر موهبة منوعة وغنية ولكن رغبتنا لتبرير موقــف السيدة كوليــت لايعرض علينا ان ننقل هذه « النبذات المختارة » .

اذا كانت كلودين صورة لكوليت في بعض النواحي فلسنا على خطأ ولكن قيمة كتابة سيرة الحياة الذاتية (الاوتوبا يوغرافيا) لهذه الاعمال هي طفيفة جدا . بلاشك فان « مونتيني » ما هي الا « سان – سوفوران بويسه » القرية التي ولدت فيها وبأن الشخصيات الاساسية في القصـــة قد لوحظوا في الصورة الحية والممتعة ايضا لعالم الرخويات والذي يمكن التعرف منيا على شخصية الدكتور « روبينو – ديزفويدي » الاسطورية . ولكن في الاساس فان كلودين ليست الا جزءا مسهبا لكوليت .

دار « كلوديــن »

انه من السهل معرفة العناصر التي استخدمت لبناء النموذج . ان « بيت كلودين » و « سيدو » اعمال انجزت في فترة عندما كانت الطفولــه بالنسبة للسيدة (كوليت) مصدر عبقريتها تبوح لنا باسرار فريدة .

ان « دار كلودين » يعيد كلودين الى قصصها الخيالية وتزيـــــن (كوليت) بأحلى ذكرياتها . كانت الدار كبيرة وفي اعلاها كــــان هناك معرض للحبوب .. ان انحدار الشارع الشديد فرض بان تكون الاسطبلات

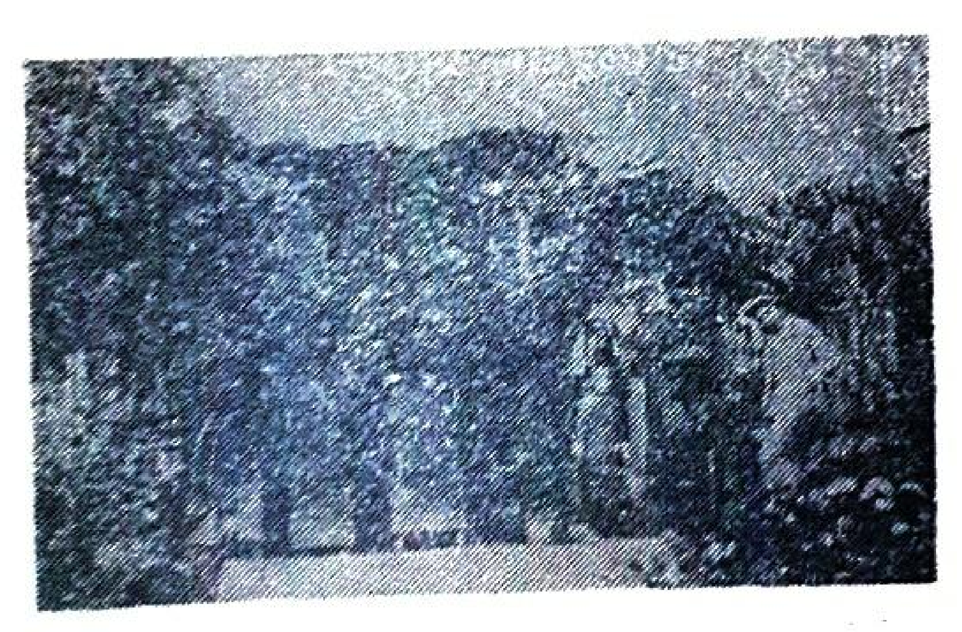
والكراجات واقفاص الدجاج والملبنة متواجدة بمستويات مختلفة حول ساحه مغلقة ٠ وكنت استطيع ان المس سطح قفص الدجاج باصبعي وانا متكئة على حائط الحديقة العليا ٠٠ وكانت تلك الحديقة تشرف على الحديقـة السفلى الضيقة والحارة والمخصصة للباذنجان والفلفل الاخضـر حيث تندمج رائحة اوراق الطماطم في ايام تموز مع عطر المشمش الناضج على اشجار قريبة من الحائط ٠ اما في الحديقة العليا فكانت هناك شجرتـي تنوب توأمين وشجرة جوز التي كان ظلها يميت الازهار وورود ونيل مهمل٠ وكان هناك سياج حديدي في النهاية بجانب « رو دي فيني » كان المفروض ان يحمي الحديقتين ولكني اتذكر بانه كان دائما معوجـا ومخلوعا مـن السمنت في الجدار تداعبه الرياح وايدي نبات متسلق خفية عبر قـرن ٠

دار كبيرة ولكنها متقشفه وخشنة تتصف بباب له جرس دار الايتام ويدخل له مزلاج مثل مزلاج السجون القديمة ٠ دار لايبتسم الا الحديقة ٠٠٠٠٠ دار وحديقة ما زالا موجودان هذا اعرفه ولكن ما الفائدة اذا كان سحرها قد هجرها واذا كان السر الذي يشرح القلب قد انفقد ٠ الضوء والرائحة والتناسق والالفة بين الاشجار والعصافير ودمدمـة الاصوات البشرية ٠٠٠ هل هي حياة لا استحقها ؟

في هذه الدار وفي هذه الحديقة يوجـد اربعه اطفال مؤدبين بصـورة تثير العجـب ٠

لم يصاحب اضطرابنا الغريب اى صراخ ٠ لا اظن بان احد ما التقى باطفال اكثر نشاطا واكثر هدوءا مثل هؤلاء الاطفال ٠ الان فقط اتعجب لم يطلب منا احد ابدا هذا الهدوء المرح ولا مثل هذه الحياة الاجتماعيـة المقيدة ٠ ان اخي البالغ من العمر تسعة عشر عاما والذى كان يشيد معدات للمعالجة بالماء بقرميد متجانس ومن الحديد ومن انابيب من الزجاج لـم

يكن يمنع اخي الاصغر بعمر اربعة عشر عاما من تفكيك ساعة ولا العزف على البيانو وبدون خطأ في نغم ما او قطعة سيمفونية ولا حتى ان يتمتع بتزيين الحديقة بصخور مقبرة صغيرة مصنوعة من الكارتون تحمل كل منها اسم وتأبين وشجرة العائلة لمتوفي ما ۰۰۰۰ اختي بشعرها الطويل كان يمكن لها ان تقرأ كما تريد ۰ دون راحة او نهاية ۰۰۰ كان الوالدان يمران ويمسانها وكأنهما لم يشاهدا هذه الفتاة الشابة الجالسة والمفتونة وغير الشاعرة بما يجري حواليها من دون ان يزعجاها ۰



كوليت واحد اخواتها في حديقة سان سوفور

عندما كنت صغيرة كان عندي وقت من الفراغ للحاق بهما وانا شبه راكضة بخطوات الشبان الطويلة الى الغابة لملاحقة « الكراند سلفين » و « العلايبه » و « المارس » الخجول او ملاحقة حية سامة ولكن كنت اتبعهما بسكوت ۰ كنت اقطف التوت او الزهرة ولكني اعبر الاحراش والمراعي المغطاة بالماء الذي لا يبالي بامثالي ! ۰۰

والده...



« ولذلكي يرضي ولكي يكافح ويرتجل ويقص القصص وفكرت فيما بعد بانه كان يمكنه ان يغوي « غرفـة » مثلما يسحر امرأة ما !
كان ابي ينتصب برشاقة على قواميه الفريدتين ويمسك بعكازته وعصاه ويصعد الى المكتبة . وقبل ان يصعد كان يطوى بعناية جريدة (اللوتان) ويخفيها تحت وسادة اريكته ثم يخفي في احدى جيوب سترته الطويلـة جريدة « لاناتور » بجلتها الزرقاء ... كانـت عيناه الصغيرتان تتألقان تحت حواجب مسها الشيب ويأخذ من على الطاولة المطبوعات التي تأخذ طريقها الى المكتبة والتي لن ترى النور بعد ذلك ابدا . وحيث اننا قـ ـ تعلمنا على هذا التفتيش فاننا لم نكن نترك له شيئا .

وباليد اليمنى كان يمسك بقوة العكازة التي كان يعتبرها بمثابـة يده اليمنى فيما كانت اليد الاخرى تمسك العصى .. كنت اسمعه يبتعد بثبات وايقاع العكاز والعصى وقدم واحدة هم الذين سندوني طـــوال ايام شـبابي .

« صورة عن (مينت ـ شيرى) »

كانت رائحة الاعشاب المسحوقة تحت الارجل تعم فوق النيل غير المقصوص والتي عمت بسبب الالعاب في كـل الانحاء . ونبشت كعوب صغيرة وغاضبة الممرات غير آبهة بالحصى على الحواش المستوية ... احد حبال القفز كان يتدلى من ذراع المضخة وكانت صحون اللعابة بكبر القوقمان منتشرة كالنجوم فوق الاعشاب ومواء طويل مزعج يعلن نهايـة

النهار ويقظة القطط وقرب موعد العشاء ! لقد ذهبوا لتوهم رفيقات الصغيرة في اللعب . لقد اهملن الباب وتسلقن فوق سياج الحديقة الى (رودفيني) المهجور بصراخ يشبه صراخ من سكن فيه الشيطان ومع قسمهم الصبياني الذي يدوخ الراس وحركات غير لائقة باكتافهن وأرجل مفتوحة وتقطيب وجه مثل الضفدعة وحول عينين متقصد ولسان ممدود ومصبوغ بالحبر البنفسجي . في الاعلى كانت الصغيرة - وتقول ايضا مينت - شيرى - اغمرت هروبهم بما تبقى لها من ضحكة ساخرة وكلمات سوقية !! .

..... ان ايام الاحد تكون في بعض الاحيان حالمة وخاوية . الاحذية البيضاء والفستان المنشى يحتفظان ببعض جدتهم ، ولكن الخميس يوم بطالة رزيلة - يوم اضراب عن العمل بصدرية سوداء وحذاء بمسامير يفتح المجال لكل شيء وخلال خمسة ساعات تذوق هؤلاء الاطفال اباحية الخميس !

لقد لعبوا طويلا « وفي النهاية لعب هؤلاء الاطفال لعبة « ماذا سأصبح عندما اكبر؟ » . بالرغم من قابليتها على التقليد لم يكن لها خيال على مجاراة اللعبة .. نوع من الحكمة وخوف قروي من المغامرة وكل ما هو غريب . يبقى ابنة مصلح الساعات وابنة البقال والجزار وصاحب المكوى حبيسة في حضن الام . ولكن جان قالت : - اني سأصبح داعرة !! « ولكن ذلك، فكرت مينت شيرى « هو طفولي » .

ولما جاء دورها قالت بازدراء « سأصبح انا بحارا لانها كانت تحلم في بعض الاحيان بان تصبح ولدا وتلبس السروال وطاقية (بيري)زرقاء . .

دراستها ..

في وقت ما وقبل ان اتعلم القراءة كنت اضع نفسي مثل الكرة بين مجلدين من القاموس « لاروس » مثل كلب في بيته ·

باكرا في ايام طفولتي السعيدة اوحى لي بـ « لابيش » و « دوديت » وكنت سيدة نفسي والعب مع تلميذة من معارفي « ميريمي » كانت في ذات الوقت ساحرة وقاسية ! وايضا « البؤساء » (لي ميزا رابل) بالرغم من « كافروش » · لكني اتكلم عن عواطف عقلانية قد ذاقت البرودة والتجرد لمدة طويلة ولايوجد حب بيني وبين « دوماس » ما عدا « قلادة الاميرة » التي كانت تتألق في منامي لعدة ليالي · لا لحماسة الاخوية ولا تعجب والذي غير الراضيين يغير من اهتمامي بـ « المسكتير » (الفرسان) ·

لم اهتم ابدا بكتب الاطفال · كنت مغرمة بالاميرة وعربتها واحلم تحت هلال القمر بالجميلة النائمة في الغابات بين مرافقيها المتمددين · لقد شغفت « بالسيد الهر » بجزمته القمعية الشكل كنت احاول ان اجد بين نصوص « بيرالو » السواد والمخملي والبريق الفضي والخرائب والفرسان والخيول باقدام « كوستاف دوري » الصغيرة · بعد صفحتين كنت ارجع بعد ان خاب املي الى « دوري » لم اكن اقرأ عن مغامرات « لا بيتش » و « الجميلة » الا في صور « ولتر كرين » الجذابة ·

كتب ······· كتب وكتب · لايعني هذا بأني قرأت الكثير منها ·· كنت اقرأ وأعيد قراءة نفس الكتب ولكنها جميعا كانت ضرورية بالنسبة لي وجودهم ورائحتهم وحروف عناوينهم وسطح الجلد المحبب ·

الم تكن الكتب الاكثر غموضا اعز علي ؟ منذ وقت طويل نسيت اسم كاتب

« الانسيكلوبيديا » المغلف باحمر ولكن تسلسل الحروف للمحتويات المذكورة على كل مجلد تشكل شكل لا ينسى كلمة سحرية « امنيك لادمج » ......
« الهميما روادفور يبستيفانزى » .
مجلدات سان سيمون مصفوفة في الرف عند رأس فراش والدتي وكانت تجد فيها كل ليلة متعة جديدة . كانت تتعجب لانه وانا بعمر ثمان سنوات لا اشاطرها ابدا ـ لماذا لاتقراءين سان سيمون ؟ هـذا كان سؤالها . انه عجيب كم من الوقت يلزم للاطفال لايجاد كتب ممتعة ؟ .
كانت تقول ـ ان هذا محرج جدا ! كل هذا الحب في هذه الكتب ـ ابنتي المسكينة مينيت شيرى ان الناس لهم اشغال اخرى في الحياة . كل هؤلاء في الكتب الواقعين في الغرام اليس لهم ابـدا اطفال لتربيتهم او حديقـة للاعتناء بها ؟ مينيت شيرى اني اجعل منك حكما : هل انت واخوتـك سمعتموني في يوم ما اثرثر عن الحب مثلما يفعل هؤلاء الناس في الكتب !

صور باني أستطيع أن اعلن ذلك بملء صوتي .. الـم إتزوج مرتين ؟ . او اليس لي اربعة اطفال ؟ .

ـ هل قرأتي قصة الشبح هذه مينيت شيرى ؟ انها جميلة اليس كذلـك .
ـ هل هناك اجمل من هذه الصفحة حيث يتجول الشبح في منتصف الليل تحت ضوء القمر في المقبرة ؟ عندما يقول الكاتب كما تعرفين بـان ضوء القمر كان يمر من خلال الشبح وبانه لم يترك خيالا على الاعشاب .... لابد انه منظر خلاب .... منظر شبح !

اود كثيرا ان ارى شبحا وسوف اناديك . ولكن مع الاسف لاوجود له . اذا كان باستطاعتي ان اصبح شبحا بعد انتهاء حياتي سوف لـن

اردد عن ذلك لمتعتك ولمتعتي . كانت تقول لي :

ـ هذا كتاب لابأس به مينيت ـ شيرى . نعم اعلم جيدا بان هناك هـذا المشهد في هذا الفصل .... ولكن هـذا خيال . الكتاب يبتدعون كما تعلمين منذ الاول . كنت تستطيعين ان تنتظرى سنة او سنتين قبل قراءته .... ولكن ما العمل ! دبرى حالك مينيت ـ شيرى . عندك ما يكفي من الذكاء للاحتفاظ بنفسك بالاشياء التي تفهمينها اكثر مما يجب من الممكن ان يكون هناك كتب سيئة .

كنت اذهب الى الحديقة مع كتابي الاول بالخفية . مملوء بقصة تافهة عن الوراثة يارب كم من كتاب اخرين مثل « زولا » . ابنة العمة المملؤة حيوية تتنازل عن ابن خالها التي كانت تحبه الى صديقة سقيمة وجدت كل ذلك مثل « اوهنيت » ياريت لم تتذوق الزوجة السقيمة سعادة ولادة طفل . لقد ولدته فجأة وبسهولة التفاصيل كانت ملفقة مع تفاصيل تشريحية وتمادى في وصف الالوان والوضعية والصرخة التي لم اعرف شيئا عنها وانا ابنة الريف . كنت اشعر بأني سريعة التصديق وقلقة ومهددة بقسمتي كأنثى صغيرة . حب الحيوانات الريفية الهر فوق القطة مثل الحيوانات الوحشية فوق فريستها وضوح ريفي يصل الى التقشف . الامهات الريفيات يتكلمن عن بناتهن الحاملات . ادعوكم لمساعدتي ولكن ادعو بصورة خاصة الصوت الساحر :

ـ لما ولدتك انت التي هي آخر اطفالي يا مينيت ـ شيرى تألمت ثلاثة ايام وليلتين . بينما كنت حبلى بك كنت سمينة . مثل البرج . ثلاثة ايام اظن طويلة . ان الحيوانات تخجلنا نحن النساء اللواتي لم يعدن يعرفن كيف يولدن بسرور . ولكني لم اندم ابدا على آلامي ، يقولون بان

الاطفال الذين تحملهن امهاتهن عاليا مثلك ويخرجون ببطء الى النور هم اطفال محببين جدا لانهم كانوا يريدون ان يبقوا قريبين من قلب امهم وان لايتركوا مكانهم الا بأسف .....

- عبثا - ان ترن في اذني الكلمات الحنونة التي تطرد الاشباح : كان طنين خفي يصم اذني . كلمات اخرى تحت عيني ترسم لي صورة العضلات المشدودة والغائط والدم ..... تمكنت من رفع رأسي ورأيت بان حديقة زرقاء وجدرانا بلون الدخان تتمرجح بصورة غريبة تحت سماء اصبحت صفراء ......



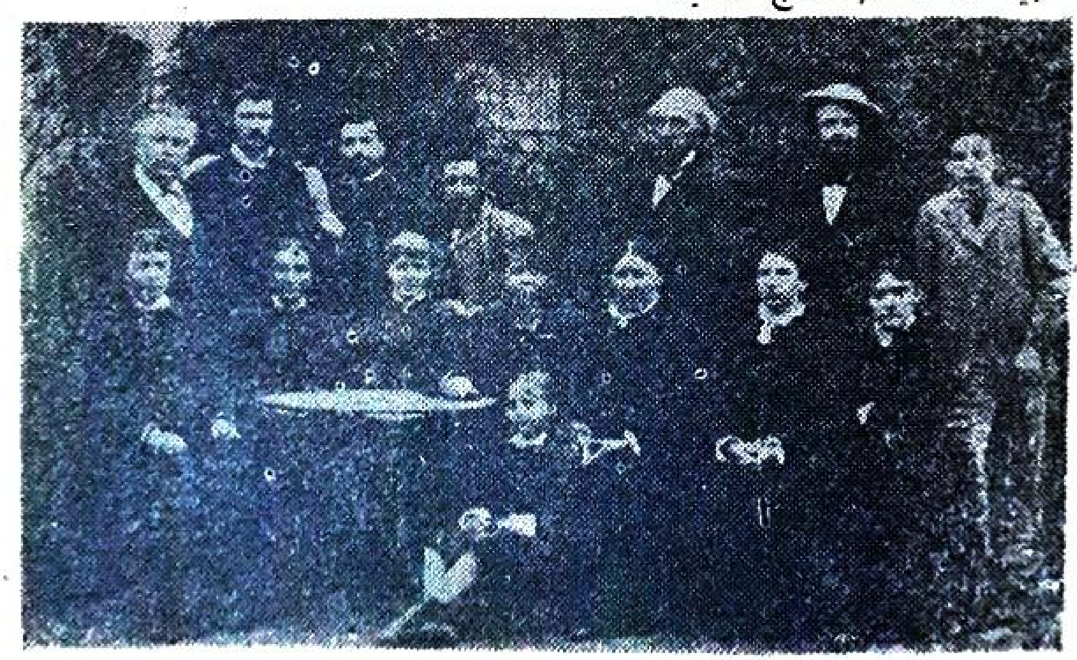
سيدو بعمر اربعين سنة

واستلمني العشب المدود والمرتخي مثل احد الارانب الصغيرة التي يجلبها الصياد طازجة ومقتولة ليسلمها الى المطبخ

الحيوانات الاليفة

للذي يعيش في الحقول ويستخدم عيناه كل شيء يصبح عجيبا وبسيطا . هنالك اوقات نرى انه من الطبيعي ان ترضع كلبة صيد قطه صغيرة وبأن تختار القطة مكان نومها تحت القفص الذي تغرد فيه طيور خضراء اللون باطمئنان والذين يسحبون بمنقارهم في بعض الاحيان بعض من شعر القطة النائمة ليضعوه في عشهم !! .

كم كان كل شيء رائع وبسيط بين هذه الحيوانات الاليفة في البيت الذي ولدت فيه ..... هل تصدقوا أبدا بأن قطة تأكل الفريز ؟ ، ولكني اعرف ذلك جيدا لاني رأيتها تفعل ذلك العديد من المرات وبأن هذا « الشيطان » الاسود « بابو » الطويل والمتعرج مثل سمك الجرى يختار بشهية من بين حديقة السيدة بوميه الورود المتفتحة ، وهو نفسه يتنشق عبير ازهار البنفسج الذابلة .



في صورة عائلية شامله ..

والدتها والدين !!

كانت تفتح كتاب التعليم الديني بدون تعيين وتغضب رأسا :

ـ ابدا لم تعجبني هذه الطريقة بطرح الاسئلة ما هو الله ؟ ما هو هذا ؟ ما هو ذاك ؟ علامات الاستفهام هذه والعادة المستهجنة باستقصاء والاستنطاق . اني اجدها غير لائقة الى اقصى حد وهذه الوصايا واسألك ؟ من الذي ترجم هذه الوصايا بهذه الطريقة ؟ بهذه اللغة غير المفهومة ؟ . لايعجبني أن ارى هذا الكتاب بأيدي الاطفال انه مملوء باشياء وقحة ومعقدة .

والطفولة تمضي في هذا المحيط الذى يثير العجب حيث كل شيء واضح ولكن هنا وهناك نجد بعض الاوقات الفريدة التي تصبح من الذكريات !!



صورة عائلية جامعة

الأخت

ذات الشعر الأحمر تتزوج !

حالما تزوجت اختي ذات الشعر الطويل انصاعت الى اقتراح زوجها الذى هو من عائلة جيدة بعدم زيارتنا عندما كان يتابع معاملات كتاب العدل والمحامين . كان عمري احدى عشرة سنة ، ولم اكن افهم العبارات مثل « وصاية غافلة » و « اسراف لايغفر » الذى استهدفت ابي وبعد ذلك حدث انقسام العائلة الشابة ووالدي .

« ومع ذلك فان الطفلة الناكرة الجميل ستضع طفلا » ! . .

كشبح وبثوب حمام ابيض ـ عبرت امي الشارع ودخلت الحديقة المقابلة . رأيتها ترفع رأسها لتقيس الجدار المشترك وكأنها تريد ان تعبره . بعد ذلك بدأت بالرواح والمجيء في الممر الوسطي وبدون شعور كسرت غصن من شجيرة عطرة وبدأت تفركه تحت ضياء البدر ، لم تخفى علي اي حس هذه الحركات . ثم وقفت بدون حركة ووجهها نحو السماء ، كانت تتصنت وتنتظر . صرخة طويلة اضعفتها المسافة والاسيجة وصلت الى اذنيها في نفس الوقت الذى وصلت الى اذني وضربت بيديها على صدرها . صرخة ثانية بنفس مستوى الصرخة الاولى إنتشرت في الجو وتلتها صرخة ثالثة . . . . عندئذ رأيت امي تضع يديها على جانبيها وتدور على نفسها وتضرب الارض بقدميها ثم بدأت تدعم ذلك بالانحناء والتعب العميق

وبذبذب جسمها المعذب وبضم ذراعيها اللتين لم يكن لهما اية فائدة وبكل لامها وقوتها كأم ٠ الأم وقوة الابنة الذاكرة الجميل القريبة جدا ولكن البعيدة جدا منها والتي كانت تضع مولودها ٠



مات وهو بعمر ٧٤ عاما ماسكا يد حبيبته ومشخصا عينيه المملؤة بالدموع والتي فقدت لونها واصبحتا بزراق غير صاف وحليبي وشاحبتين كسماء مغطاة بالضباب ٠ كانت مراسيم دفنه في مقبرة القرية من اروع ما يكون في تابوت من الخشب الاصفر وهو عار تحت رداء مثقب بالجروح ٠٠٠٠ رداءه عندما كان نقيبا في الفرقة الاولى « زواف » ـ وكانت امي ترافقني دون أن تتزعزع على حافة القبر ، صغيرة ولكن رابطة الجأش تحت حجاب وجهها ، وكانت تتمتم بصوت خافت له فقط كلمات الحب والمودة ٠٠٠٠٠ دخل هر صغير وحذر وساذج وجذاب بعمر اربع او خمسة اشهر ، كان يلعب لنفسه كوميديا بديعة وكان يسير بخطى موزونة رافعا ذيله كالشمعة مقلدا الهر الكبير ولكن قفزة خطوة الى الامام غير متوقعة وضعته جالسا ورأسه الى الاعلى عند اقدامنا حيث فزع من تصرفه الشاذ والتف مثل العمامة ثم وقف على قدميه الخلفيتين ثم انحرف ونفش شعر ظهره ٠

ـ انظري ! انظري اليه مينيت ـ شيري يا الهي كم هو مضحك ثم ضحكت امي الحزينة ضحكت بضحكتها المعهودة لما كانت شابة واخذت تصفق للهر الصغير ٠

تعتذر لانها ضحكت لا في ذلك اليوم ولا في الايام التالية لانها منحتنا هذه النعمة وهي بالرغم من فقدانها الشخص الذى كانت تحبه ستبقى بينما كما هي متحملة ألمها كما تتحمل فصل كئيب وطويل متقبلة من كافة النواحي نعمة الفرح الزائل ٠

سيدو ...

« ان الشهادة الشاعرية بترددات انسانية عميقة جدا والتي تنقلها السيدة كوليت في (سيدو) تحقق لمسة عزيزة في صورة الطفلة من خلال الاشخاص العزيزين الذين كانت تحبهم » .

في مرة ما بينما كانت تحل عقد خيط ذهبي لاحظت بانه يوجــد في نبتة الجيرانيوم السجينة خلف زجاج احدى النوافذ تحت الستارة مـن التول غصن متدل ومكسور ولكنه ما زال يعيش . فلفت الخيط الذهبي الذي فكت عقده نوا حول الغصن الذى اعيد الى مكانه بعد ان سندته بقطعـة صغيرة من الكارتون . كنت ارتجف من الغيرة في الوقت الذى لم يكـن العمل الذى قامت به سوى صدى شاعرى صادر مـن سـحر الاغاثـة سهلة التي ثبتت بالذهـب .

كنت احب الفجر كثيرا وكانت والدتـي تمنحني ايـاه كمكافأة : منحتني موافقتها على ايقاضي في الساعة الثالثة والنصف وكنت اذهــب وعلى كل من ذراعي سلة فارغة نحو ارض المستنقعات التي كانت في بقعه ضيقة قرب النهر . كنت اتوجــه نحــو الفريز و « الكاسيز » الاسود و « الكروسي » الشائـك .

في الساعة الثالثة والنصف كان الجميع نيام في زرقة اصيلة مليئة بالرطوبة والاضطراب وعندما سرت في الطريق الرملي كان الضباب الذى انتشر بفعل وزنه يغطي اولا رجلي ثم صدرى ثم يصل الى شفتي واذني وانفي الذى هو اكثر حساسية من اى جزء من جسمي .... كنت ذاهبه لوحدى وهذه المنطقة التي يفكرون عنها بالسوء لم يكن فيها اى خطـر

على هذا الطريق وفي تلك الساعات شعرت بقيمتي وبحالة من النعمة لا توصف . متواطئة مع النسمة الاولى التي تهب ومع اول عصفور ومع الشمس التي ما زالت بيضوية الشكل مشوهة عند بزوغها . عدت الى نفسي على صوت جرس القداس الاول، ولكن ليس قبل ان اكون قد شبعت من افكاري ، وليس قبل ان ارى في الغابة جماعة من الكلاب التي كانت تتصيد وحدها ، وليس قبل ان اكون قد ذقت من مياه نبعين ... احد النبعين كان يخرج من الارض صافيا بحركة ملتوية وبصوت يشبه النحيب ويخط طريقه الرملي ... كان يفقد الشجاعة حال ولادته فيعود الى الارض التي نبع منها . والنبع الاخر الذى كان لايرى تقريبا والذى كان ينسل من بين الاعشاب مثل الحية يسيل بسرعة في وسط المروج او النرجس بازهاره والذى هو فقط يشهد على وجوده .

ـ اني مستاءة جدا .... لم اعد ادري اذا كانت هذه مجموعة من بصيلات الزعفران او عذارى الفراشات .

ـ كل ما عليك هو ان تكشطي الارض لتعرفي .

يد رشيقة اوقفت يدى ـ من الذى صب وصبغ ونحت يد « سيدو » السمراء هذه التي ظهرت فيها التجعدات مبكرا بسبب اعمال المنزل والعمل في الحديقة والماء البارد واشعة الشمس . كانت اصابعها طويلة ومتناسقة ومدببة واضافرها بيضوية ومحدبة ....

ـ ابدا ! اذا كانت عذراى الفراشات فأنها تموت عند ملامستها الهواء واذا كانت بصيلات الزعفران فان الضياء سيذبل نبتتها البيضاء وسيكون من اللازم ان نبدأ من جديد ! هل تسمعينني جيدا ؟ لاتلمسيها ابدا ! .

ـ لالا يا امي ...

وفي هذه اللحظة فان وجهها المتوهج بالايمان وبالفضول العالي اختفى تحت وجه آخر اكبر سنا مسلم بأمره وممتلىء بالرقة ٠

كانت تعلم كما كنت اعرف انا بأني لا أستطيع مقاومة رغبتي لاعرف كل شيء ، ومثلها كنت انقب في تراب سندانة الازهار لاكتشاف أسرارها ، كانت تعرف باني ابنتها انا التي لم أكن افكر بشبهنا وباني منذ الان ومنذ صغري افتش عن ردة الفعل وضربات القلب المتسارعة والنفس المقطوع ، نشوة التفتيش عن الكنز وليس فقط لأعتني بالارض او الاحجار ٠ ان أوهام الذهب والجواهر ما هي الا سراب ٠ المهم فقط ان انجرد وان ارتفع عن ما لم تراه العين قبلي ٠٠٠

كنت ما ازال صغيرة عندما بدأ ابي يستعين بقابليتي للنقد فيما بعد ، وشكرا لله لم اعد تلك الفتاة التي هي أكبر من عمرها بعقليتها ولكن حسب ما أذكر كنت كالحاكم غير المتساهل عندما كان عمري اثنتي عشرة سنة ٠

ـ « اسمعي هذا » كان يقول والدي

كنت اسمعه وانا صارمة ٠ كان الموضوع نثر خطابي أو شعر يرحر بالايقاع والقافية ورنان مثل عاصفة في الجبال ٠٠٠

ـ ماذا تقولين « كان يسألني أبي » أظن بانه في هذه المرة ! ٠٠٠ هيا تكلمي !

كنت امسد راسي والمس ضفيرتي الشقراء وجبهتي العريضة ثم ذقني لمدور ثم ابدأ بالانتقاد ٠

ـ انك تستعمل دائما الصفات أكثر مما يلزم ٠

حينئذ كان أبي ينفجر ليسحق بالذم ذلك التراب وذلك النذل وتلك القملة المغرورة التي هي أنا ، ولكن النذلة من دون أن تتأثر كانت تقول :

ـ « لقد قلت لك منذ الاسبوع الماضي عن الشعر » أبول بيرت « بأنك تستخدم الصفات أكثر من اللازم » .

من الممكن بأنه كان من وراء ظهري يضحك وربما كان يفتخر ولكن منذ اللحظات الاولى كنا نتعامل كما لو كنا بعمر متساو ومتآخيين . أنا لا أشك بأنه هو الذي كان يسيطر علي عندما كانت تدمع عيني من سماع الموسيقى أو مشاهدة عرض راقص لكن ليس عندما اقرأ الكلمات ـلا أبدا ! . هو الذي كان يريد ان العب واعيش عندما بدأت أنا اكتب . وكان يثمنني بمديح ولو قادح ولكن له فائدة كبيرة من دون شك .

ـ هل تزوجت آخر الشعراء ؟ .

شعور ابوي ومداعبة وحنان عفوي كحنان الام يختلط ويجتمع الواحد مع الآخر ولي الان من الادراك الكافي والفخر الكافي لاوزعهم في نفسي وأنا كلي فرح من تطور لا أخجل منه أبدا .

كلودين في باريس ..

ترجمة

في المختارات الادبيـة لكتابات السيرة الذاتية فان « كلودين في باريس (عام ١٩٠١) تحتل مكانا متميزا . انه عمل أدبي مثالي للتعاون بين (كوليت) و (ويلي) وهو ثمين بالمعنى انه واضح . ولكن بصورة خاصة في تحرياتنا لنعرف ما الذي قامت به كوليت . وما الذي احبته وما الذي ابتدعته عن نفسها . فان هذا الكتاب يعطي مؤشرات انعطاف . فالكاتبة تبتكر شخصية « رينولد » ومع رينولد حب ... والذي كانت تود وبدون شك ان تعيشه وتعيد الى الذكرى ايضـا بعض حالات حساسياتها التي تلت وصولها في العاصمة كما يؤكد عليه إستشهادها .

ومع ذلك فان « كلودين في باريس » اقل من روعة « كلودين في المدرسة » اولا بالاسلوب الذي هو في الكثير من الاحيان إقل من مستواها في تنسيق احداث لقصة . وفي بعض الاحيان هزيلة في عدم توصلها الى جعلهـا لاذعة وجريئة ومخزية .

ان نفوذ السيد ويلي الذي تعزز بعد نجاح (كلودين في المدرسة) يوضح هذا التغيير في لاسلوب . والسيدة (كوليت) تفصح عـن ذلـك في (احترافـي) . وهي تقـول :

« في كلودين في باريس » و « كلودين تذهب » تخونني ذاكرتـي . هنالك شخص « رجل ناضج ومغرى (رينولد) لكنه غير لائق . وهو اقل وزنا من النفاحات الزجاجية الفارغة التي تزين بها اشجار عيد الميـلاد والتي تتكسر بين ايدينا الى قطع صغيرة . في « كلودين في باريس » تبرز شخصية تظهر من الان فصاعدا في جميع كتب ويلي .



ويلي وكوليت

- اذا اتجرأ ان اقول ذلك قد يكون ، هنري موكيس ، الشخص الوحيد الذي اباح به السيد ويلي عن نفسه واذا كنت اقول « نحن » فذلك لاني لا افهم كيف ان شخصا استثنائيا مثله يفرض علي ان اكون من عامة الناس بعد انعملت له وعملت بالقرب منه وصرت اخشاه ولا احاول ان اعرفه احسن . ان « موكيس » الذي يتوهج برذائل العائلة ، يحب النساء والكحول العربية واللعب بالالفاظ . ويحب الموسيقى ومثقف ومبارز وحساس ولكن ليس له اى ضمير ولكنه يلجأ الى التهكم لكي يخفي دمعة . ومنتفخ كالطير الزاهي الالوان ويسمي النساء في رداء النوم « ياطفلتي » ويفضل النساء شبه العاريات على العاريات . ويفضل الجواريب القصيرة على جواريب الحرير الطويلة ، ان (موكس) هذا هو ليس مني انا .

ان السيد ويلي عندما خلق « موكس السمين » هذا استسلم الى احدى حالاته من جنون العظمة واستحواذ رغبة التذمر عليه باستحداث حب من خياله .

لقد خلقت في « كلودين في باريس » شخصية لوطية وحيث انني حررته تمكنت من اطراء المديح على شاب كان يسليني بكلمات غامضة بمخاطر ما او باخرى عندما ربطتني الصداقة فيما بعد مع « بولير » والتي رأيتها غارقة في الدموع بسبب عاصفة غرامية .... قالت لي ومخالبها ما زالت جاهزة مثل قطة غامضة «آه يا كوليت كم هو من الممكن ان تشعري بانه طيب هذا النذل بجلده واسنانه....لا ... لايمكن ان تعرفي ذلك!» لا ! لايمكن ابدا من ان اعرف ذلك ..

حول السيد ويلي يتحدد الموقف الادبي النهائي والواضح للسيدة (كوليت) .. اذا كانت قضية ويلي تختص فقط برجل عادي يدقق

امناجات الكتاب ويوقع عليها لما كان يستحق الا أن نذكره بايجاز ، ولكن الاسف سيوجد دائما في مهنتنا من يعضهم الجوع ٠ ان « قضية ويلي »



موقف ووجـه بولـــير

فريدة من نوعها ٠٠٠ الرجل الذى لايكتب وله موهبة تفوق موهبة الذين يكتبون عوضا عنه !!

اذا كان يكتب قصة فمن المحتمل بانها ستفوق في براعتها واكيد بذوقهـا السليم مجلدات لا اريد ان اذكر عناوينها ٠ لكنه لم يكتب ايـة قصـة وهذا شيء يؤسف له ٠ بين الرغبة والحاجة الى اخراج مادة مطبوعـــة وامكانية الكتابة تشكل عند هذا الكاتب الغريب عقبة لم اتبين شكلها او طبيعتها والتي يمكن ان تكون مخيفة ٠ انها لا تكشف سوى رفض الكتابة.

ن العبارة التي كان يرددها دائما ـ وانا العارفة ـ كانت « بسرعة يا صغيرتي بسرعة لايوجد حتى قرش واحد في البيت » ٠ وفعلا وبسرعـة

تذهب سكرتيرانه الى مكتب البريد محملات بالبريد الوفير . اسرع « بيير فيبر » و « جان دى تينان » و « كورنونسكي » و « بولستين » و « باسورف » و « ريموند بوبير » و « جان دى لاهير » ..... الخ ينهكون انفسهم لانتاج فصول قصة . بسرعة « فيلرموز » بعد « الفريد ارنست » و « اندري هاليس » و « ستان كوستنان » و « كلود ديبوس » و « فنسنت داندى » و الذى كان يغذى « رسائل دليلة المسارح » اسرع « اوجيني دى سولنير » و « اوساريس » . بسرعة وبسرعة كنت اكتب قصص « كلودين باربعة مجلدات » « ميني » و « ضياع ميني » و « عزلة غرامية » . كنت اشمئز . ولا اظن بأني من خلال هذه الصفحات التي هي من تفكير مسلسل واحد اترك لنفسي ان اقول السبب... اني اجهل اسماء المتعاونين في الفترة الاخيرة اما القدماء امثال « بيير فيبر » و « فيير موز » و « كر » الممتاز اميز من يعجبهم اكل الطعام « مارسيل بوليستن » وانا فقد كانت لجميعنا العادة عندما كنا نتذكر ماضينا حيث كنا مغفلين ان نقول « في الايام التي كنا نعمل فيها في ورشة العمل ..... » .

ان حياتي كامرأة تبدأ اعتبارا من هذه المناوشة: ملاقاة صعبة بالنسبة الى فتاة القرية . قبل ان التقي به وما خلا انهيار عائلتي ماديا وبيع اثاثنا بالمزاد العلني كان كل شيء بهيجا مثل الورد ـ ولكن ما الذى افعله بحياة لم تكن مفروشة الا بالورود . الذي يجب ان يكتب هو قصة هذا الرجل والمعوق الوحيد بانه ليس هناك من يعرفه بعمق . هنالك ثلاث او اربع نساء اعرفهن ، وبما انه قد مات فان ارتجافهن يقل ببطء ولكن عندما كان على قيد الحياة فاني اقر بانه كان لهن العديد من الاسباب .

كنت اظن دائما بان السيد ويلي مصاب بنوع من الخوف من الفراغ - نوع من الخوف العصبي من رؤية ورقة خالية من الكتابة ، اني اظن بانه



كوليت وكلبهـــا

كان فريسة عجز باتولوجي والشجاعة وقابلية الثبات بالجلوس دون تفو. على جانب الحقل الذي ما زال على طبيعته والورق الخالي من الكتابـــه ومن الاوتدة والشطب . يمكن انه كان يمل من العمل بصـــورة كبيرة - هذا الطبع عليه وذلك يجب الاطلاع عليه - لايوجد شيء مؤلم مثل الملل - ولذا كان يفضل بان يستبدل الملـــل باجراءات ومجازفات الادارة وتكون للنوعية من بينها - مع الاسف - اقل الامور اهمية . من الممكن اعتقد في يوم من الايام بانه سيبدأ بالكتابة وبأنه على شفا البدء بالكتابة وبانـــه سيكتب وبانه يكتب ..... وعندما يأخذ القلم بين انامله يجد بأن ضعف ارادته يجعل احلامه تتلاشـــى !! ..

ها هي في باريس « كوليت » مثل بطلتها عاشـــت هناك منـــذ ثمان سنين وكانت تسكن في شارع جاكوب في الطابـــق الثالث وبين باحتين . هذه مثل تلك فقدتا الرغبة في بداية وجودهما في المدينة . ان الحمى تتعب الاجسام التي غابت عنها الروح . « هنالك دائما في حياة الكائنات الشابه لحظات حيث تشعر بأن الموت بالنسبة لهن هو الملائم والطبيعي وكذلـــك مفر مثل الحياة ولكني تمهلت » هذا ما تبوح لنا به كوليت في كتابهـــا « احترافي » مع هذا فان الشباب ينتصر ! كلودين مثل كوليت تمر بدون نقاهة . لقد فقدت كلودين شعرها حسب وصفة الطبيب بينما كوليـــت قصت شعرها انصياعا لاقتراح ويلي . ان التشابه بينهما لايتوقف بدون شك عند هذا الحد ولكن علينا ان نعود الى القصة حيث تتذكر كلوديـــن الريف الذي ولدت فيه بحسرة .

« .. كنت اسير في الطرق الطينية وفي الغابات بلون الصدأ ممطرة بالفطر والطحالب المبللة قاطفة الازهار الصفراء ومحبة للصلصة بالكريمة ولحـــم العجل المحمر في المقلاة . ومع مرور الايام ادركت طيش سكناي في باريس الذي كان نوعـــا مـــن الجنون .

في احدى الايام بين اغصان الغابة المتشابكة في الوادي كنت انظر الــى
الاعلى ... الغابة التي احبها اكثر من اى شيء في العالم والمروج الصفر،
والحقول التي تم حراثتها حديثا وترابها النضر والذي يقرب لونه مــن
اللون الوردي والبرج العربي الذى يطل من فوقها . ادركت وبكل وضوح
الغلطة التي ارتكبتها عند مغادرتي قريتي والم الفراق حتى كدت ان اركض
مسرعة الى البيت لاتوسل بان يسحبوا مسامير الصندوق الـذي يحتوي
على الكتب . لماذا لم افعل ذلك ؟ لماذا بقيت في فراغ ويدي باردتين تحـت
قبعتي الحمراء ؟ ان الكستناء تسقط فوق رأسي في قشرتها وتوخز رأسي
قليلا مثل كبابة الصوف التي نسيت فيها الابرة !

دور التفاهة انتهى !.

قريبها مارسيل الشاب ـ لم التقي ابدا بانسان وديع مثله . ولكنه كان كالفتاة تلبس السروال !! بشعره الابيض المسترسل وبعينيه الزرقاويتين وليس له شارب اكثر مني . وردى اللون ويتكلم بهدوء وبعينين شاخصتين بالارض . يود الانسان ان يلتهمه .

« ان فضول كلودين اخذ يتيقظ ويتغير الى رغبة » السوء الذي لايشكل خطرا، لقد قرر كل من مارسيل وكلودين ان يتبادلا الاسرار حول تجاربهما الجنسية والعاطفية

ـ اه رأسي ! اين تجدين مدرسة كهذه ؟ ولكن « لوس » ؟

ـ « لوس »تتأوه اكثر من اى شخص اخر وفي الايام التي كانت تشعر بأنها « ضائعة في الغابة » كانت تأتي الي للمواساة .

ـ كلودين اشعر بالبرد . اناملي تتجمد . ارشديني يا كلودين ـ كلودين عزيزتي .. وكانت تختبيء تحت معطفي وتقبلني .

ـ ماذا تقولين ؟ ماذا كان يسألني مارسيل الذي كان يستمع لي فاغرا فاه وخدوده متوردة « كيف كانت ..... تقبلك »

ـ « نعم كانت تقبل خدي وايضا رقبتي كأنها فقدت توازن عقلها » كنت اجيبه فكان يقول لي « هيا اغربي عن وجهي فانت لست احسن من النساء الاخريات » .

ـ « (لوس) لم يكن لها هذا الرأي ابدا (وكنت اضع يدي على كتفيه لأهدأه) » لاتغضب فان الاشياء الفضيعة آتية . »

سيدما (! يدخل دائرة الوجوه الجديدة « رينارد » والد مارسيل » :

شخص رشيق القامة ونحيف البنية ، شخص مرموق ٠٠ الكثير من شعره الكستنائي قد اصبح ابيضا ٠ وشاربه الاشقر بدأ يصبح فضيا وعيناه كان يسودهما الصفار تحت جفون تعبة ، لم ينظر الي الا للحظة واحدة ، ولكنه يعرف كيف يوجه انظاره ! لم يكن كبير السن ٠ انه اب ما زال يافعا ٠ اما انفه فكان يجلب النظر فقد كان منحرفا قليلا ومنخريه بحركة دائمية وتحت اهداب سوداء جدا ، وكانت عيناه الرماديتين الزرقاويتين الداكنتين تشعان ببريقهما ولم تكن اذنيه قبيحة بالنسبة للرجال وشعره كان ابيضا مثل القطن المندوف !

« كلودين يرافقها عمها « رينولد » تلتقي بـ « موكيس » (وتعطينا نموذج من نثر ويلي) » ٠

ـ « ولكن هل اعجبك هذا (الترومبون) الذي كان يعوى خلال هـذه الليلة ؟ اذا كان نائما بالرغم من هذا الصخب فذلك لانه قرأ « فيكوندديت » قبل ان يلقي بنفسه في السرير ٠

يالها من اوركسترا خائبة ٠ كان هنالك عازف ناي صغير يصـدر نغمات البؤس في هذه الباليه المريضة في نفس الوقت التي كانت تصدح انغام القيثارة المنسجمة اذا وقع في يدي فساجعله يبتلع التة الموسيقية من ٠٠٠٠٠٠ » ٠

ـ « يا صديقي ! يا صديقي هذب كلامك المتشنج اذا تستمر على هـذا المنوال فانك ستفقد كل قابلية الاعتدال في التعبير ٠

حول موكيس كتفه العريض ونظرت الى انفه الصغير والى عينيه الزرقاوتين والبارزتين تحت جفنين مرتخيين وشارب كثيف فوق شفتين

مثل شفاه الاطفال .... ولكن كان لايزال منتفخا من الغضب الذي قد يكون هناك مبررا له وعيناه كانتا كنافذتين صغيرتين وعنق منتفخ مثل ثور صغير له رقبة الضفادع المنتفخة .

تظهر لنا كلودين في باريس اقل اتزانا واكثر قلقا بالرغم من جرأتها المتغطرسة كانت تفتش عن وتنتظر حبها الكبير برغبة كبيرة - ذلك الحب الكبير الذي يملي عليها تصلبها علي ان اكون ماكرة في الحياة وان اصرخ من فوق السطوح .

« لايعلمونني شيئا ! لقد قرأت كل شيء ! وافهم كل شيء ! . ان عمري لايتجاوز السابعة عشر ، هذا هو الواقع . وعندما يقرص قفاي رجل وانا سائرة في الشارع او عندما تعيش صديقة لي ما اقرأه في الكتب يصيبني القلق فأقوم بالضرب بمظلتي او اهرب من الرذائل : في باطنك يا كلودين انك فتاة مبتذلة ولكن نزيهة ..

.... اني فتاة صغيرة كئيبة يرثى لها . كنت الجأ في الليل تحت شعر « فرانشيت » الاحمر لاخبيء فمي الحار وعيوني المتعبة . احلف لكم نعم احلف لكم بان ذلك هو ليس بسبب تعطشي لزوج ما . اني بحاجة الي اكثر من زوج ! .

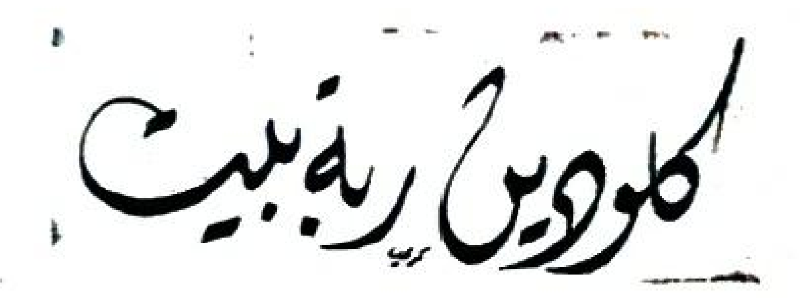
.... كانت حريتي تثقل كاهلي واستقلاليتي تفوق كل قابلياتي - ان الذي كنت افتش عنه منذ اشهر طويلة - ومنذ زمن بعيد - هو وبدون شك كائن معين . ان النساء المستقلات هن لسن نساء . » ان العم رينود يحب هذه الفتاة الصغيرة الكئيبة وتستسلم لهذا الحب وتتزوجه » .

خلال « بعض ايام شبابي » - تقص لنا مدام كوليت في كتابها « الطاهر وغير الطاهر » قائلة :

- كنت اعاشر ولمدة طويلة اجناس من الذين يمارسون اللواط وبذلك بفضل سكرتيرة ويلي الزنجية .

...كان بعضهم يبوح لي باسراره ويستدعي اصدقاءه ، وكنت اجد بينهم شبابي لغاية عمري الحقيقي . كنت اضحك بين هؤلاء الشباب الذين لايمكن ان اخشى منهم شيء ما . تعلمت كيف يلبس الرجال الملابس بصورة صحيحة لانه كان من الجنسية الانكليزية وعامة كان يلتزم بما يمليه عليه التأنق . نفس ذلك الشباب الذي كان يحمل على جسده وبصورة مخفية سلسلة في اخرها فيروزة لاتتزين بها غير النساء كان لا يسمح لنفسه ان يلبس رباطا او منديلا مزركشا حول العنق . كنت ازورهم مرارا ولكن لم استجوبهم الا نادرا ولم ابدي اي فضول وانا بينهم كنت اطمئن هؤلاء الرجال الذين لا أتجرأ ان اقول عنهم بانهم اشباه الرجال ، ان الرجل الحقيقي يستتبان بكونه يعيش بعنف وبثقة بأنه سيموت بصورة مثالية ، موت عنيف وابتزاز لابد منه وبأن يسرق من قبل المومس . اجراءات بغيضة ..... لبس رباط العنق والسروال ثم الموسيقى والادب والمهر والزواج . اصدقائي الغريبين كانوا يتكلمون بكل صراحة عن كافة المواضيع وكانوا يسألون لماذا يضفون عليهم صفة « من لاشعور لهم » !! .

كانوا يعرفون بصورة دقيقة ما الذي يعجبهم وما لا يعجبهم . كانوا يعرفون جيدا الاخطار التي يعرضون انفسهم اليها وحدود تعصبهم الشخصي واذا كانوا ينصاعون الى التعقل فانهم كانوا ينسون ذلك في اغلب الاحيان . اني مدينة كثيرا الى صداقتهم الباردة والى افكارهم الناقدة والقاسية . علموني بان الرجل لا يكتفي فقط ـ بحب رجل اخر ولكن يمكن لاحد الجنسين ان ينسى الجنس الاخر وبذلك لايعود له حاجة به . ان هذا النص يقربنا من صورة مارسيل (ابن العم في حلاوة كلودين) الذي ظهر في (كلودين في باريس) .



« (كلودين ربة بيت) تتحفنا منذ الان باسلوب السيدة كوليت الموجز . ان هذا العمل الكتابي يفصح لنا عن كلودين وهي واقعة في الحب ويحكي لنا ايضا عن خيبة املها . كانت تنشد سيدا وعطفا كبيرا ولكنها لاتجد الا رجلا هزيلا والكثير من المجاملة المشكوك فيها . وهذا ما تقوله لنا السيدة كوليت في (احترافي) عن فترة من حياتها التي تزامن مع هذا الكتاب » .

. ارى بأنه من الطبيعي ان اعيش وجيوبي خالية مثلما كانت خالية قبل زواجي ولم افكر ايضا بأنه يمكنني ان اعيش عيشة افضل .

بعد تناولي كاكاو الصباح كنت البس ملابسي الفوقانية السوداء لم كن ادرك بأني كنت اجعل فتاة لها كل الحيوية تذبل . فتاة نشات بين الخير الوفير الذي يوفره الريف للفقراء . لتر الحليب بعشرين سنتيم والفواكه والخضروات والزبدة بأربعة عشر سنتيم لكل اوقية . والبيض بستة وعشرين سنتيم لكل (٢٥) بيضة . والجوز والكستناء ... لم اجوع في باريس كنت اختبيء خاصة لكي لا اتعرف على باريس وبعد عشرة اشهر من الزواج كان لي اسباب كثيرة كي اخشاها .... هل يمكن تفهم قيامي بتغيير حياتي القروية بالحياة التي كنت اعيشها عام ١٨٩٤ على انها مغامرة من النوع الذي يجعل فتاة صغيرة بعمر العشرين تيأس اذا لا تتمل ! الشباب يساعده الجهل . بدأت بالتمل . تمل يلام عليه

وباندفاع المراهقين الكريه وغير النقي · هنالك الكثير من الفتيات اللواتي بالكاد قد وصلن سن الرشد يحلمن بـــان يصبحن محط انتظار ودمية وداعرة ممتازة لرجل ناضج ! انه جسد كريه تكفر عنه باحتوائه ، جسد يسير جنبا الى جنب مع المراهقة وعادة قضم الطباشير والفحم وشرب ماء ينظف الاسنان وقراءة كتب رزينة وغرز الدبابيس في راحة اليد . وعليه فقد عوقبت كثيرا وباكرا » ·

ان هذا النص ينير بضياء النهار الساطع قصة الحب ويمكننا مـــن المشاركة الصميمة في ما تبوحه لنا به كلودين · لاتقول لنا كلودين شيئا عن مراسيم الزواج · لقد احتفظت لنا السيدة كوليت في « الزفاف » الذي نشر عام ١٩٤٣ باحسن ما خطه قلمها · ولكن كلودين تبوح لنا عن اسرار ليلة الزفاف فتقول :

« يتخيل لي باني مازلت هناك ! اني ارى نفسي ! انـــي هناك ! ماذا ! لقد حان الاوان ؟ ما العمل ؟ · اجلسني على ركبتيه وانحنى نحو فمي دون اية مقاومة اطلقت العنان لنفسي كي ارتوى كانت لي رغبة بالبكاء او على الاقل كان لي شعور بان استرسل بالبكاء بكل غباوة اسرعت بفك ازرار ملابسي التي بعثرتها ثم رميت حذائي في الهواء ململمة تنورتي بين اصبعين من اصابع قدمي وبعد ذلك رميت « الكورسيه » الذي كنت ارتديه فعلت كل ذلك دون ان اترك عيني تقع على رينولد الذي كان جالسا امامي · لم يبقى على جسمي سوى القميص الداخلي وقلت « اني هنا » ووقفت امامه متظاهرة بالجسارة وانا افرك بحركة عفوية التجعدات التي خلفهـا (الكورسيه) على جسمي · لم يتحرك رينولد ولكنه مد رأسه فقط ومسك يدني الاريكة بيديه واخذ ينظر الي · كلودين البطلة اخـذت تشـــعر بالضياع امام هذه النظرات · ثم شعرت بنوع مـن الذعر فركضت نحو

الفراش وارتمت عليه . الفراش الذي لم يرفع الغطاء عنه ..... لحق
بي هناك واحتضنني وهو متوتر الى درجة بحيث كنت اشعر بعضلاته
وهي ترتجف قبلني وهو في ملابسه . يا الهي ما الذي ينتظره ؟ لماذا لايخلع
ملابسه ايضا ؟ كان فمه وذراعيه تحتجزانني دون ان يمسني جسمه .
ابتداء بثورتي المرتعشة لحين استسلامي الحلو ولغاية انيني الشهواني الكريه
والذي كنت اريد ان احبسه حفاظ على كبريائي . بعد ذلك خلع ملابسه
وبعثرها مثلما فعلت . قمت بحركات بوحشي واخذ يضحك بصوت زحمه
ليغيض كلودين الدهشة والاهانة . ولكنه لم يطلب مني شيئا ! لا شيء
سوى حرية تمسيد جسدي الى ان نمت عند الفجر على الفراش الذي
لم يرفع عنه الغطاء » .

ها نحن اذا مع ماتسره لنا به كلودين وبقي علينا ان نرى حياة
هذين الزوجين الجديدين وهذه الاسرار التي تبوح لنا بها تكشف عن
ذلك .

« ان الملاطفة الوحيدة التي ما كان بوسعي ان امنحه اياها هي
مخاطبته بالصيغة التي يخاطب بها المقربون . كنت اخاطبه دائما بالصيغة
التي يخاطب بها الغرباء وفي كل الاوقات . عندما اتوسل اليه وعندما
اتفق معه وعندما يجبرني الم الانتظار على الكلام بصورة متقطعة
وبصوت لايشبه صوتي . ولكن مخاطبتي اياه وكانه غريب اليست هي
مداعبة فريدة تداعبه بها كلودين هذه ولو انها مداعبة قاسية قليلا .
كنت اتمنى فقط بان تتسلط ارادة رينود على ارادتي . وبان تضعفه
يروض انتفاضاتي العنيدة . وبكلمة كنت اتمنى ان يكون له نفسية
معتادة على الامر وعلى الاغراء قوة ارادة رينود وصلابته !! .....
انه مرن اكثر من شعلة النار ومتارجح مثلها . كان يحتويني دون ان
يتسلط علي ! مع الاسف ! كلودين هل عليك دائما ان تبقى سيدة امرك؟»

تبين لي بان الشهوة هي شيء بديـــع ومرعـــب ولكنها مبهمة تقريبا .
يقولون بانه بالنسبة له ـ وانا اشعر بان هذا هو الذى يفـرق بيننا ـ
بان الشهوة تنبع من الرغبة والانحراف والفضول المفعم بالحيوية ومـن
الالحاح الداعر . ان اللذة بالنسبة له هي مرحة وشفوقة ومتساهلة بينما
كان يجعلني اهرب منه ويدفعني الـــى اعماق يأس عجيب افتش عنه
واخاف منه . كان يمتاز بقابلية عدم تسليم نفسه وبأن يتملص وبـأن
يحتويني بعطف مراوغ . كان يحبني ولاشك في ذلك واكثر من أي كائن
اخر . والحمد لله كنت احبه وهذا مؤكد ايضا . ولكنه كان له انوثـة
اكثر مني !! كم كنت اتمنى ان اشعر بانـه اكثر بساطـة واكثر قسوة
واكثر اندفاعا شهوانيا . سواء على باطل او على حق اني احتاج الـى
أن احترم وان اخشى قليلا من احبه . لقد تجاهلت الخوف لامد يوازي
تجاهلي للحب وكنت اتمنى بان اجدهما فيه » .

كلوديـن تلتقي بوجوه جديدة

بالنسبة الى المصادر التي يمكن ان تكون بانها كانت مصدر الهام
السيدة كوليت علينا ان نرجع الى الاسرار التي تبوح بهـــا في كتاب
« احترافي » والتي هي كالعادة اما متناقضة بصورة تثير الفضول او انها
متممة لما ورد سابقـا .

ـ « تعرفت الى رجال ضخام مثل « كاستون لارو » على سبيل المثال ـ
ولكن السيد ويلي لم يكن ضخم القامة ولكن جسمه كان منتفخا ـ كانت
جمجمته ضخمة وعيناه كوردة وانفه صغير مـن دون ان يكـون قاس بين
خدود متدلية وكل خطوط وجهه مقوسة . كان فمه ضيقا يتكلف اللطافة
تحت شارب كثيف بلون اشقر مائل الى اللون الرمادى وكان يعتني به
دائما . كان في ابتسامته شيئا انكليزيا لادرى ما هو . جسم مستديـر
وتصرف لطيف وصلعة تلمع تحت الضياء وتجذب الانظار وصوت عذب

ان القليل الذى رايته عبر هذه العدسات الواقية كان يكفي بان احلم ولكن بتعقل ٠ انها لحظة تثير العجب في حياة الانسان عندما يلد الخوف٠

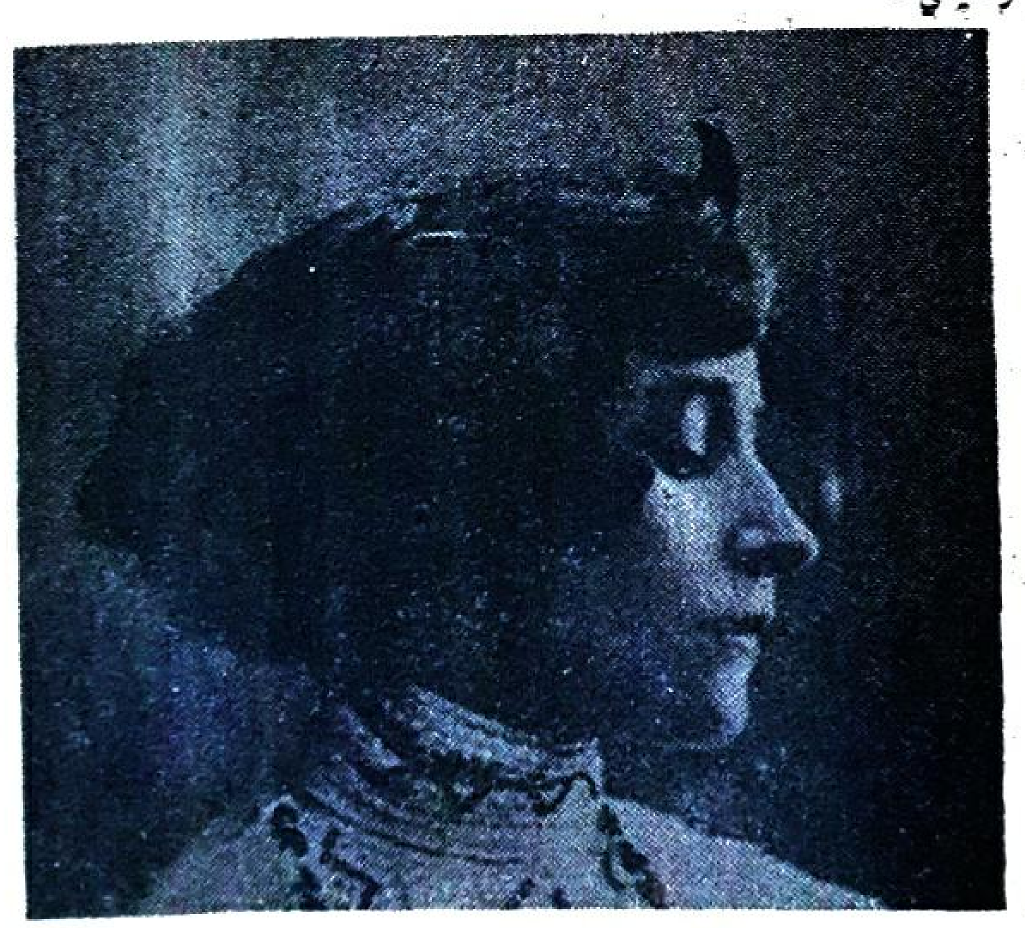
هنالك حد بين الشجاعة في غير موسمها وبسالة الفتيات ولكن بدونها سنلاحظ عقود زواج اقل لا بل سنرى اقل هؤلاء المتهربين الذين ينسون كل شيء حتى الزواج » ٠

هذه الاسطر هل هي صدى لما ورد في كتاب « احتراقي » ؟ ٠

« ان الشجاعة الشهوانية الحارة ترمي بين احضان الذين يغوون والشبه شاحبين بفعل الايام الكثير من الفتيات الشابات الجميلات اللواتي فقدن الصبر ، وعن هذا الامر ـ اذا لاتخونني ذاكرتي ـ كنت اشد الخصام ٠ ان الشخص المفسد لايحتاج حتى الى تحديد السعر ، ان غنيمته التي ضاقت ذرعا لاتخاف من اي شيء كان لتبدأ ولكنها في اغلب الاحيان سرعان ما تتعجب ٠ وما الذى نفعله بعد هذا ؟ » هل هذا كل ما في الامر ؟ » « هل نبدأ من جديد على الاقل » ؟ وطالما يدوم تمتعها او فضولها فانها تخطيء في تقييم الشخص الذي يعلمها ٠ ياريتها تتامل اكثر خيال الرجل الذى أغواها في ضوء القمر أو المصباح . ان هذا الخيال سيفصح عن رجل متقدم في السن ونظرة غير واضحة لايمكن التعمق فيها وقابلية البكاء التي تجعل الانسان يقشعر وصـــوت مقنع بصورة تثير العجب وخفة غريبة لرجل سمين بصلابة الريش المطعم بالحصى » ٠

ولكن لنستمع الى كلودين وهي تبوح لنا بالمزيد من اسرارهـــا . « منذ عام ونصف وانا اشعر بانتشار الانحلال الخلقي اللذيذ والبطيء في داخلي والذي انا مدينة به الى رينود ٠ عندما ننظر الى شيء ما سويـه كانت الاشياء الكبيرة تصغر ، وجدية الحياة تقل ، والتافه وغير المفيد والمؤذي بصورة خاصة يصبح له اهمية كبرى !! ولكن كيف يمكن مقاومة العبث المستعصي والساحر الذي يجرفنا نحـــن الاثنين ؟

هنالك بما هو اسوء ، كشف لي (رينولد) سر اللذة التي تمنح ويشعر بها المرء . كنت اتمسك بها والتذ بها بكل عواطفي كطفلة بيدها سلاح مميت !! لقد كشف لي القابليات الدفينة والمتجدده في جسدي الطوين والمرن بعضلاته النامية . كان يسافر كثيرا اما انا فلم اكن أسافر الا القليل . ليس في من البداوة الاروحيا . كانت تعجبني السفرات التي لها نهاية . ولكن بالنسبة له فانه كان مغرما بالسفر . كان يتيه فرحـا تحت سماء بلد غريب وهو يفكر بانه سوف يغادر اليوم ايضا . وكان يغادر غير آسف لاعلى القرية الصغيرة ولاعلى الازهـار ولاعلى الشراب الفعال . كنت اتبعه ... ولكني كنت اشعر وكان هنالـك خيطا ملتفا حول قدمي طرفه الاخر ملتف ومعقود في شجرة الجوز القديمة في حديقة « مونتيني » .



كوليـت في العشريـن

خلال سفرة قصيرة تنجذب كلودين بحنين خفي فتنغمس في عالم طفولتها .. هنالك في اعالي جبال « فريدون » التي تقابل تلك في « الغالية » .. هنالك طريق يلتوي برمله الاصفر . كم هو ضيق .... لقد قتلوا غابة « الكوربو » دون اذن مني ، ان جلده المنسلخ واضح الان عار .... يالفرحتي ان ارى ثانية « مونتاين او كاي » بزرقتها وغموضها وهي ترتدى لباسها الشفاف بالوان قوس القزح في الايام التي تكون فيها الشمس مشرقة ، انها مليئة بالقواقع المتحجرة وباشواك بنفسجية اللون وبازهار متصلبة وترتادها فراشات صغيرة باجنحة من الصدف الازرق وفراشات كبيرة مزركشة بهلال برتقالي اللون مثل زهرة الاوركيد وفراشات بمخمل قاتم ومذهب . » عند العودة من هذه السفرة ـ بدأت كلودين تشعر بان المسافة التي تفصلها عن رينولد ومن مثاليته في الحب تزداد بعدا ، . في الحقيقة ان رينولد كان معجب بما تترثر به المرايا وبانعكاساتها البذيئة بينما كنت اهرب منها واحتقر ماتفصح عنه مفتشة عن السكون وعن النشوة .

ـ كان الخوف من الشيب ينهش هذا الرجل وكان يقف طويلا امام المرآة ليلاحظ بدقة يائسة الخطوط الرفيعة في طرف عينيه . اما انا فكنت اتمسك بالماضي ولو بالبارحة وكنت اعود دائما الى الماضي ودائما تقريبا بأسف . اني اعيش هنا مع سيد .. سيد احبه نعم ولكن اعيش في بيت رجل . وا أسفاه ياكلودين انت كالنبتة التي انتزعت من تربتها ، هل كانت جذورك طويلة الى هذا الحد .

الضيق الذى تشعر به كلودين يزداد ، حادث يثير المأساة تتعرف على (ريزى) .

« ريزى » كل شخصيتها تنضح بعطر « الفوجير » و « الايريس » رائحة نزيهه وساذجة وريفية تفاجيء الانسان وتسحره بتناقضها ول

لم المس فيها اى شيء ريفي او اية سذاجة او اى شيء اخر واضح ٠
انها كانت جميلة جدا وكانت تكلمني عن زوجها وعن سفراتها وحتى
عني ولكن لم اكن اعرف عنها اى شيء سوى سحرها ٠

« (صداقة قديمة) تجمع الامرأتين خلال خمسة عشر يوما » كانت
تشوقني بجمالها ولطافتها بالحاح متغنج ٠ لم اكن اشجع اى شيء ٠
كنت اترك الايام تمر ٠ كنت اتامل « ريبزى » هذه تحت كافة ظروف
تصرفاتها وكنت انتظر مالذي سيحدث ٠ اني انتظر وانتظر بكسل اكثر
من بنزاهة ٠ لم تكن ريبزى ، تكذب ولكنها كانت تنافق ولكن تصرف
(رينولد) كان يصدم كلودين اكثر من مجاملة « ريبزى » كنت اريد
ان اقول يا عزيزي الكبير انك تبتسم وانت مفتون ومؤيد تقريبا للفكرة
بان لوس كانت صديقة رقيقة جدا لي ، هل ذلك بأمل واكرر بأمل أن
تصبح (ريبزى) مثل (لوس) ولكن بسعادة اكثر !! الرذيلة ـ هذا
هو الشيء الذى يمارس من دون لذة ٠ اه ياعزيزي (رينولد) كم كان
بامكاني ان احبك بسبب رفض جامد ومؤنب ٠ كم اتضايق من وجود
(رينولد) الذي حشر نفسه بتعنت كشخص ثالث ٠ انه يعجل الموقف
« غير الاعتيادي » بلطف وفرح بدون شك مثل (ريبزى) ٠٠٠ ان هذه
الرغبة المشتركة بين الاثنين بالبوح انهما فاسدان ومتمدنان تماما تحيرني ٠
احلف لكم نعم احلف لكم باني مصدومة وهائجة وعفيفة مثل فتاة رزينة
عند رؤيتها صور خلاعية !! ٠٠ ان الشهوانية ، شهوانيتي انا لادخل لها
بهذا اللف والدوران ٠

عند كتابة « المتشردة » بعد سنوات عديدة تشركنا السيدة كوليت
بملاحظة نافذة تنطبق على رد فعل كلودين وتمنحه معناه الحقيقي ٠
امرأتان مرتبطتان ببعضهن لن تكونا ابدا سوى جماعة ماجنة وليست

صـورة كئيبة ومثيرة للشفقة لاثنتين ضعيفتين قـد يكون ان التجات الواحدة منهن الى ذراعي الاخرى لترقد هناك او لتبكي بينهما أو لتهرب من رجل خبيث في الكثير من الاحيان لتذوق اكثر من اى متعة اخـرى السعادة الجنسية المرة وذلـك الشعور بانهما متشابهتان ولاشـي ومنسيتان *

عن حب السحاق في كتابها (الطاهر وغير طاهر) قدمت لنا السيدة كوليت صفحات متميزة والتي تكمل من حسن الحظ قصة (كلودين ربة بيت) ٠ وعن ذلك تعبر قائلـة :

ان اخلاص اثنتين من النساء لايتفتح ابدا بالشهوة ولكن بفضل نوع من التقارب ٠ لقد قلت بالتقارب لما كان علي ان اقول بالتشابه ٠ ان التشابه المحدود يؤمن الشهوة فالصديقة تجد متعة في تمسيد جسد تعرف اسراره والذي يملي على جسدها ما هو مطلوب منه ٠ اذا كان الظلان منفصلين فانهما يتطبقان الواحد على الاخر ولكن بصورة طفيفة وبدون توافـق مثلما يترك سياجي درج ما فراغ بين ظليهما ٠ ذاك كاف لهـدم البناء العقلاني ٠ انه ليس من الضروري ان يخشى من الظل على فراغ الحائط المشترك ٠ ان اتعس دخيل هو الرجل ٠ ان اي فضول مهما كان اعتياديا قد يغير وبدرجة مميتة الجو المتوازن في الحاضنة التي لجأت اليها اثنتين من النساء تجاهدن لخلق نفسيتهما ٠ كثيرا ما يظهر الرجل مخلصا الى مهمته وهي سحر المرأة بتباينه الفتان ٠ ويتبين عندئذ بالمقارنة بانـه كله بذخ وتفاخر ٠ انه ضروري ومزعج مثل مناة مسقط الرأس القاسي ولكنه يجب ان تشتهيه مثلما نشتهي الاشياء غير الضرورية احيانا ٠

في بعض الاحيان قد يكون للاصدقاء الوقت الكافي لتنمية الطريق الـذي دلف منه هذا الشخص وبكل بسالة تستانفان هـذه الحياة بالتحدي لانهما كانتا تتقاسمان كل شيء لغايـة اقصى حـالات الحرمان ٠

سوف تجدون باني اقلل من دور المتعة المحمومة في هذا الفصل من الكتاب حيث يظهرن النساء مرة بعد مرة ، كل اثنتان مرتبطتان معا ، والسبب في ذلك هو لان دعارة السحاق هو الشيء الوحيد الذى لايمكن تقبله .

لن يكون ابدا مايكفي من اللوم بالنسبة الى سحاق لقاء الصدفه سواء في المطعم او المرقص او القطار الازرق أو علـى رصيف الشارع - تلك الامرأة التي تثير وتضحك بدلا من ان تنتحب .
لايمكن لامرأتين مغرمتين ببعضهما ان يتجنبا الشهوة ولا الشبق المشتت اكثر من النشوة وحرارتها ! ان هذه الشهوة التي لاتفرض أي شـيء تثيرها رائحة الحنطة الدافئة المتواجدة في خصلة الشعر ، أن في كـل والتي تجد السعادة في تبادل النظرات ووضع الذراع حول الكتف والتي ذلك متعة مستمرة بوجودها والعادة التي تولد الاخلاص والتسامح من اجلهـا .

لايمكن لامرأتين مغرمتين ببعضهما ان يتجنبا الشهوة ولا الشبق المشتت بالفصول او تدني الشعور بالحب تحت الظروف التي تتحكم بـه . قساوة غير منظورة والذي لايمنح ما يكفي من الغذاء والذي يعيش متخبطا على غير هدى وبدون هدف والذي وردته الفريدة هو ضمير لايمكن للحب الآخر سبره ولا تفهمه ولكن يمكنه ان يحسده فقط .



كوليت وكلبها توبي

تذكيرا بعذراء « لانكولن » الشهيرة ، تكتب كوليت : هنا القارىء العادي يبتسم ولا يحرم نفسه ايضا من قهقهة خفيفة ولكني لست قارئة عادية ، لا أبتسم في الساعة التي تضم اثنتين من النساء اللتين ترفضان أن تكونا مقلدتين لزوجين ، ومتجاوزتين عقـــدة ومرحلة غشاء البكارة الكاذبة ! .. ، بل ومتفقتين على النوم معا و... لأنه لايوجد أي ضمان لامرأتين قررتا ان تعيشا سوية...كل شيء مباح لهن سوى نوع واحد من الطمأنينة .. لهذا فأني أتأمل باحساس من الصداقة وشعور مشرق في الغرفة التي طغى عليها القلق والتي زارها في النهاية النوم وبعد ذلـــك الفجر . في الغرفـة وعلى السرير حيث نجـد اثنتين مـــن المخلوقات الطائشات والوديعات ترقدان متمسكتين بكل اخلاص بسراب ووهم !!..

ولكن « كلودين » تكتشف بأن صديقتها رييزي التي كانت تكن لهـــا صداقة خاصة تخونها مع رينولد !! وتكشف بذلك عن طبيعتها الحقيقية وترفض كل تواطوء وتفضل السكوت والهرب ، ولاشـك ان الصفحات المكرسة الى المجابهة بين « كلودين » و « رينولد » و « رييزي » هـــي اجمل ما في القصة بتحركها وانضباطها واسلوبها الدقيق . ولكن لـــن يبقى في ذاكرتنا سوى الوقائع وهروب (كلودين) الـــى « مونتيني » حيث تسعى بتماسها مع الطبيعة لأن تستعيد هدوءها . وعن ذلك تقول :

« كم جميل بأن يهرب الانسان مما يؤلمه ! . كنت اقضي كل يوم لافتش بخطوة تلو الخطوة وبقية تلو البقية عن طفولتي المبعثرة في زوايا الدار القديمة ، وأن انظر الى قضبان الحاجز المشبك الذي ارغم النبتة المتسلقة أن تتلوى وأن تغير مسارها وان تصغر ، ثم تسرع في مسارها

نحو جبل «الكاي » . والغابة المتماسكة بخضرتها الداكنة والقاتمة والتي تظهر وكأنها زرقاء عند العصر ، واني لا اريد ان احبها الا يوم غد ٠٠٠!! فاليوم اريد ان افكر بشجوني وان ادلل نفسي تحت ظلها ، فهنالك الكثير من الضوء ، والكثير من الهواء النقي والشوك الذي نبت من الشوك يمكنه أن ينسل خيوط شفائي الدقيقة او يحتوي شجوني ٠٠٠ اريد ان انهض قبل بزوغ الشمس مثلما كنت افعل وانا صغيرة لكي اذهب وافاجيء في غابة « فريدون » طعم الليل في المنبع البارد وبقايا الليل التي تهرب امام اول اشعاع لضوء الشمس والتي تتقهقر الى اعماق الغابة لتختبيء هناك » ٠

عند كتابة خاتمة قصتها كانت السيدة (كوليت) تفكر بحالتها ولايمكن ان نقرأ السطور التي كرستها الى السنوات الاولى من زواجها في كتابها « احتراقي » دون ان تتكدر « ٠٠٠ لم افكر بالهرب الى اين سأذهب وكيف سأعيش ؟ ٠ أو القلق بشأن (سيدو) ، ذلك الترفع المتصلب بالعودة اليها وان اعترف ٠٠٠٠٠ يجب ان تفهموا باني لم اكن امتلك شيئا ! ويجب ان تفهموا ايضا بأن أي اسير ، حيوانا كان أو انسانا لايفكر دائما بالهرب بالرغم من المظاهر وبالرغم من الذهاب والاياب امام القضبان وتوجيه النظرات بطريقة ما الى ما خلف الجدران . كل ذلك هو رد فعل تفرضه العادة ومساحة السجن ٠ الهرب ما يعمله المرء للهرب ! ٠٠ في حوالي سنة ١٩٠٠ كان لنا نحن فتيات الريف فكرة سيئة عن هجران بيت الزوجية ، تثقلها افكار عن الشرطة وحقائب منتفخة وحمار وجه كئيف . ما عدا مخبر السكك الحديدية » ٠

بالنسبة الى « كوليت » لم يكن موقف كلودين سوى حلم جميل ٠

« (كلودين تذهب) هو انجاز كتابي يثير الفضول قد يكون لفقدانه التماسك او بسبب عدد
لفقدانه التماسك او بسبب عدد
المكائد والحوادث والشخصيات الكبيرة التي تملأ مذكرات (آني) ومع هذا فان لهذا الكتاب اهمية بالنسبة لنا لانه كثيرا ما تمتزج صورة « آني » في مخيلتنا بصورة (كوليت) لانها تتخيل لبطلتها ظروف تمر بها هي بعد سنتين .

هاجس يمكن ان يغري ناقدا ما يهتم بمثل هذه الامور وان يفسر نوعية موهبة السيدة (كوليت) . وعلى كل حال فبهذا العمل الكتابي يتم تطوير (كلودين) التي عرفناها ماكرة وفضولية عندما اخذت حواسها تتيقظ ومن ثم تقع في الغرام وبعدها وهي مخدوعة .

لقد وجدت الآن السعادة ... سعادة عميقة وجدت الكاتبة بعض الصعوبة في تفسيرها ! .

صورة جانبية لكوليت

نتعرف اولا بأول بشخصية « ليون » الروائي الذي كانت زوجته تعتبره (مصدرا للرزق) وتقص لنا « كوليت عنه » ما يلي :

« كانت تحبسه بانتظام ثلاث أو اربع ساعات يوميا . وكـــان عليه ان ينتج ما يساوي معدل ثلثي القصة سنويا وبانتاج جيد ٠٠ بأن يكـــون هنالك نساء لهن مبادرات وارادة يومية ـ ولزم ايضا ـ لبناء ودعـــم ميزانية البيت ـ وطريقة حياة تستند على ظهر الرجل المنحني ليكتب ـ يكتب ولا يموت ـ هذا امر يفوق ادراكي ٠٠

٠٠٠ (آني) تفكر للمرة الاولى بمستقبلها كامرأة ٠٠٠

هذا الرجل هو زوجي الذى يسافر بعيدا ٠٠٠ أرتعد امام صورته مثلما ارتعد امامـه !! انه مخلوق معقد لايشعر بالقيود التي يكبلني بها وهذا مافعله بي ٠٠٠٠٠٠ اني مضطربة افتش بكـــل عناد في ماضينا كزوجين شابين عن ذكرى يمكن ان تسليني مرة اخرى والتي تعيد الـي الزوج الذي كنت اعتقد بأني حصلت عليه ٠ ولكن لاشيء !! لا اجـد اي شيء من هذا القبيل ٠٠٠ اني منهكة قبل أن استأنف حياتي ٠ لأاطلب اكثر من بقعة مناسبة وهادئة ووجوده جديدة استطيع ان اتغاضى مـن خليفاتها عن كل شيء ٠٠٠ لا ٠٠ لااريد اكثر من هذا » ٠

« آني » تكتشف خيانة زوجها و (كلودين) تكتب اليها وتقدم لهـــا النصائـح :

« لحد الان مازلت تفتقرين الى قابلية توقع الامر والـــى قابلية الخضوع للظروف ٠٠ وشعورك بالحب من طرف واحد فقط وتلـــك مصيبة هادئة ومعتمة !! أي نعم يا (آني) انها مصيبة غير اعتياديـــة ولكن اريدك ان تفكـري بحب غـير متبادل وأن تمنحي حبك دون ان تتوقعي غير الخيبة ان ذلك هو المصيبة الحقيقية ، المصيبة التـــي يقتل بسببها المرء ويحرق ويدمر ٠٠٠٠ ولكن في الحقيقة ومع هـــذا لايمكن

الا ان اقول لك ارتجاليا بأنه لايمكن العيش مع رجل لانحبه فهذا هو الانحطاط بعينه » .

« عبثا تحاول (آني) أن تجدد لذتها في العيش في منبع الحياة . تلجأ الى زاوية في الريف ولكن العلاج الذي شفيت بواسطته (كلودين) ليس له أي أثر عليها . ان المشكلة بالنسبة لها متغايرة جدا . ليس لها الا حلا واحدا وهو الذهاب الى مكان بعيد وبحرية تامة .



كوليت في حوالي ١٨٩٧

... الحرية !! ... وهل هي ثقيلة بهذه الدرجة يا (كلودين) ؟ .. وهل من الصعب التصرف بها ؟؟ ... الن تكون سعادة كبيرة بباب قفص مفتوح وكل الدنيا في مقتنى يدي ؟ ..

لا يا (آني) لاتتسرعي ، من الممكن ان لايتحقق ذلك أبدا ... سوف

تحملين آثار القيود طويلا . هل من الممكن ان تكوني انت ايضا مثل اولئك اللواتي يولدن معقدات ؟

- ولكن هنالك ما هو اسوأ . اني اخشى ....

- « تخشين ماذا ؟ » .

- اني اخشى من التلاقي ..

- سوف تلتقين بالرجل الذي لم يمر في طريقك لحد الان ... اذا كان ذلك الرجل ينتظرك في مكان ما . انه الواقع وانه المحتوم . ولكن يا (آني) يا عزيزتي اني اطلب منك أن تعرفي كيف تتعرفين عليه بصورة صحيحة . وبأن لاتخدعي نفسك . لانه قد يخيل لك بانه شخص غير الشخص الذي تنشدينه وبأن له شخصيات عديدة وعادات متأصلة . سيكون هنالك الكثير من الحدود بينك وبينه والتي يتوجب عليك عبورها وازالتها .

..... ليس امامي غير القلق من المستقبل . فانا لا اعرف اى شيء عن يوم غد . فلاشيء يجعلني اتوقع ما سيحدث فيه او ان ينتبي أحد . اني احاول ان اتشبث بالامل . وفي نفس الوقت اخاف من انه تتواجد بلدان حيث كل شيء هو جديد . مدن تجذبك باسمائها . وسماء تحمل محمل روحك روحا غريبة . الن اجد في كل هذه الدنيا الواسعة ارضا تقارب الجنة لانسانة بائسة مثلي ؟ اني ارضخ لكل ما هو آت ببصيرة كئيبة وعابرة . ارى حياتي التي تبدا من جديد . سوف اكون المسافرة الوحدانية » .

ان هذه النصوص ستتكمل عذوبتها الحقيقية عندما نضيف اليها السطور التي خطتها السيدة (كوليت) وهي تتذكر فترة مشابهة من حياتها عام ١٩٠٠ في (احترافي) :

« العرافة « فريا » التي كانت شابة وفي اول ايام شهرتها نظرت

الى كفي يدي وتعجبت : انــه ...... هــذا شيء يثير العجب ...
انه شيء لايصدق ابدا ... كان الخروج محتم .

ـ « والخروج من ماذا ؟ »

ـ « من حيث انـت »

ـ « اغير بيتي ؟ »

ـ « ايضا ولكن ذلك شيء قليل الاهمية كان عليك الخروج فلقد تاخرت كثيرا » وبالرغم مما قالته تعبيرا عن رأيها فأين انا ؟ ومنذ ذلــك الحين تقبلت الفكرة باننا نخدع الواحدة الاخرى وباني لم اتأخر كثيرا . عــن المستجسين مراجعة عشر سنوات من العمر ولكني تماديت بمراجعة ثلاث سنوات اضافية بشرط أن هذه السنوات العشر تؤخـذ كعينة لسنوات الشباب الاولــى .

الهروب هذا امر اتركه للمستقبل . ان ابي الذي كان غافلا لــم يورثني أي ادراك للمستقبل (وسيدو) المخلصة لـم تفعل شيئا غـير الخوف من الطرق الضيقة التي يتوجب على اطفالها السير فيها لغايــة العمر الذين يتركون فيه الحياة .



صورة كوليـت
عـام ١٩٠٠

العزلة العاطفية

كريم

• عزلة صوفية حقيقية • ان (العزلة العاطفية) الذي تكمل دوره (كلودين) بتوافق مع فترة من حياة الكاتبة • بعد طلاقها عام ١٩٠٦ نتصور بأن (كلوديت) تجد نفسها مثل (كلودين) بتماس مع الطبيعه- القوت الضروري لعواطفها المجروحة •

في القصة - كان (رينولد) يرقد في المستشفى لتلقي العلاج وهو قريب من الموت • والتجأت (اني) التي تورطت منذ هروبها في عدة مغامرات غرامية الى (كلودين) • وكانت تعيش حياة العزلة لم يكدرها غير (مارسيل) ولكن لفترة قصيرة • (كاسامين) حيث تجري الاحداث ما هي الا (مونت - بوسون) التي تقول عنها كوليت فيما بعد في (احترافي) ما يلي :

كلما اعود بذاكرتي الى الماضي فان البيت في « مونت بوسون » يتشخص امامي بسطوحه من القرميد الاسود اللون تقريبا وزخارف واجهته التي تعود الى ايام شارلس العاشر من دون شك والمصبوغ بلون اصفر وغابته الصغيرة وقوسه الصخري على ذوق « هوبير روبيرت -

الدار والمزرعة الصغيرة والخمس أو الست هكتارات التي تحيط بها كنت اظن بان السيد (ويلي) قد منحني اياها حين قال لي : (كل ذلك هو لك) وبعد ثلاث سنوات استرجعها مني بقوله : ان كل ذلك لايعود لك بعد الآن انه لي !! • بين حزيران وتشرين الثاني ولثلاث او اربع سنوات متتالية تمتعت هناك بوحدانية تشبه وحدانية الرعاة • وحدانية مراقبة بدون شك ومتقطعة بزيارات السيد (ويلي) نفسه •

ولكن من خلفه كنت اشعر بالتحسن ، أي بأني أستطيع أن أعيش مع نفسي والمواضبة كما لو كنت اشعر من ذلك الحين بأن الالتزام بالنظام يشفي كل شيء !

ان لذة كافة تلك الساعات الحالمة مازالت حية بحيث انه وبالرغم من السنوات التي مضت لم أنس الصور الكثيرة والدراسات الكثيرة والكآبة . وبكلمة واحدة تعلمت كيف اعيش ! وهل يتعلم المرء كيف يعيش ؟ طبعا اذا كانت حياته خالية من السعادة . فالسعادة العميقة لا تعلم شيئا والعيش بدون سعادة من دون الاستسلام الى الضعف ذلك هو عمل شاق يقرب من المهنة .

بينما كنت اكتب « العزلة العاطفية » وعن مغامرات (أني) التافهة وعن هذه المرأة الشابة التي كانت تحب الرجال كثيرا وعن (مارسيل) الذي كان لايحب النساء ابدا طورت قوة لا علاقة لها بالادب . ولكن تنحني اذا ضغط عليها كثيرا . لم تكن لي الرغبة بالهرب من بيت الزوجية بعد ولا ممارسة الاعمال التي تفوق الاعمال الزوجية والبيتية . ولكني كنت اتغير ولو ببطء ، المهم هو ان أتغير . وبدأت اشعر ولو بصورة مبهمة بواجب نحو نفسي وهو الكتابة عن شيء اخر غير (كلودين) . وبكلمة بعد كلمة انتجت « محاورة بين الحيوانات » حيث وجدت سعادة ولو غير كبيرة ولكن شريفة بعدم التكلم عن الحب !) ..

حول موت (رينود) تقول لنا السيدة كوليت في « نجمة المساء »

(ان (رينود) هذا الذي تزوج (كلودين) هو التناقض بعينه . ان هذا الغاوي الناضج والمنبثق من خيال امرأة شابة مازالت يانعة وفريسة سهلة لأي غاو ناضج ماكدت ان اختلقه حتى مسكت به وحالما ادار ظهره قتلته . ان موته يمنحني شعورا بأني تجاوزت نوعا من المراهقة الادبية وبداية طعم المسرات التي تخول لنفسها غطاء المتدينات .

يقدم لنا كلودين مدينة (كاسامين) بقولها : (... هذه البلاد التي احبها منذ الان تجمع بين ضراوة ظهر يوم حين تهب الرياح الشديدة وبين اشجار الصنوبر الزرقاء في الغرب . ومن اعلى سطح من الحصى ترى نهرا باردا فضي اللون وسريع المجرى يلمع من بعيد .



نظرة على شـارع جاكـوب

جدار دار الرهبنة يتهدم ويسقط على الطريق وشجيرات الورد التـــي لايجددها احـد تضاعف مـن اورادهـا وتعود لتصبح شجيرات السياج والطرق الملتوية التي خططها جد (آني) بعقلية طفل لم يبقى فيها غير الشجيرات الحرجيـة ٠

ان عمر اشجار الصنوبر هو مئة سنة ولن تشهد قرنا اخرا حيث ان المتسلقات تلتف حول جذوعها وتخنقها ٠ اية يد آثمة ادارت بلاطـة الساعة الشمسية على محورها بحيث انها تؤشر ساعة الظهر على انها الساعة الثانية الا ربـع ؟ ٠

٠٠٠٠٠٠ ان بيت (آني) هو بيت واطيء وقديم وبطابق واحد وهـو دافيء في الشتاء وبارد في الصيف مسكن من دون رونق ولكن له مزاياه ٠ ان النتوء الصغير المزخرف في الواجهة والمنحوت من الرخـام يتقشط ويكتنفه العفن . وتحت السلم الخارجـي يغني في المسـاء ضفدع وعند العصـر يلاحـق الذبابات الصغيرة واليرقات التـي تختبيء في شـقوق الصخور ٠٠ كان يراقبني من وقت لاخر بوقور ولكن باطمئنان ثم يسند احدى يديه التي تشبه يد الانسان على الحائط ويقف منتصبا ليبتلع٠٠٠ كنت انتظر سماع صوت غلق فمه الكبير وعندما كان يرتاح كان لـــه حركة جفون متأملة ومترفعة بحيث لم اكن اجرأ ان اوجه اليه ولو كلمة واحـــدة ٠٠٠) ٠

وتفصح لنا كوليت عن تأملاتها « ٠٠٠ لماذا تصر كبريائي على عدم تواجد كائنات في قلبي غير كائنات معينة ؟ ٠٠٠٠ هل يوجد في العالـم الكثير من النساء الوحدانيات مثلي ؟ ٠٠٠ ام ان ذلك هو نصيب اللواتي اعطين كل مالديهن مرة واحدة والى الابد ؟ ٠٠٠ انـي اكشط الارض الرطبة والعشب الذى يحصل قوته منها وانا افكر بهذه الافكار التـي

ملائم الرجل الاول الذى يحتل مأواها ·

« ان هذه الباقة من العشب تعود لي وكذلك باطن الارض حيث تعيش الدودة ومسالك الخلد الملتوية وكذلك وفي الاعماق تعود الصخور التي لم تر ابدا الضياء لي ، كما تعود لي ايضا اذا كنت اريد تلك المياه المحبوسة تحت مئة قدم والتي استطيع ان اشرب منها اذا رغبت ذلك والتي سيكون للجرعه الاولى منها طعم الطين » ·

« في الاسرار التي تبوح بها لنا (آني) يمكن ملاحظة العلاقة بين اشتغالها في (بانوزين) في تمثيلية ايمائية (الرب والسراب والقوة) وبين العلاقة في الظروف المماثلة في حياة السيدة (كوليت) التي مثلتها في (الرغبة والحب والسراب) وهي مأساة ايمائية مأخوذة من قصيدة ـ (فرانسيس د · كروازيت) في مسرح (ميشيل) » ·

لم ارى الجمهور ····· كانت القاعة مظلمة وكان الضياء في واجهة المسرح يعتصر جبهتي ، لقد سمعت وشعرت بانفاس حارة وتحركت حيوانات غير مرئية في اعماق هذا الظلام العميق · كان رأسي يتفجر من التعب ومن المكياج · مكياج انكليزي وردي وابيض وازرق متخشب . كان يسحب الجلد عن خدودي ·· كل شيء جرى على ما يرام لحين المشهد مع « الفون » مع « ويليت كولي » (تحريف رسم كوليت ويلي) · ان هذه المهووسة كانت تتفنن وكل ليلة بتحوير مناجاتها وكنت ارتجف مسبقا ·· في احدى الايام مسكتني من خصري وكأني رزمة وحملتني تحت ذراعها وفستاني وشعري الاحمر يتدليان مثل الذيل ······· في مرة اخرى واثناء تبادلنا قبلة ـ « القبلة الشهيرة » التي سببت فضيحة والتي كانت تطبعها ببرودة مدت يديها تحت ذراعي واخذت تدغدغني « كلودين تبوح لنا ايضا بانه وبموجب ترتيبات يتصدع الكارتون ويهرب !! ···· »

.... اوراق صفراء وصور صغيرة لم تغسل بصورة صحيحة وملفوفة كانبوب ومتيبسة .... كنت ارى من خلالها وبصعوبة موجز سفرة لطيفة وانانية قمنا بها انا و (كلود) في « بيل - ايل - آن - مير » قبل ثمان سنوات .

عند العصر وقبل العشاء وحفلة الرقص كانت الفتيات يتمشين كل اثنتين وكل ثلاث سوية بشعرهن الاسود بخصلاته المجعدة وبخطوات متكاسلة ... في احدى الليالي والقمر يكسي البحر الهادئ بحلة فضية ويعلق منارة « كرفيلاوين » في جمود أزرق لايدرك تجرأت احداهن جسورة اكثر من رفيقاتها ان تنادى علينا بصوت ورع :

- الست بحاجـة الى احـد !!

- لعمل مـاذا ؟

- للنوم معـك !! ..

نظرنا اليها وضحكنا متسلين بجسارتها الخجولة ... لقد كانت صغيرة العمر وتلبس في راسها غطاء نظيفا . كانت تبدو وكأنها قد تم تلميعها ومصبوغة من جديد ، وأية نسمة من تنورتها كانت توصل لغاية المكان الذي كنا فيه رائحة كريهة كرائحة السمك المتفسخ !) .

ولكن ذكرى « بيل - ايل - آن - مير » هي ذكرى حقيقية بالنسبة الـى السيدة (كوليت) التي تفصح لنا عنها في « احترافي » :

« لما شفيت تقريبا بالرغم من كل الاحتمالات ذهبت مع السيد ويلي الى « بيل - ايل - آن - مير » وكان برفقتنا (بول ماسون) ......

مجاميع النساء اللواتي يقدمن سنويا مثل الغرين الذي تودعه الانهـار بخصلات شعرهن المجعدة وفوقها « الكاسكيت » مشرقات مثل كيلوباترا واللواتي استخدمن من اجل قطع رؤوس سمك الساردين وطهيه كـن

ينتظرن وصول السمك الذي تأخر وصوله · كن ينتظرن ويفتشن ·
الست بحاجة الى احد ؟؟ سألت الفتيات ذوات الخصلات المجعدة
ـ لعمل مـاذا ؟؟

ـ للنوم معـك !! ··

كان يؤشر لهم بحركة من يده فيهربن وتنانيرهن الجميلة تنفث رائحة السمك المتفسخ

بالنسبة الى كلوديـن فان اوقات الذكريات مؤلمة وفي نفس الوقت اوقات هدوء » (اليس هنـاك صوت يوشوش بثقة : « لكل امر حل لا ادري كيف ! بل كل شيء له حل . ليس هنالك الم لاعلاج له سوى الموت . التعود على العيش من دون راحة وتحمل الالم كل يوم ان هذا الروتين السلبي هو بحد ذاته علاج ونمط يخفف ويلطف الساعات ·

اني لاخاف من احد حتى من نفسي ! الغواية ؟ اني أعرفها · أنا اعيش معها وهذا مما يجعلها مألوفة وغير مؤذية بالنسبة لـي ·

والغواية الاخرى ؟ ··· الجسد ؟ كل شيء ممكن · اني انتظرها لايمكن لهذه ان تكون جسيمة : رغبة بدون حب ··· انها تحتوي نفسها وتعاقب نفسها ثم تشتت على شجرة الدفلى ، هنالك حشرة تهتز ولاتتحرك مثبتة نفسها على الوردة بخرطومها الممتد مثل خيط نحاسي رفيع جـدا ·

انها تهتز بجنون بحيث يتخيل المرء بأنها شفافة أو بأنها خيال الحشرة نفسها · لقد مضى وقت طويل عندما كنت لا استطيع ان اقاوم رغبة امساكها بين يدي وان ارى بعيدا عن المصباح بريق عينيها الفوسفوري ··· ولكني اعرف الان احسن كيف ان اعتز اكثر وبان ارغب بان أنظر حوالي · ان ارى حياة النباتات وحياة الحيوانات حرة دون تحفظ ·

الفاسقة البريئة

في رواق صور شخصيات السيدة (كوليت) يمكن وبسهولة أن نتوهم بين (آني) بطلة قصة (العزلة العاطفية) وبين (ميني) التي يتشكل ضياعها مسلسل احداث « الفاسقة البريئة » . قد لاتكون طفولة (ميني) مثل طفولة (آني) التي لانعرف عنها شيئا ولكان نضوجهما يغذيه نفس الشغف ، التفتيش عن اشباع الشهوة ! كل من الاثنتين تحلم بحب مطلق ! والذي يشغل قلب (كلودين) خيبة أمل ترميهـــا في احضان شيطان الجسد ! هـذا الملجأ الـذي تلتجيء اليه النفوس المتألمـــة .

في الواقع فأن (مينى) تختضن أوهاما غرامية جدا ، فعندما كانت بسن الرابعة عشر وهي وحيدة لأمها البالغة مـن العمر ثـلاث وثلاثين ســنة كانت تحلـم بأن تكون « الخوذة النحاسية » لاحـد الزنوج الحمـر العصريين ، وعندما انبثق حلمها انبثق بدرجة جعلها تخرج في احـــدى الامسيات لتفتش عن خيال وهمي وتعتقد بأنها ستتعرف على الذي تبتغيه ! مغامرة بدون نتيجة . بعد ذلـك تخفي عطشها المتزايد ولكنها لاتشفى منـه !

بعد زواجها من ابن عمهـا « انطوان » أخذت تفتش بين دراعي عشاقها عن الحياة التي كانت تطمح اليها في أيام الطفولة ! ولكن من دون نتيجة ، فلـم يجعلها أي من عشاقها تتوصل الى اشباع الشهوة

التي كانت ترغبها بكل حواسها !! وفي النهاية فان زوجها هو الذي يفتح لها باب المتعة بطرق واساليب حاذقة وتنفيذ بارع !!

تنزع عنها الثوب الطويل وتمد ثمار صدرها الطرية نحو يدي وشفاه (انطوان) ثم تنقلب على الوسادة منتظرة بدون حراك !! .. مع ابتسامة بريئة تتحدى كافة الشياطين وأولئك الذين عذبوها . ولكنه كان يرعاها ويهزها بلطف . وبايقاع لطيف وبطيء وعميق تفتح عيناها قليلا وكانت عينا (انطوان) الذي مازال مسيطرا على نفسه تفتش في (ميني) عما هو ابعد منها . تتذكر دروس « ايرين شوليو » وتتنهد آه ! آه ! مثل فتاة في القسم الداخلي التي يوشك ان يغمى عليها ثم تسكت من الخجل ! ثم ينعقد الحاجبان في قناع (بان) اله الشهوة !! .

كان (انطوان)يطيل من فرحها الصامت ... ثم تقول مرة اخرى « آه ! آه ! » بالرغم منها .... حيث تشعر بضيق تدريجي لايكاد يطاق يأخذ باعناقها ، ضيق يشبه اختناق النحيب الذي سيتدفق .

وللمرة الثالثة تنتحب ويتوقف (انطوان) وهو قلق لسماع صوت (ميني) هذه التي لم تصرخ ابدا من قبل ! ، ان عدم حركة (انطوان) وانسحابه لايشفي (ميني) التي بدأت بالارتعاش !! وحنت اصابع قدميها ثم بدأت بتحريك رأسها من اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمين مثل طفلة مصابة بالتهاب الغدد . تضم راحة كفيها ويمكن (لانطوان) مشاهدة عضلات فكيها تبرز مشدودة ! .

يبقى خائفا وساندا نفسه على راحتي يديه ولايجسر ان يستمر . وتزمجر بصوت خافت ثم تفتح عينيها المتوحشتين وتصرخ : هيا اذا !! .

برد يجمده فوقها لفترة قصيرة ثم يجتاحها بقوة مصطنعة مع فضول كبير يفوق شعوره باللذة . انه يظهر نشاطا عقلانيا بينما هي تتلوى

وعيناها مغلقتان وخديها شاحبان واذنيها محمرتان ، تارة تضم يدها الى الاخرى وتقربها مـن شفتيها المتشنجتين وكأنها فريسة يأس الطفولـــة وتارة اخرى تلهث وفمها مفتوح غارزة في ذراعــي (انطوان) أظافــــر عنيفة .... ثم ترفع احدى رجليها التي كانت متدلية خارج السريـــر وتضعها على فخذ (انطوان) الذي كان يرتعش من شدة اللذة !! ..
واخيرا تدير نحوه عينان لم يعرفهما من قبل وتهمس ـ (ميني) ملك لك ..... (ميني) ملك لك » بينما يشعر هو بنشوة لذيذة وبهياج جسم سعيد يتلوى تحت جسمه ! » .



كلوديـن في رداء حفلـة سـاهرة

حوالق الكرمة !.

محاورة كوليت ـ كلودين (وصورتهما اللتين تسميا آني أو ميني)
ـنتهي مع (**حوالق الكرمة**) مثلما تنتهي مرحلة في حياة الكاتبة التـــي
استعادت حريتها :ـ

(في احدى ليالي الربيع كان البلبل نائما وهو واقف على فرع كرمـــة
صغيرة وصدره المزركش متكور ورأسه مائل كأنه متألـم) ٠

واثناء نومه نمت حوالق الكرمة في تلـــك الليلة بكثافة بحيث ان البلبل
عندما استيقظ وجد نفسه مقيدا واقدامه مشبوكة باربطة ، وأعتقد بأنـــه
سيموت ولكنه كافح ولم يتخلص الا بعد ان تحمل ألف الم ! فقطع يمينا
على نفسه **بانه لن ينام طالما تنمو حوالق الكرمة** ! وابتدأ من الليلة التاليه
اخذ يغرد حتى يبقى مستيقظا ٠

حوالق كرمة مرة عنيفة وصلبة شبكتني وانا نائمة في ربيع حياتي في حلم
بديع ومن دون وقاية ولكني قطعت بانتفاضة خائفة كافة هـــذه الخيوط
الملتفة حولي ، والتي كانت تربطني بجسدي ومن ثم هربت عندما اثقل خدر
ليلة شهر عسل جديد جفوني خفت من حوالق الكرمة ! وأرسلت الـــى
الاعالي نحيبا كشف لي عنه صوتي

• من اين هذه الاسرار الى الكلب توبي في (السلام لدى الحيوانات)
لقد سئمت اريد ان افعل ما اريد ٠٠٠ اريـــد ان امثل فـــي مسرحيات

الايماء وحتى في المسرحيات الكوميدية • اريد ان ارقص عارية اذا ثـوب السباحة اعاقني • اريد ان اكتب كتبا محزنة وعفيفة حيث لا تتواجد فيها غير مناظـر الطبيعة والورود والحزن والفخـر وبـراءة الحيوانات اللطيفة التي تخاف الرجال •

بعد ان تحررت من كل ما كان يكدرها تقـوم السيدة (كوليت) بتقييم امكانياتها الجديدة :ـ

اني انتمي الى البلد الذى تركته • لايمكنك ان تمنع باقات معطرة بأريج الغابة من ان تتفتح تحت اشعة الشمس • لاشيء يمكنه ان يوقف العشب من اغراق اسفل الاشجار بلون اخضر لطيف ومهدىء والذى تتعطش لـه روحـــي •

تعال انت الذى تتجاهل ذلـك تعال لكـي اهمس في اذنـك قائلة : ان عطر غابة بلدي يعادل عطر الفريز والورد ! انك ستحلف عندما تكـون شجيرات العوسج موردة بان هنالك فاكهة ناضجة لا يعرف مكانها احـد فهناك او قريبة جدا من هنا فاكهة لا يمكن وضع اليد عليها والتي نشمها بملء مناخيرنا • ستحلف عندما يقبل الخريف الـــذي يغتال الاوراق التي تتساقط بان تفاحة ناضجة قد سقطت لتوها وتفتش عنها وتحاول ان تكتشفها بحاسة الشم هنا وهناك بالقرب منك واذا مررت في شـهر حزيران بين المراعي التي تم حصادها في الوقت الذي يبزغ القمر علـى الرحى المستديرة التي هـي هضبات بلـدى الرملية ستشعر عندما تستنشق عبيرها بـان قلبك يتفتح انشراحـا ، ستغلق عينيك باعتزاز كبير يغطي تمتعك وستترك رأسك ينحني مع تنهد صامت •

كلودين ـ آني ـ ميني

السيدة (كوليت) التي هي في احدى مراحل حياتها المهمة وبعد انجاز احدى نماذجها تفكر الان ان تكشف لنا عن ناحية اخرى من نفسيتها التي تتولد منها حياة فيها كل ما هو نبيل في نفسيات البطلات الاخريات وحتما في احلام الكاتبة المخفية ، الطموح الى الحرية والى تذوق المسرات والافراح وهي سيدة نفسها . وبوضع النصوص الرومانسية والاسرار الواحدة بجنب الاخرى نتمكن بكل بساطة ان نكتشف الحقائق المؤثرة في تنسيق احداث القصة . يكفي الان ان نورد بعض الامثال لاكتشاف الكاتب من نصوصه حيث لاتحتاج بعد الآن ان تتخيل حياة اخرى لتمجد حياتها .. فالسيدة (كوليت) بسلطتها الجديدة التي منحتها اياها الحرية التي حصلت عليها استخدمت موهبتها التي اصبحت واثقة منها لتظهر بانها تعيش الان . واذا توقف قلمها في بعض الاحيان عند ناحية من نواحيها النفسية فان ذلك لان الكاتبة وتحت تأثير سحر المرأة تحاول ان تثبت هذه الوجوه المتغيرة .

قبل ان تكتب السيدة كوليت فصول « المتشردة » و « ميتسو » و « العقبات » سبق وان اسرت الى حيواناتها المفضلة رغباتها المخفية . ان (السيد فرانسيس جيمس) وفي الصفحات التي كرسها الى (محاورة الحيوانات) قد فهم جيدا نفسية الكاتبة وذلك عن طريق تقييم قيمة النص الاصلية

(ان السيدة كوليت امراة تعيش لكل ما هو طيب وقد تجرأت بأن تكون طبيعية . بقيت السيدة كوليت ـ ويلي دائما امرأة بورجوازية ... وترتفع اليوم السيدة ويلي ـ كوليت في عالم الكتابة كشاعرة والتي

تدحرج برفسة من حذائها من اعالي « البارناس » الى اسفلها كافة القصائد المدلسة والمكللة بالغار اعتبارا من (مونسيله) الى (رينان) تثير رغبات من الدرجة الثانية و (البلاغة المنمقة) .

ان تعلق السيدة (كوليت) الغريب بعالم الحيوان يشير الى الناحية الاكثر سرية والاكثر حساسية لديها . ان هذه ناحية جديدة واكثر اقناعا بموهبتها التي يعترف بها منذ هذا الحقب من الزمن) .

ان الايحاء الفكري الذي افهم بموجبه احاسيس الحيوانات مازال يعمل في دراما العصافير في الجو والمعارك تحت الارض والاصوات التي ترتفع فجأة من مجاميع نمل تتحارب وانظار الخيول والحمير التي فقدت الامل . كلها رسائل مرسلة الي ... اريد ان اترك ورائي شهرة عظيمة بين وبر جلدها او في قلبها اثر مروري بينهم . لقد عرفوا ومن دون تفكير ولو للحظة واحدة بأني سأعود اليهم ... » .

وتعطينا قصة مولد النهار شهادة اخرى :ـ

« اليس هناك حد لاعجابي بالحيوانات ؟ » .

وتكتب في « حوالق الكرمة » :

عند التآلف مع القطة لا يجازف المرء بشيء سوى انه يزداد اغتناء . هل من الممكن بان رغبتي في معاشرتها منذ نصف قرن كان متقصدا اني مدينة الى فضيلة القطط بنوع من المراءات الشريفة . وسيطرة كبيرة على نفسي وكره شديد للاصوات المزعجة والحاجة الى السكوت المتواصل .

« هنالك عشرون صورة للحيوانات : حية الباثيون وطير النورس والقطط والكلاب والعنكبوتات والقرود والفراشات .... لكي تعبر عن تحريات السيدة كوليت في مملكة الحيوان الساحرة »

المتشردة ..

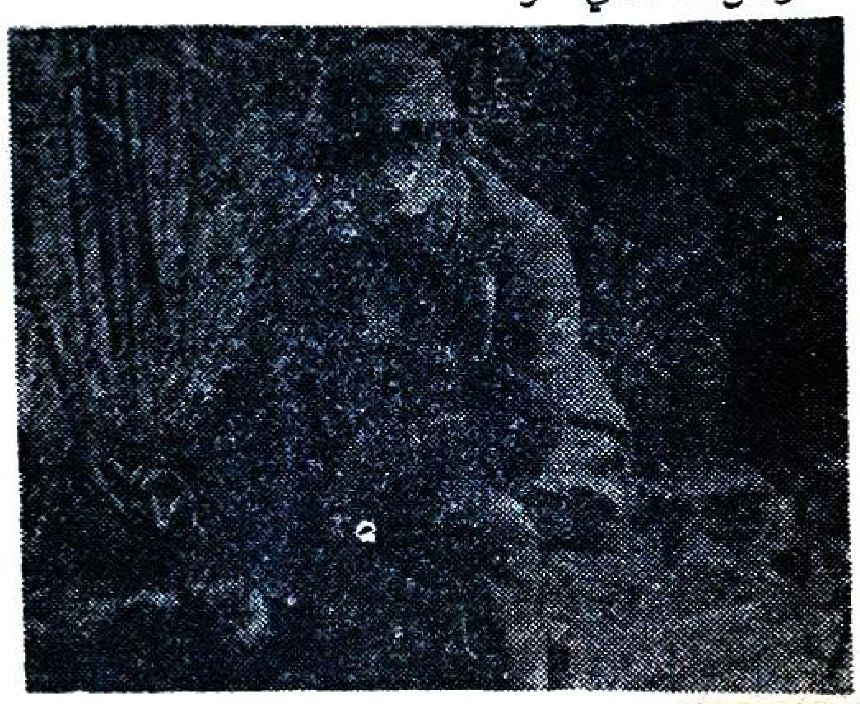
تقدم السيدة كوليت بنفسها في كتاب (المتشردة) شهادتها حول انعتاقها كامرأة وكفنانـة وبأسلوب دقيق ومصطلحات غـير مهزوزة وسايكولوجية رفيعة وادراك تصويري ثابت وواقعية رقيقة

ان المتشردة هي قصة كتبت باسلوب رفيع خلال فترة تطور الكاتبة التي تتوصل من خلالها الى نضوج موهبتها في هــذا العمل الكتابي وتفيض المستندات (الاوتوبايوغرافية) التي تتكلم عـن سيرة الفرد ، ونتعرف على (كوليت) بنمط جديد وحقيقية اكثر مــن قبل : (رينه نيرى) متزوجة من رسام اسمه (تايندى) • لقد طلقته توا وهي وحيدة تخلى عنها الجميع ، وتصبح راقصة وممثلة ايمائية • حـول ماضيها تجعلها السيدة كوليت تكتب :

« هنا أمامي وفي الجهـة الاخرى من المرآة في غرفة الانعكاسات الغامضة صورة امرأة متعلمة ضاعت • يقولون عني أيضا بأني إعمل في المسرح ولكنهم لا يمنحونني أبدا اسم ممثلة •• لماذا ؟ تلاعب حاذق بالالفاظ ورفض بأدب من قبـل الجمهور ومن قبل أصدقائي انفسهم باعطائي درجة معينة في هذه المهنة التي اخترتها بالرغم من كل شيء • ثمان سنوات من الزواج وثلاث سنوات من الافتراق ••• هذا ما سلبني ثلث وجودي في الحياة •

زوجي ؟ أنتم تعرفونه جيدا • انه (ادولف تايندى) الرسام وهو منذ عشرين سنة يرسم لوحـة لنفس الامرأة ••• لا أعتقـد بأن

(لادولف زيمنى) موهبة : ومن ناحيتي لم اعرف فيه أيـة موهبة غير موهبة الكـذب . وليست هنالك امرأة واحـدة من نسائه من قدرت واعجبت به وخافت منه ولعنت شغفه بالكذب مثلي ! لقد كان (ادولف تايندى) يكذب ومن دون كلل وحتى من دون ارادة تقريبا كالمحموم وبمتعة كبيرة . والخيانة الزوجية بالنسبة له هي نوع من الكذب رأى انها أقل متعـة . لقد التقيت به وعشت معـه خلال أكثر من ثماني سنين ... ولكن ما الذي اعرفه عنه ؟



مـــدام كوليـــــت

اني اعلم ... بانـه يحقق يوميا معجزة مدهشة . فبالنسبة لهذه المرأة فانه مجد في عمله ولا يفكـر الا بمهنته . وبالنسبة لتلك فانه فاسق ومغر من دون وازع أو ضمير ! وبالنسبة للاخرى فهو يكن لها حبا ابويا ثم لا يتورع عن مضاجعة من قال لها يوما بانه يحبها مثـل ابنته !! وهنالك الكثير من امثال (تايندي) الذين لن اتعرف عليهم

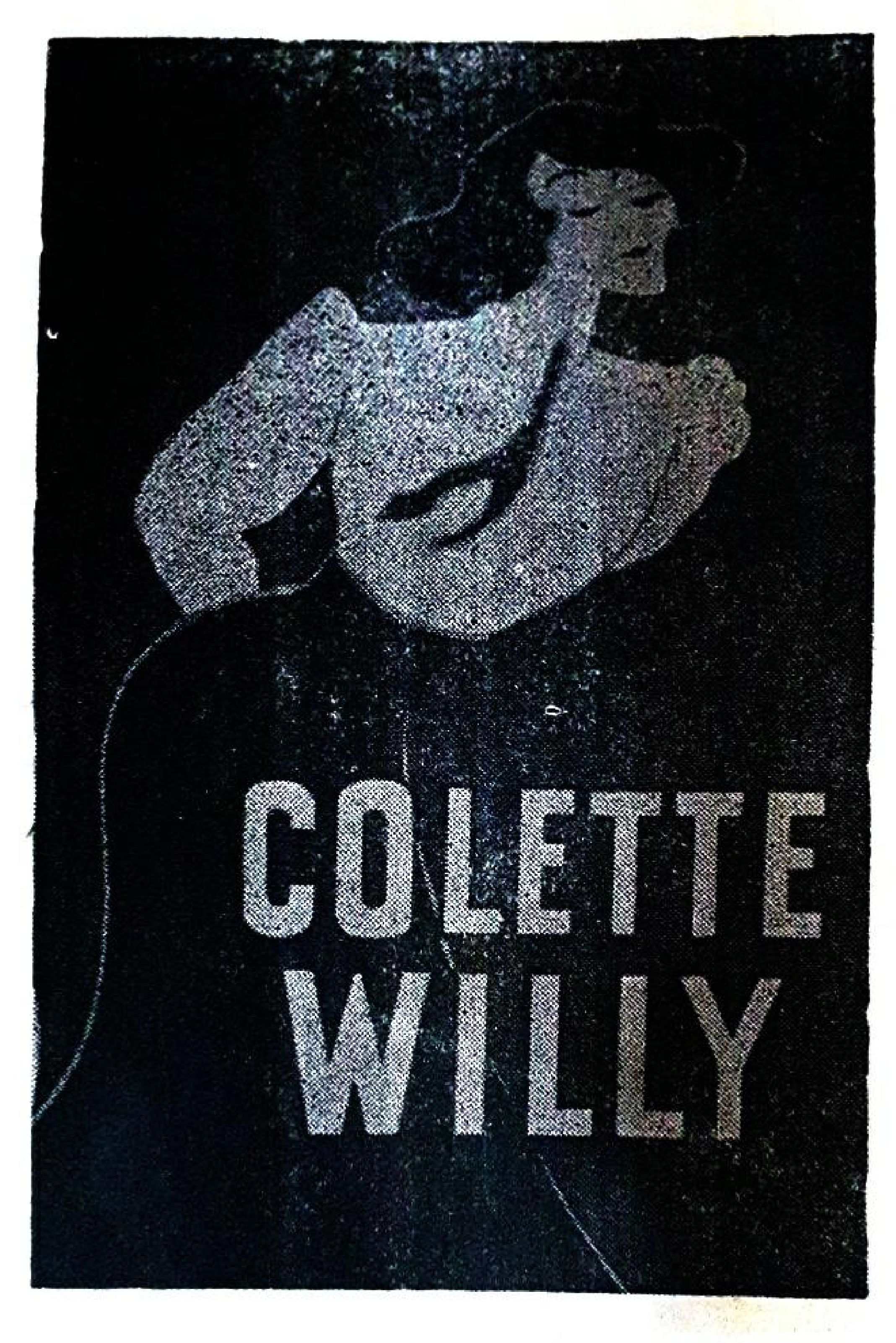
أيضا دون ان أتكلم عنهم ما هو اسوأ . امثال (تايندي) كرجل أعمال . (تايندي) كسارق للاموال ؟ وقح فظ وسطحي وهارب حسب مقتضيات الحاجه !! ..

بين كافة هؤلاء الرجال أي منهم حقيقي ؟.. اعترف بكل تواضع بانني لا أدري . لا أعتقد بان هنالك امثال (تايندي) حقيقيين ... ان امثال هؤلاء العباقرة بقابلية الكذب قد اختفوا فجأة في يوم ما كنت يائسة فيه ، حتى كنت أحس بالفضول بصددهم . وفي وقت ما كنت اعتبرهم خداعين ومكروهين وقد يكون ذلك بسبب (فريكولي) .

يا الهي كم كنت صغيرة وكم كنت احب هذا الرجل ! وكم تعذبت ! ... لم يفهم أحد شيئا عن أسباب انفصالنا . ولكن هل علموا شيئا من قبل عن صبري وعن مجاملتي له التي استمرت بجبن لمدة طويلة .

عند طلاقنا أرادوا ان يلقوا كل اللوم علي لتبرئة (تايندي اللطيف ، الذي لا ذنب له سوى رغبته في الارضاء والخيانة : الوحدانية .. الحرية ... عملي كممثلة ايماء وراقصة ... هنا كانت العضلات المتوترة والقلق الجديد الذي يترجح على الاخر ، كل ذلك كان علي تحمله لان علي الآن كسب قوتي ودفع كلفة ملابسي وايجار بيتي بنفسي .. هذا ما حدث مباشرة . كان هذا نصيبي ولكن التحدي الشرس ايضا والاشمئزاز من المحيط الذي كنت أعيش فيه وأتعذب فيه والخوف البليد من رجل ومن الرجال وحتى من النساء وهذا الشيء الغريب الذي يكتنفني فجأة جعلني اشعر بالوحدانية ويبقيني كحاجز من النار عن كل هؤلاء الذين كنت شبيهة بهم في يوم ما » .

وتقص لنا السيدة (كوليت) في كتابها « احترافي » عن بعض لحظات حياتها والتي نجدها تولد في « المتشردة » . وتنقصنا التفاصيل



كـولـيت ويلـي

رحته يكفي بان نرجع الى القصة لنجد (التكملة) ٠

اذا تجدي تسلية في التمثيل على مسرح حقيقي فان لي مشهد آخر يعني القليل بالنسبة لي بعد السيد (ويلي) ٠

من ناحية أخرى فانها ستكون مناسبة ممتازة لتصفية هذه الشقة الكئيبة وبأن أجد ما يتناسب أكثر مع معيشة تختلف أو أقل اختلافا ـ ولكن لا عجلة في ذلك ٠

لكي لا اخدع نفسي فان الذي كنت أتمناه هو التمتع باجازة ٠ وعندما كنت احلم بالهروب كان هناك من يفكر بان يطردني من داري بسهولة ٠٠ طردي من داري ؟ ولكن في هذه المرة لن يطلبوا مني المجاملة ٠

وفي احدى الامسيات ٠٠٠ اضطررت للاختباء في أرجاء المدينة لكي لا أراهم ثانية ؟ ٠٠٠ اولئك الذين تركتهم بمحض ارادتي ٠ اولئك الذين كانوا يدعونني من قبل « السيدة رينيه » بتصنع والذين لا يدعونني الان باسم زوجي ٠٠٠ هن ؟ تلك النساء ! تلك النساء اللواتي كن يخنني مع زوجي ٠ وتلك النساء اللواتي يعلمن بان زوجي قد خانني ! ٠

السيدة (كوليت) تقودنا للولوج الى عالم صالات الرقص المخصصة فقط للاصحاب الحميمين عن طريق ملاحظات كانت في ذلك الحين تعتبر ضربا من البوح بالاسرار ٠ ان خلفية (المسارح الموسيقية) والتي نشرته بعد ذلك بقليل هو مستند حقيقي كتب بقلم لا يضارع

ان السكوت عن حياتهم الخاصة يشبهه تصرف مؤدب يوحي لك بانه يقول « الباقي لا علاقة لك به » ٠

وبعد التخلص من المكياج الابيض والدهني ولبس الوشاح كانوا يفترقون ويتفرقون بدقة كنت أود ان أجد التحفظ ٠ ان فناني المقاهي

« كوليت في القطة المغرمة »



كوليت في غرفتها

للغناء يعرفهم القليلون لانهم محتقرون والقلة من الناس تفهمهم ، ويسيطر عليهم الوهم والكبرياء . وايمان لا معنى له وباطل بالفن : وهم فقط في النهاية يمكن لهم ان يتجرأوا بان يعلنوا بقوة محمومة عن الفن الحقيقي ، على الفنان ان لا يرضخ ! ويتوجب على الفنان ان لا يتراجع او يخضع .

رويدا ورويدا يفصح (رينه نيري) عن نفسه ..

العيش الوحداني يمكن للانسان التملص منه أو خلقه ولكن بان يغوى المرء وحيدا ومحموما يتقلب على فراشه خلال ليلة لا نهاية لها ثم يضع ركبته على نتوءات الشبابيك التي ينهال عليها المطر ثم يعود الى سرير بارد ومرتخ ... وذلك الشعور بالوحدة ! شعور ؟ نعم لي شعور ... شعور خجول اعتيادي سعيد بالملاطفة الاعتيادية التي كانوا يمنحونني اياها وخائفة من كل تفتيش عن تورط فاجر . اني لا اشتهي شيئا ولا اندم على أي شيء لغاية تبدد أحلامي القادمة . لغاية الازمة التي لا يمكن تفاديها . كنت أرى بخوف عميق قدوم الكآبة بين يدين حنونتين وقويتين دليل ورفيق لكافة الملذات الحسية .

نعم ! اي نعم ! المغادرة ثم المغامرة مرة أخرى ونسيان اسم المدينة التي احتوتني البارحة وقليل من التفكير ولا عودة بالذاكرة أو الاحتفاظ بغير ذكريات المناظر الخلابة التي تنعطف وتتغير بجانب القطار . المستنقع الرصاصي اللون والسماء الزرقاء يظهران بلون أخضر والسهم فوق قبة الجرس المزدحمة بطيور السنونو . ... الذهاب قبل ان يخضعها الحب مرة أخرى الى عبوديته ! لقد استسلمت ... اعترف باني استسلمت عند سماعي بعودة الرجل غدا رغبة في ان أجد فيه ليس خليلا ولا صديقا ولكن متفرج نهم على حياتي وعلي انا .

ان الحرية ليست مدهشة الا عند بداية الحب ، الحب الاول · ذلك اليوم الذي نستطيع ان نقول فيه عند تقديم حريتنا الى الشخص الذي نحبه : خذ وأريد ان اعطيك المزيد !! لقد فات الاوان للهرب · لقد قابلت مرة أخرى تلك التي تسدي الي النصائح بدون رحمة ـ تلك التي تكلمني من الجهة الاخرى من المرآة ··· سوف لن تتصرفي هكذا عندما تقعين في الحب وسوف تجدين نفسك متولعة وشجاعة ! لن تسألي ذاك اليوم · هل هو هذا الحب ؟؟ · لا يمكنك ان تخدعي نفسك بالقول : هوذا كان الحب ـ الحب الاول · كان هو ولن يكون أبدا هو ! ان بساطتك كفتاة صغيرة لم تتلكأ في ان تتعرف اليه وهو لم يساوم ولا ساوم جسدك ولا قلبك الطفولي ، كان هو الشخص الذي لا يعلن عن نفسه والذي لا يختاره أحد ما والذي يتكلم عنه المرء · ولن يكون بعد ذلك أبدا ! لقد أخذ ما كنت تستطيعين ان تمنحينه اياه مرة واحدة فقط ! الثقة والدهشة العذرية لاول ملاطفة للجسد ، والجديد في ذرف دموعك ووردة الالم الاول ···

امنحي حبك اذا كنت تستطيعين ذلك ! وستمنح لك الفرصة بدون شك ان تتذكري في أجمل ساعات سعادتك الهزيلة بانه لا يوجد شيء مهم في الحب ماعدا الحب الاول غير ان تخضعي في كل لحظة الى عقاب ذكرياتك وبشاعة مقارنتها ! سوف تتعذبين عندما تفهمي بانه ليس هنالك أحسن مما هو فريد ! هنالك رب يقول الى الخطاة :

« ما كنتم تنشدونني ما لم كنتم قد وجدتموني · » ···

« · · · لم ابقى يافعة أو متحمسة ولا سخية كي أتزوج من جديد ! · ان أعيش سوية مع انسان آخر اذا كان ما تريدون ان أقوله ، اتركوني وأنا متبرجة ومتكاسلة ووحيدة في غرفتي الضيقة انتظر ذلك الشخص الذي اختارني

لاكون في حرمه . لا اريد ان أعرف شيئا عنه سوى حنانه وتأججه .
لا اريد من الحب غير الحب ...

إذا رغب ذلك فاني ساعقد له الرباط واسهر على وجبات طعامه ... ساجلب له نعاله ... وساعطيه الحق بان يسألني بلهجة السيد : « اين ستذهبين ؟ » كنت انثى وما زلت أجد نفسي انثى لكي اشقى ولكي اتمتع !

ولكن (رينيه) وقد طغت عليها مرارة ذكريات الماضي تتهرب .. ولكن لأي امد ؟ من فخ لذة الجسد . ان الصراع عنيف والكاتبة تتلاعب وبموهبة عظيمة بكل امكانات القلب والخبرة : « الا يوجد غير متعة الشهوة ؟ ان متعة الشهوة لا تحتل في صحراء الحب اللامتناهية سوى موقع صغير وعنيف . ولكون المرء منشغلا لا يرى في البداية غير ذلك . لست فتاة صغيرة جديدة حتى انبهر بضيائها . حوالي هذه النار المتذبذبة يوجد ما هو غير معلوم : انه الخوف ما الذي اعرفه عن الرجل الذي احبه والذي يريدني عندما نستيقظ من عناق قصير الامد وحتى بعد ليلة طويلة . يجب العيش الواحد بجنب الاخر والواحد للاخر . في البداية سوف يخفي بشجاعة خيبة أمله في كما سأخفي خيبة أملي عن كبرياء وعن حشمة وعن عطف وخاصة لاني كنت أتوقعها وأخاف منها ولاني كنت سأتعرف عليها ... أنا التي يتوتر كل شيء فيها عندما أسمعه يناديني « صغيرتي العزيزة » أنا التي ترتجف من بعض الحركات التي تصدر منه وأمام بعض نبرات الصوت التي تحيي في ذكريات .

اي جيش من الاشباح تتربص لي من وراء الستائر التي ما زالت منسدلة ؟. افهمني يا حبيبي انه ليس الشك ولا الخيانة في المستقبل الذي يدمرني . انه انحطاطي . لنا نفس العمر ولم اعد امرأة شابة ...

هل تفهمني ! • ان اندفاعك وحماسك اللذان يقنعانني ويطمئنانني الن يقودانني الى طمأنينة النساء المحبوبات الساذجات ؟ حالة ساذجة تتولد ثانية لدقائق قليلة وخطرة في انسانة طافحة بالحب تفسح المجال لتمثيل دور فتاة يافعة وتجعل جسدها الممتلىء واللذيذ يرتعش .

اني ارتعد أمام عدم شعور صادق لانسانة في الاربعينات من العمر والتي تلبس على رأسها قبعة ملازم الخيالة العسكرية !! وهي متجردة من ملابسها وتلهث من شدة الحب !! •• (بعد ثلاثين عاما وعلى هذا المنوال كتبت السيدة (كوليت) قصة عظيمة اسمها « القبعة العسكرية » .

انساه كما لو لم أكن قد عرفت أبدا نظراته وقبلات فمه ••• كما لو لم يكن له أهمية كبيرة في حياتي ••• أكثر من البحث عن كلمات - كلمات لتقول كم هو ذهبي ضياء الشمس وكم هي زرقاء مياه البحر ••• نعم ••• كما لو لم يكن في العالم ما هو مستعجل أكثر من رغبتي بان امتلك بعينيي عجائب الطبيعة في العالم .

في نفس تلك الساعة همست لي روح ماكرة :

« واذا لم يكن هنالك استعجال ماذا في ذلك ؟ واذا لم يكن ما خلا ذلك سوى رمادا » لقد نبذتك واخترت كل ما هو غيرك • لقد عرفتك من قبل وسأتعرف عليك • أليس أنت الذي كنت تعتقد بانك تعطي ؟ أليس أنت الذي استأثر ؟ لقد أتيت لتقاسمني حياتي نتقاسمها نعم : لتأخذ حصتك ! وان تكون في منتصف أعمالي والولوج في كل ساعة في أسرار أفكاري ، أليس كذلك لماذا أنت وليس اخر ؟ لقد اغلقت الباب بوجه الجميع •

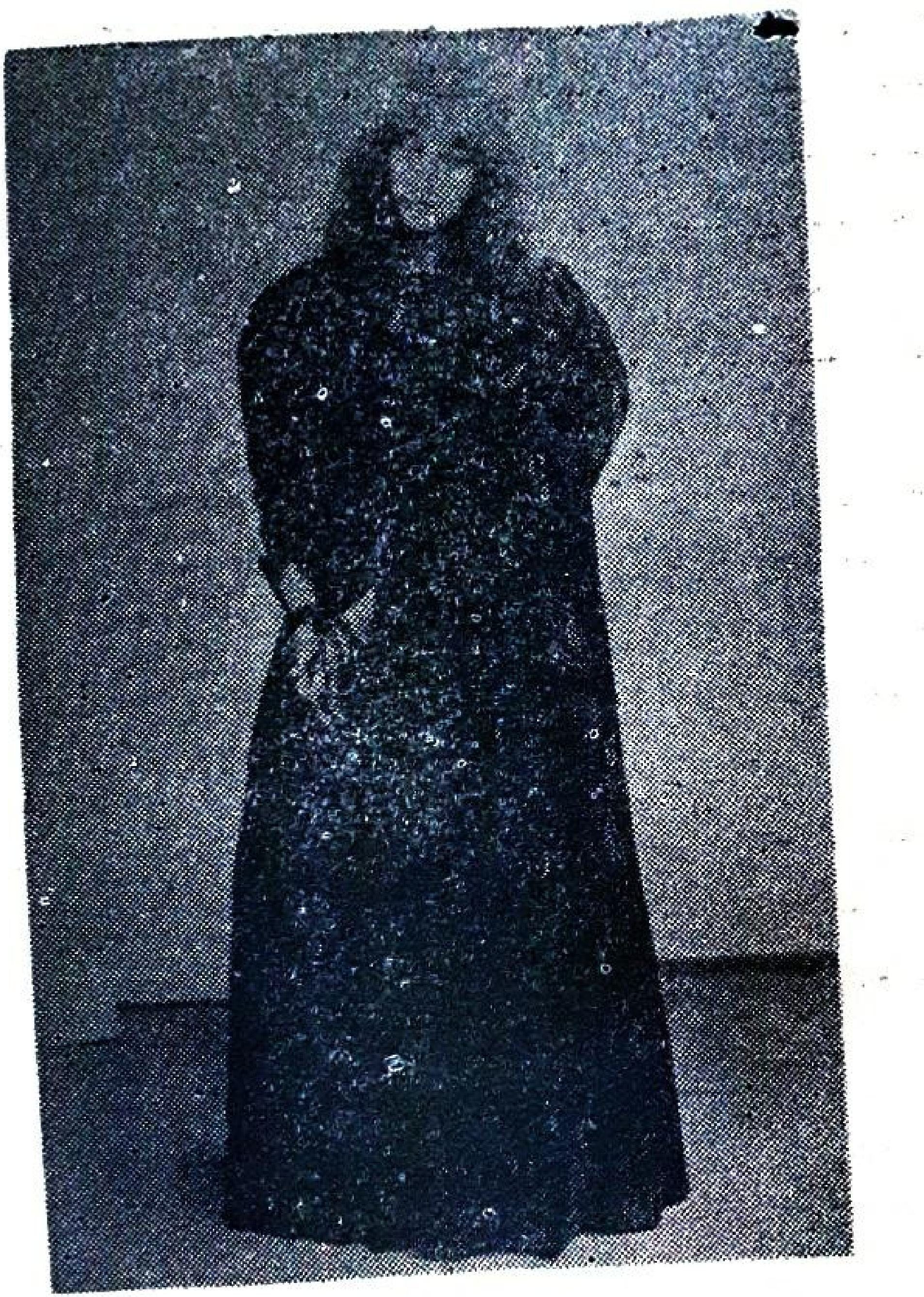
ميتسو ..

ان الكتاب الذي نقرأ بارتياح بعد ان وجدنا لذة في قراءة (المتشردة) هو بدون شك قصة (ميتسو) .

هنالك شيء بخصوص هذه القصة يجب ان يذكر وليس هو بسر خاف على أحد ، ان السيدة (كوليت) كانت تعمل بهمة . ولكن نجد بان (ميتسو) كتب أو على الاقل اعيدت كتابته بكل عجالة وخلال فترة قياسية . ولكن في احدى الايام تفقد السيدة (كوليت) القسم الثاني من نص القصة في (الميترو) وكان عليها ان تعيد صياغته من الذاكرة في ليلة واحدة . من دون شك هذا ما يفسر لماذا اكتشف العديد



كوليت في صالة الموسيقى



صورة (لكوليت)

من النقاد بان ميتسو تتكلم مثل السيدة كوليت وقد يفسر أيضا بان (مارسيل بروست) بكى ـ كما يقولون ـ عند قراءة الرسالتين في نهاية القصة والمناظرة فيهما تجيب بصورة غريبة الى تلك في (المتشردة) .

ان القصــة مبتذلة . ميتسو المغنيــة الصغيرة في مسرح الرقص تكتشف الحب في شخص ملازم جميل الطلعة ، ولكن الحرب مستعرة وعلى الملازم ان يغادر ، تكتب اليـه لتقول ، حبيبي الصــعب بالنسبة اليك هو انك لم تشعر بحبي ان ما هو يشبه المستحيل بالنسبة لي هو انك منحتني حبك ... كما ترانــي متواضعة جدا لا تفكر بانــي أكذب عليك ، اذا تجيب على رسالتي بالقول ، وداعا يا ميتسو ، فاني لن أموت فلي قلب قاس بالكفاية كي يتغذى بالحزن .

... وبينما انا بالانتظار فاني انتظر ما هو أفضل من الحزن الذي يمكنك ان تتركه في قلبي . لقد وجدتني على حافة منظر وانا أغني ثلاث مقاطع من أغنيــة ولم يكن في رأسي أفكار أكثر من هــذه المقاطع . الذي اعجبك في هو انك انت الذي وضعتها في رأسي . وسواء قد أتت منك أو لا فانها ثبتت جذورها ، ألم تنفعل عندما رأيتني أكبر بعد أربعة أشهر ؟ مما يؤسف هو ظهورك شخصيا . هذا ما جعلني استعيد كافــة براعمي . بالرغم من ان للمرأة اصرار على الحب فان البراعم تنمــو بسرعة وتزدهر وتعــرف كيف تلتوي وتتلون وتوهــم بلطف . يا حبيبي سوف أسعى لأكون وهمك) .

العقبات ..

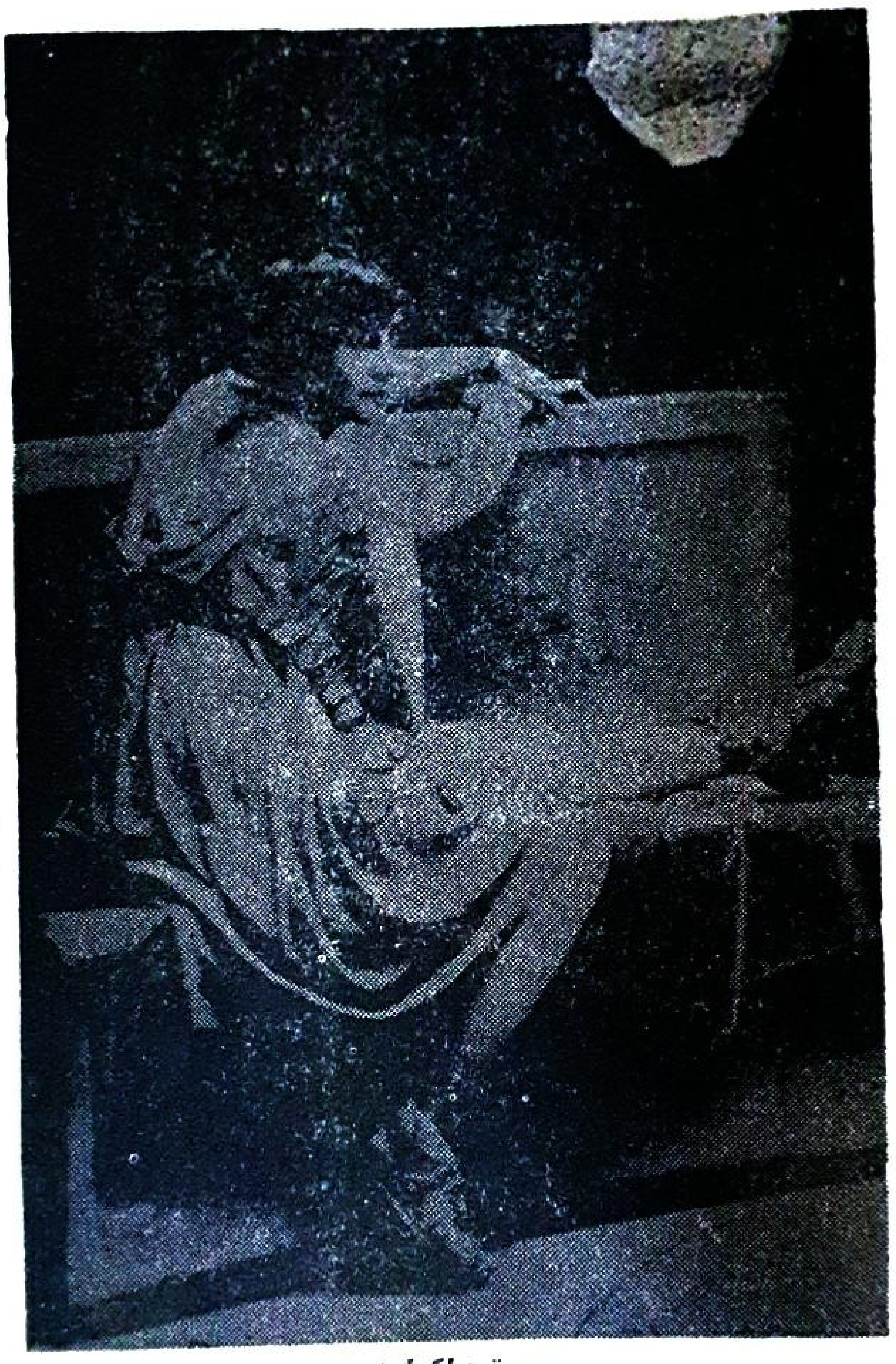
توافق اصدار كتاب « العقبات » مع زواج السيدة (كوليت) من (هنري دي هوفينل) . ان تحليل هذا الكتاب يأخذ رونقا خاصا اذا أخذنا بنظر الاعتبار هذا الحدث ، ان الشخصيات الرئيسية هي نفس الشخصيات في (المتشردة) ، رينيه نيري . لقد تركت مسرح الرقص بعد ان استلمت ارثا وتعثر عليها في (نيس) . رفاقها هناك هم (جان) و (مي) اثنين مغرم الواحد منهما بالاخر مع نديمهما (ماسون) . جان يهجر (مي) من أجل (رينيه) التي توافق بان تصبح خليلته فقط . ان متعة الجسد تكفي لسعادتها . انفصال يكشف (لرينيه) الحب الحقيقي الذي يملء قلبها وبعد ان تتغلب على مخاوفها وكبرياءها تترك الشهوة تجتاحها وتستسلم بكل تواضع الى الحب ! « اذا تبقى لي من طفولتي سيطرة على دموعي فاني احتفظت أيضا بقابلية على تحريك عواطفي بقوة لم تخففها الايام وفي أوقات معينة ليس فقط ما يشابه باقة مغرية كصوت اوركسترا نموذجية أو ضوء القمر الذي يغمر الاشجار والشجيرات أو رائحة الارض التي تحتضن الصيف أو لعاصفة . هنالك لحظات من ضعف الجمود أو ذكريات قديمة ومتناقضات من النور والظل كافية لفتح باب القلب الذي حرم نفسه من الحب قليلا . وهكذا فان الضياء الوردي والحار الذي ينير من خلال شباك في مؤخرة بيت معتم ممر من الرمل أو يمر من خلال أوراق الاشجار المعتمة يعني بالنسبة لي بصورة خاصة الحب . حب



حوالي ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥

حفي وملتجيء وعزيز في خلوته ومسموح به ٠ قبلة واحدة وكل شيء يصبح مبسطا ولذيذا وسطحيا له براءة قد تكون مبتذلة قليلا ٠ ان جسميا الملتهبين ارتجفا عندما التف احدهما حول الاخر !!٠٠ والجسمان سوف يتذكران عند الالتقاء مع بعضهما في المستقبل وأثناء ذلك فان الروحين سوف يلتجئان الى نفس السكوت المرائي والمناسب ٠

بالنسبة الى جان فان ذلك يعني :«لاتتعبي نفسك فكل مافي الامر هو التمتع



صورة (لكوليت)

بالشهوة ومن ثم التمتع بالشهوة ومرة اخرى التمتع بالشهوة ٠ اما الباقي فهو تبادلها ٠ ، وشهوتي تجيبه : « فاذا هنالك بقية ؟ لم افكر بذلك ابدا ! واطمئن سوف لن تكون الشخص الذى سيذكرني بذلك ٠»

كم هي جميلة تلك اللحظة التي ينسى فيها الانسان نفسه ليفكر « ها انذا وقد تخلصت من مشاكل التفكير بقلبي يافم ٠ يافم الـــذي لست غير فم اذوب من اجلـه ، ولكن هذا الفم هو فم العدو الــذى تجعل القبلة منه وحشا يعرف كيف يسيطر علي دون ان يرحمني ٠ انه يتغاضى عن كوني لطيفة جدا ومحبة وبأني أبغي ان اغمره بصداقة مخلصة ٠ كنت اشبع بعض النواقص التي هي سر نجاح بعض الانواع من الرجال ، الرياء وانعدام الضمير والكسل ٠ ولكني انا فقط هي التي فرضها عليه مثل حلية بدون ذوق ٠

ان الخطأ حسب اعتقادي هو عدم محاولتي الى الآن فصل (جـــان) من فكرة التمتع بالشهوة التي بعد اشباعها تجلب معها البرودة وعدم الاهتمام والتي عند تأججها لاتريد اي شخص اخر غير الذي يغذيها ٠ لقد حدث شيء بيننا ، شيء سمم كل ذلك هو الحب او قـد يمكن ان يكون فقط الظل الطويل الذي يمشي امامه ٠٠٠٠ لم يعـد بالنسبة لي ذلك الانسان البراق والفارغ ٠٠٠٠

لقد احتسبت كل الاخطـار في اليوم الذى بدأت احتقر فيـه ماتمنحني اياه ، لذة سهلة ومفرحة تتركني ناكرة الجميل ومرتاحة ٠ لذة قاسية الى حد ما مثل الجوع والعطش وبريئة مثلهما ٠٠ في يوم مـــن الايام اخذت بالتفكير بكل مالم تعطيني اياه ، ودخلت في الظل البارد الــذى يسير امام الحب ٠

اني اغار وهل يجب ان اقول باني اغار ! اني اغار واني مجروحة منه
كلمة قالها جان ، كلمة رهيبة قالها لي ببرودة كما لو كان يتهجاها :
، اظن بان الواحد منا لايحتاج الاخر بالكفايـة ٠ ٠

اذا فهو لايحتاجني !! ما الذي كنت افعله لحد الان ؟ ٠٠ اني احتاجـه
اكثر من الماء والهواء ، وافضله على المنافع الحساسة التـي تبني المرأة
عليها كرامتهـا ٠

انه يقف وحيدا امامي في حقول ذكرياتي المدمرة ، بيني وبين امـواج
البحر القصيرة بلونها الابيض ٠ حبه الاخير وذلك الوجه الذى كـان
يقبله قبل ان يقبلني ، لقد نسيت ذلك الوجه اني ادفعه عني بعصبية
دون اكتراث ٠٠ اني اتأمله فقط والعنه فقط ٠ اني اغار ، اغار منه فقط٠
٠٠٠٠٠ هنالك هدف امامي ، هذا الرجل الذى لم يعد له رغبة في والذي
احبه ! كنت حريصة على التشبث به وانا مرتجفة خوفا من ان يفلت من
يدي ٠ وأن احاول بكل صبر ان اصل اليه مـن جديد واستعيده ٠٠٠
هذا من الان وصاعدا هو كـل عملي ومهمتي في الحياة !! ٠ وكما كنت
مولعة به قبل ان اعرفه سوف يعيد الـي الضياء والموسيقى وهمسات
الاشجار ونداء الحيوانات المألوفة الخجولة وسكوت الرجال الذيـن
يتألمون ، كل ذلك سوف يعاد الي ٠٠٠٠ ولكن من خلاله وبشرط انـي
استطيع امتلاكه ! لقد رأيته بالقرب مني وهو متعلق بي منذ اللقاء الاول
بحيث اعتقدت باني قد امتلكته بكـل غباوة اردت ان اتجاوزه معتبرة
حدود العالم ٠٠٠٠ اعتقد بان الكثير من النساء يخطئن في البداية مثلي
قبل ان يستعدن مكانتهن التي هي بجانب الرجـل ٠٠٠ مثلما كـان
(لرينيه) في (المشردة) سـمات تنبيء برينيه في « العقبات » فـان

واضحه يعلن عن (بيا ـ سيري) واسمي هي شخصيه تعود الى موسم اخر في الحب عندما تزوجت السيده كوليت للمرة الثانية في قصة (اسناق اليوم) الحقنا بشهادة كلها معنى من خلال محاورة مع (سيدو) من حسن الحظ كان عدد الصفحة تكمل وتنجز قصه (العقبات) .

ـ هانا انت متمسكين كثيرا بالسيد (اكس) هذا !! ...

ـ ولكن يا امي اني احبه .

ـ نعم ... نعم ... انك تحبينه هذا شيء مفهوم ...

ولكنها استمرت في التفكير وهي تحاول ان تسكت ما عيه عنيها تساؤلها السماوية وتصرخ مرة اخرى :

ـ لست مرتاحة ! .

تظاهرت بالحشمة واخفيت نظرات عيني حتى لاتظهر صورة الرجل الوسيم والذكي والمحسود واجبت بهدوء : انك متعصبة .

ـ لا اني لست راضية .... اني افضل ذلك الشاب الاخر الـذي تريدين ان تطمريه في الوقت الحاضر في باطن الارض !

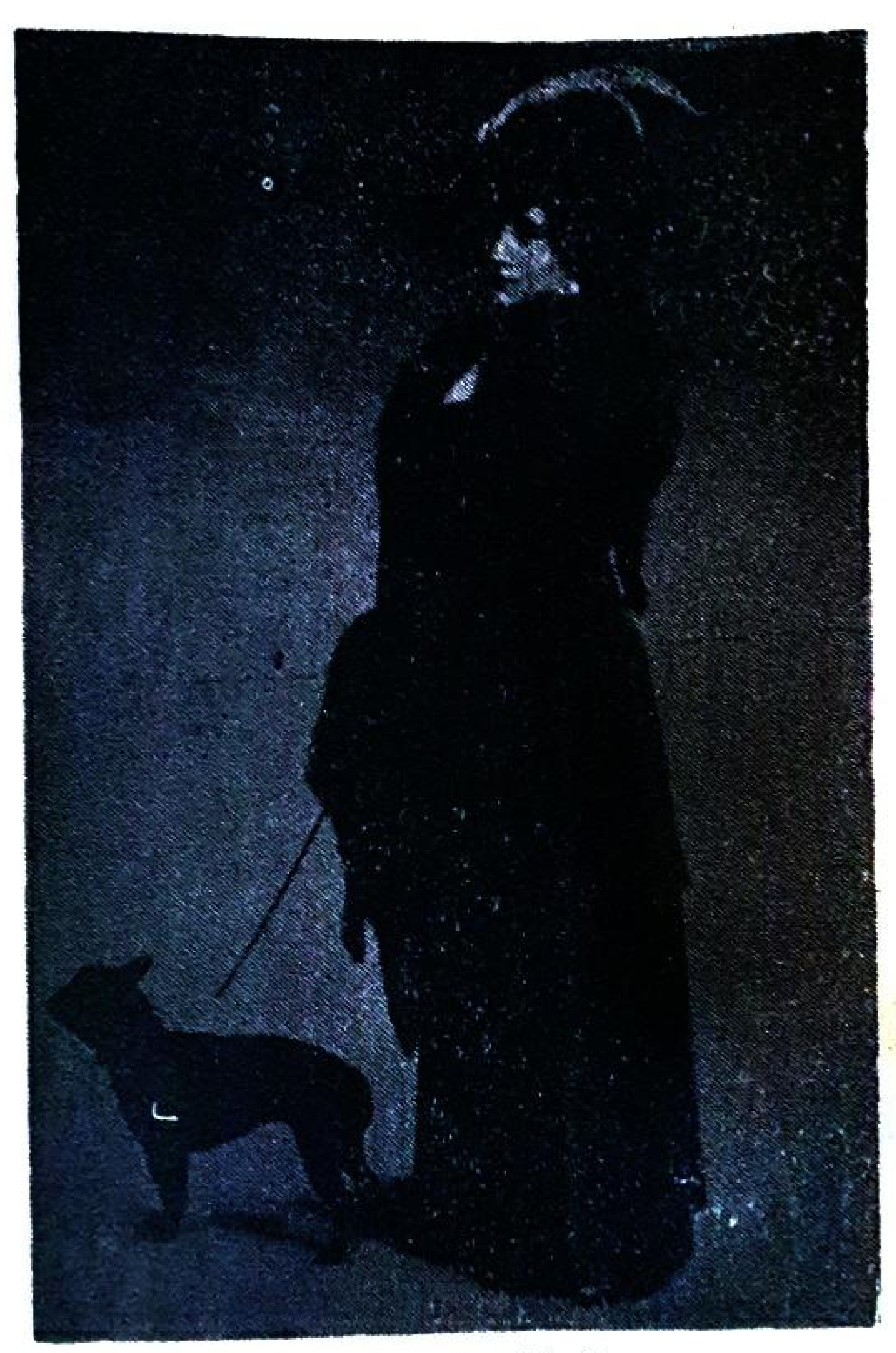
ـ لا ياامي ... انه احمق .

ـ .... كم من الاشياء الجميلة سوف تكتبيها مع هـذا الاحمق يـا (ميني شيري) ان الآخر سوف يشغلك وسوف تعطيه كل ما هو ثمين لديك . الا ترين بانه بالاضافة الى ذلك سيجعلك تعيسة ؟ انه محتمل جـداً . »

« كساندر ، نعم كساندر ... واني اتكلم عن كل ما اتوقعه ، من حسن الحظ انك لست في خطر كبير الان .... » لـم افهمها عندئذ ولكني افهم الان ما قالته لي ، انك لست في خطـر كبير الان ، كلمات مبهمة لاتستهدف فقط مخاطرات مصيبتي . بالنسبة الي ما كانت تعنيه فاني



احدى صور كوليت



مع كلبها توبي عام ١٩٠٦

قد تجاوزت ماسميه ، ماهو الاسوء في حياة المرأة ، الرجـــل الاول ·
الا يموت الاسان الا بعد ذلك ؟ ـ بعد الحياة الزوجية ـ او مايقابلها ـ
تصبح مهنة ، مهنة بيروقراطية في بعض الاحيان : لاشيء يغفلنا عنهـا
ولاشيء ينقذنا منها ·

. ان السيدة (كوليت) بكونهـــا مراسلة صحفية تستحق تعليقا
ـ ـ فهي في الواقع باسلوبها في هذه الحلقة المهمة من حياتها ومـــن
دون اى شك انها حلقة مبهمة من تطور افكارها وشعورها قبـل ولوج
الكاتبة في هذه الحرية البراقة وهذه الواقعية الرقيقة والواقعية والتي
نلمسها الان · منذ هذه الفترة نتعرف على اعمال ثـلاث : « الساعات
الطويلة » و « بين المجموع » ، و « المغامرات اليومية » · ان الكتـــاب
الاول هو وثيقة حقيقية تعبر عن المشاعر الانسانية حول الحرب »

انها الحرب في « سانت مالو » كنا نركض هنا وهناك لنستجدى
الانباء ، وفي ذات الوقت سقطت صاعقة علينا الا وهي ، النفير العام ·
كيف انسى تلك الساعة ؟ اربع ساعات من نهار جميل في ظل صيف
بحرى والاسوار المذهبة للمدينة القديمة المنتصبة امام بحر اخضر عند
الساحل وازرق في الافق ـ والاطفال في لباس السبح الاحمـــر اللون
يغادرون الرمل من اجل تناول وجبة خفيفة من الطعام · يصعدون الى
الشوارع الضيقة في وسط المدينة وتتصاعد الضوضاء سوية ، الناقوس
والطبل وصراخ الجماهير وبكاء الاطفال ··· يلتفون حـــول الشخص
الواقف بجانب الطبل والذى كان يقرأ ولكن ما من احد يستمع الـــى
ما يقرأه لان الجميع يعرفون ما يقرأ !! ·

بعض النساء يغادرن الجموع وهن يركضن ثم يقفن فجأة كـأن شيئا
ما ارتطم بهن ثم يعاودن الركض من جديد وكأنهن اجتزن حـدودا غـير

ـصورة ! وعبرن الى الجهة الاخرى من الحياة • قسم منهن يبدان بالنحيب فجأة ثم فجأة يتوقفن عن البكاء ويبدان بالتفكير وفمهن فـم الابلـه ! بعض المراهقين يقفون مستندين الى الحائط وينظرون امامهم وهم شبه نيام • توقفت السيارة التي جلبتنا وكانت الجماهير تحيط بها وبعضهم يتمسك بدواليبها • بعض الناس كانوا يصعدون فوقها لينظروا او يسمعوا بصورة افضل ثم ينزلون دون اي اعتبار لنا وكانهم يتسلقوا جـدارا أو شجرة • من يدرى بعد بضعة ايام اذا كان هذا لك او لي ؟؟••
ان تفاصيل هذه الساعة هي مؤلمة بالنسبة لي ولكنها ضرورية مثل حلم اريد ان اتخلص منه وفي الوقت نفسه اريد ان اتابعه بشغف !!

في قصة (بين الجماهير) هنالك مجموعة من الانطباعات على نمط الحوادث في السنين ١٩١٢ ـ ١٩١٣ ـ ١٩١٤ • »

في غرفـة النواب •

كنت افكر وانا منحنية فوق حوض مـن مرسبات حمم البركان بالقرب من (نابولـي) • انها تغلي هنا وبالكاد تتحرك هناك • هنالك مناطق راكدة لم ينالها الفوران والتي لن ينالها ابدا ، احدى الزوايـا ترتعش وتقفز مثل حمم البركان او الرمل ـ تفور بدون مـاء وترقص بحباتها الهائجة ، يسقط الضياء من علو شاهق لكنه لاينير اى وجه محاط بفلكين من الظل ! يتشابهون ولا يتشابهون مثلما سيكونون فيما تحت التراب »

خطيب (اريستيد بريانـد) : •

ما كان عليه الا ان ينهض من مكانه ويقف بقامته المديـدة وان يشمخ برأسه الذى كبر منذ امد قصير وخدوده متصلبة ! السكوت في

كل مكان وكلماته الاولى بصوته الواطيء ذو النبرات الموسيقية كانت تسمع في اقصى زوايا القاعة .



النبي (فوريس) :

ان هذا هو الشخص الذي « يتقيأ الكلام مثل الماء في متقيء الصخر في ينبوع (بروكسيل) فأن الكلمات التي لاتكلفه اى جهد كانت تخرج منه بتشنج . يتكلم برأسه وباكتافه وبصدره وبظهره وبيديه . كان يخرج منه صوت بشع يطرد النعاس من العيون كان صوته يدوى مثل صوت دبابة مرجرجة تجتاح كافة انواع العقبات في طريقها !! وحتى

في الساعات السعيدة عندما تجد طريقا مستويا وتمضي قدما لتجد ماهو افضل أو اتعس !! ...

النساء في المؤتمـــر :

ولا واحدة منهن تتخلى عن مكانها ! لا الجوع ولا العطش ولا اى شيء يتطلبه جسم الانسان يجعلهن ان تتحركن ! انهن يتحفزن ويتكهن ويكتبن الارقام ! احدى الماكرات في الصف الاول تحل من خلال نظاراتها رموز الارقام وتقرأها بصوت عال . لايعملن شيئا ولكن لايظهرن بانهن لايعملن شيئا . يظهر بان ممارســة طويلـة اكسبتهن قابلية استبدال العمل بالحيوية والتفكير بالكلام . اسم معروف يمنحهن الفرصة لقص حكاية وينفعلن فجأة عند رؤية وجه شخص مرموق وكأنهن أمام ستارة تخفي منظر ما ..

كم صلبة هي المرأة !.

« في تور » حيث نرى « هوسارد » متهم بالقتل والسيدة « كيلوتين » متهمة بانها احبت .

ان مدام كيلوتين السريعة الانفعال والذكية لاتكلف نفسها دائما عناء السيطرة على غضبها . انها ترمي الكلمات ، لا ! لا ! « بصوت من هو معتاد على اصدار الاوامر وتدق رجلها . يظهر بان هـذا التمادي بالتعبير عن النفس يزين هذا الوجه المتلون حيث كل شيء ينشط حالما تفتح فمها . انف نهم وخدود اضفت عليهـا الدموع بعض الطـراوة وحواجب تميل الى ان تلتصق ببعضها . كانـت متغنجة بثقة نفس ومتكبرة وسعيدة بانها توحي الحب . كانت تكرر باعتداد واضح لايمكن احدؤه « **كان زوجي يحبني بكل حواسه ولا ينظر الا الي فقط !!** » . ان قصة (مغامرات يومية) تمكنا من ان نلمس جمال وحقيقة اسـلوب السيدة (كوليت) ، الظروف الدقيقة في الحياة والحيوانات والنباتات : وبنفس ذلك الفرح ترسم الكاتبة للعالـم صـورة معايشتها اليومية . سنرى ايضا وبصورة خاصة كشف عن حياة (كوليت) كأم .

قد يكون مبدأ المدرسة الداخلية مبدأ غير انساني ، ولكن في الظاهر ان تطبيقه من الان فصاعدا امر لابد منه . انه يعني في الكثير من الحالات ان الكثير من الناس الجهلاء مازالوا يسمونه « ابعاد الطفل عـن جـو البيت حيث يتوفر الحنان والهدوء » ولكن في الحقيقة ان ذلك هو مثل

الحاضنة الضيقة التي تقترب من عكس ذراع او جبهة جيلين او ثلاث ينبثق الواحد من الاخر ولكن يعادى الواحد الاخر • مهما نفكر فان سلنا لن يتغيروا ابدا ولكننا نحاول ان نقلل من شأننا امامهم ، سنواجه وضعف اناس ناضجين يمجدون مبدأ أب صديق وام رفيقة . بدعة تخلق ابناء ينصبون انفسهم حكاما وبناتا يعتبرن انفسهن منافسات !! ٠٠ « لاختلاط طالبات القسم الداخلي الذى يفسد الاخلاق ! » • اني اقول ذلك معكم انا المصلحة النزيهة ولكني لست متأكدة بان الهمسات في زاوية من زوايا المدرسة او ما تحتويه الصحف او الكتب التي تتبادل في اماكن القراءة تساهم في انضاج وتلطخ الثمرة التي يعتز بها الانسان اكثر مما يفسدها ، وفي بيتك خصام بين الزوجين بكلماتها المغلفة والحرية التي تمارسوها دون تحفظ ، واخيرا منظر تصرفكم كالناس خبيرين تخترقها عينان خارقتان واذنان ترتعش عندما تسمع مايدور بينكما والتي تحتفظ بنبرة كلمة مهينة وبكلمات التوسل وبصوت الباب الذى ينغلق بعنف •

٠٠٠٠ بالرغم من انها متعبة عند نموها فعلى طفلتنا ان تبذل نفس الجهد طوال السنة ولا يغير ذلك لاقيظ الصيف ولا انجماد الشتاء الا القليل نسبيا • ان المبدأ الصعب وغير الواعي هو ذلك المبدا الذي يخضع فتاة في الثالثة عشر من العمر او فتى بنفس العمر بان يجلسا امام دفتر عندما تكون درجة الحرارة ثلاثين درجة ، وحين تصمت حتى العصافير في تلك الساعة٠٠٠وتكف الستارة الزرقاء عن مداعبة الشباك • اي رجل او اي كهل نسى درجة الحرارة عند تقديم امتحان البكلوريا او الامتحان للحصول على شهادة ما ؟ ومع هذا فاننا نلجأ الى عهد حيث لانتوصل اليه النزوات الجامعية وندعم المقاومة الفريدة التي يحققها

احفادنا ، نحن نعتز بهم عند اللزوم بتصفح كتبهم ودفاترهم المدرسية .... لقد حان الوقت بان لانفرط بالمرونة الفكرية التي لها حدود والتي تتعرض الى اخطار الجهد العظيم أكثر من الجهد المتواصل .
عندما يتعلق الامر بالاطفال ليس باستطاعتنا سوى ان نكون محطمين ومترددين وان نتقدم بتلمس طريقنا . كيف نفقد حكمة الذكريات التي يمكن ان نتلمسها فيكم عندما نولدكم ، نحن نفقدها بدون رجعة وبنسيان تام . نفقدها مثلما نفقد الشعور بالطيران الذي نحلم به ، ومثل الشعور بالسباحة الحرة الذي ننساه بعد ساعات قليلة ! . ان الصدفة تساعدنا اكثر من قابليتنا على التمييز للتقرب من الاطفال وتفهمهم هو كالانتصار الزائل . يتوجب الصبر الحنون نحوهم وليس العنف الذي يتجاوز الحد .

ان وحشية بعض الاباء او الامهات تقززنا ولكن في بعض اللحظات لانفكر بان هذه الوحشية الكلامية والقساوة العاطفية التي تصاحبها ليست اكثر او اقل فائدة من استراتيجية استدراج . هذه كلمات متضادة .... مع الاسف على انسان ان يكافح ضد الشخص الذي يحبه في الحب وفي الامومة .

في قصة (في بيت كلودين) كرست السيدة (كوليت) العديد من الصفحات لابنتها (بيل – كازو) حيث نتبين حنان الام لطفلتها كيف اغفر لنفسي عدم ذكر كافة الاحداث » ......

في العام القادم سيصبح عمر بيل – كازو اكثر من تسع سنوات . وكانها ملهمة فانها لاتذكر هذا الحدث امام مدرسيها . كل يوم يبعدها عن

حياتها السابقة انها فطنة ودائما مشاكسة رافضة للنصائح والحكمة ·
في السنة القادمة سوف تعود الى الرمال التي تكسوها بلون ذهبي والى
الزبدة المملحة والى اشجار الصنوبر التي تكسوها الطحالب سوف تجد
مرة اخرى اعواد الزرع التي حصدت منها ثمارها وسوف تسير مرة اخرى
بقدمين متحررتين من الحذاء · ولكن الن تستعيد براءة الطفولة وحساسية
الحواس التي تعرف كيف تتذوق العطر بلسانها وان تتحسس بلون ما
وان ترى ذلك السطر من اغنية خيالية ··· املس مثل الشعر ، املس
مثل العشب ·

مدام (كوليت) الصحفية تبين لنا ايضا ناحية ساطعة من موهبتها
كناقدة للمسرح ان كتاباتها تتجمع في كتاب بعنوان « التوأمان الاسودان »
وبعض المقتطفات لن تكفي لابراز سحر ماورد فيه · عبرت قصة
(بودي) المسرحية (الاوقات الصعبة) عن شعورها العميق للمسرح
« ··· لو كنت « ايد بودي » لخفت ، لخفت لاني لن استطيع ان اكتب
قصة مسرحية تضارعها · ولكن (ايد بودي) ما زال شابا لايخجل من
النجاح · بالاضافة الى ذلك له موهبة والهام فني صبور وهادىء يمكنه
من مجابهة كافة الاخطار وشجاعة لايثنيها شيئا · ان المحاورة بديعة ·
لم يبرز الفن الدراماتيكي ابدا بمثل هذا الكلام البديع · لن تسجل ابدا
اذنان اكثر دقة من اذني سمفونية كلامية ادق من الاصوات التي كانت
تصل الى اذاننا · ان ضرورة « النهاية » تتطلب بان تكون حاسمة
بالنسبة الى مقتضيات المسرحية حيث ان (ايد بوردي) نفسه لايمكنه ان
يتملص منها ، ولانني بدون شك سأكون كاتبة مسرحية فاشلة اذا كنت
اميل الى التمثيليات غير المنجزة · ومنحت (الماكنة الجهنمية) للكاتب

(جان كوكتو) الفرصة بان تقدم عرضا بديعا كشاعرة .

لقد احتفظ « جن كوكتو » بموهبته الفريدة بكل ما فقدناه من الخيال الشخصي لم يكن يعترف باية حدود ممنوعة ولا الطرق الخطرة ولا العتبات الممسوحة . ان الحزام النارى الذى يلتف مثل سحابة تنفث البرق والذى هو موهبة الشباب لم يتوصل الى جي . كوكتو بعد . يعرف فقط بأن لجهنم لون بنفسجي معين وبأن العبور من الحياة الى الموت ليس الا عبورا عبر طلاء المرآة ! بهذه الثقة يلخص ذكاءه الحاد في الكثير من الاحيان . ذلك الذكاء الذي له قابلية سحرية كافية لكي يبهر القراء والمستمعين ويذهب بهم الى افكار بعيدة والى انطلاق تام . كان الافضل بأن أقول بكلمة واحدة بأن (جي . كوكتو) هو شاعر !! . ان جرأته تتجاوز هذه الحياة . انه لايختلق الامور ولكنه يتذكرها ، انه جزء من التقاليد السامية وهو يتقرب منها بنفس الدرجة سواء هو على قيد الحياة او في عداد الاموات . بهذا فقط يتميز عن المسرح الكلاسيكي الفرنسي الذى هو مسرح واقعي ، ان المسرح الفرنسي قلما يأخذ بنظر الاعتبار ما هو فوق الطبيعة . ويأخذ أقل من ذلك ماهو حقيقي وما هو خيالي مثلما يتمتع به المسرح الانكليزي .

حركة مدروسة ايضا تحيده عن موضوع جديد . ما الفائدة من حبك موقف معقد والسير به مبهما الى ان يتم كشفه ؟ يتناول (كوكتو) وليس لاول مرة موضوع معروف لدى الجميع ويعالجه بقلة احترام واضح . الغير معروف لدى جي . كوكتو ما هو في الحقيقة سوى العالم المعروف والمسموع والمتأمل به والذى يتوسع بمعان دقيقة ومشدودة .

بالنسبة الى (ساشا كيتري) فلكوليت عناية خاصة . خلق بين القاعه والمنظر وبين المترجم والجمهور جو من التقارب ! هـذا ما يمتاز بـه (ساشا كيتري) وقليل من كتاب الدراما لهم القابلية على القيام بذلك.

يجر عو هل تاه منذ « لابيش » ومنذ « ميلهاك » ؟ » كنت استمع بعناية الى القصتين « جولة في الجنة » و « التعلب والضفدعة » مقاطع مـن « ميكوديير » . مرة اخرى اقنعت نفسي بان حالـة التقارب لاتمتزج بالسرور ويمكن ان يكون موجودا من دون الاخر ومن دون الاعتماد عليه . انه يتعلق بظاهرة دقيقة وبسحر شخصي وجذاب بالجوهر ولكنه ليس من الضروري أن يكون جذابا . ان جمهور ساشا لايثور ويشترى الكاتب الدراماتيكي رضاهم التام بفن مدروس ومرح وايضـا بعروض انسانية متواضعة ومغرمة . عندما يسيطر على الدور الرئيسي فهو في الواقـع يسيطر عليه منا ونصبح نحن انصار متحمسين ، صوتـه ونبراتـه « الموهبة الخطرة للاقناع » كافية جدا ... انه عائد الـى المسرح ليس فقط عن طريق سلالته ولكن ايضا بمصيره النشط الى درجـة بحيث انه يخشى جزءا من حياته ، الجزء الذى ينازعه العمل والعبث والسفر . صحيح السفر من مسرح الى مسرح في المنظر .

كنت اجد في الدقـة مثلما اجـده في عـدم المبالاة ذوق السـيد (ساشا كيتري) في الرقص سابقا سعادة حسابية تجعل جسمنا يتحدى جسمنا . ان الطريقة الرشيقة التي ينتقل بها من السكون الى الحركـة وتعديل اسلوب وتعبير حركة بعد البدء بها وفي توافق حركة في اوجهـا مع ذروة الكلمة في عبارة ما هذا ما يملكه بهلوان ايقاع الرقص بقـدر ما يمتلكه الممثل الهزلي ولكن ليس هناك مدرس لتدريس ذلـك . ان

...اخ ومشاهدة (اس ـ كيتري) وهو يمثل هو الترف بعينيه ومجرد
متجردة تماما .



كوليت في حوالي عام ١٩١٠

..د ..كون ..السيدة (كوليت) لخصت انطباعاتها عن المسرح في هذا المقطع
.. ان المساء بالنسبة لي هو فترة من الزمن الذى ما زال ممتلىء بالامل

وبالاحتمالات البديعة انها ثلاث ساعات او اربع ساعات او مئات الدقائق اوقات قد تكون جيدة او مقيتة استقبلها بشرط ان تجلب وتحمل ثقلها وحجمها ولذتها . ان الضجر له على الاقل مرارته التي يتركها على شفتي ولكن من اي نوع هي تلك السهرة في المسرح التي تنفرج في منتصف الليل عن جماهير غامضة غير متأثرة بما لمسته مما هو تافه وسهل وممتلىء بمواقف عامة واقوال مأثورة تافهة وبأي وقاحة وبأي ارتجال » .

بعد ان ولدت طفلتها قدمت لنا السيدة (كوليت) تكملة لاعمالها تشكل بدون اي شك اعظم القصص الغرامية ، ان الانفاس المتشابهه التي تبث الحياة فيها تسمح من دون شك لمتتبعي الامور الادبية والذين لهم رغبة في التبويب بان يمنحو حتما هذه المسلسلات اسم : فصول الحب في كافة القصص امثال (الحنطة في العشب) و (شيري) و(الثانيه) و (دوو) و (جولي دى كارنيلهان) فان المغزى الرئيسي هو نفسه . يمر ابطال القصة بالقرب من حب كانوا يحلمون به . وتبدأ الاحداث في سن السادسة عشر ولكنه هو نفس الامر بالنسبة الى الذين هم في عمر ناضج . من (فينكا) في (الحنطة في العشب) الى (ليا) في (شيري) وسواء بسبب منح النفس او نسيانها فان صيغة خيبة الامل هي نفسها ولا تختلف تقريبا وتكشف لنا بانه في عالم السيدة (كوليت) فالحب هو « قليل من الالم وقليل من السعادة » والكثير من الحكمة وهل سيحكم على هؤلاء الذين يعتبرون الحب بالنسبة لهم هو شيء كله طهارة وكله عظمة ونهائي ؟ (شيري) وميشيل (في دوو) يقتلان نفسيهما و (الين) في (القطة) ينقطع عن العالم لانه يريد ان يكرس

حيـاته لخدمة سرابه ... يجب ان يكون المرء مثل (جولي في كارنيلهان) لمعرفة كيفية السيطرة على احلامه ورغباته وان يعيش حسب نزواتـه مع اتقان المحافظة على نفسه دائمـا .





من يوم الى الاخر وبقوة اكثر ومن ساعة الى ساعة فان ذلك لم يكـــن يقطع الحبل الهزيل والزائل الذى كان يجلبها سنة اخرى ومـــن ايلول لغاية تشرين الاول الى الغابة الكثيفة التي تنحني نحـــو البحر والـــى الصخور التي تغطيها الاعشاب البحريـة مثلما يغطـــى الشعر رأس الانســـان ٠

كان له عادة مقيتة بان ينظر الى صديقته بنظرات مركـزة ، ولكن كما لو كان لايراهـــا وكما لو كنت فينكا كائنا شفافا لايستحق الاعتبار !!

ـ التزمي بالصبر ليس لديكم غير هذا الكلام ! انت يا ابي وانتم يـــا اساتذتي ٠٠٠٠ يا الهـــي ٠

لم تعد (فينكا) تمارس الخياطة لكي تتمعن بصاحبها بجسمه المتناسق والذى لم يغير بلوغه ســـن المراهقة تناسقه ٠ اســـمر وابيض وبقامـــة متوسطة ٠ كان يمر بهدوء ويشبه منذ ان اصبح عمره ١٤ سنة رجـــلا متكاملا ينمو اكثر كل ســـنة ٠

ـ ما العمل يا (فيبيل) ؟ يجب القيام بذلك ! انت تؤمن دائما بان تمد ذراعيك وتصيح (يا الهي) وهل ذلك سيغير الامور ٠ لـــن تكون اكثر حبنا من الآخرين سوف تتقدم لحصول شهادة البكلوريا اذا كان ذلك ممكنا ســـوف تقبل » ٠

ـ اسكتي صرخ (فيل) انك تتكلمين مثل والدتـــي ٠

ـ وانت تتكلم مثل طفل ما الذى تتوقعه اذا من قلة صبرك ؟ ٠

كان الحقد يملء عينا (فيليب) لأنها دعته باسم « ياطفلي العزيـــز »

فأجابها بكل حزن « اني لا اتوقع شيئا ٠٠ اني لا أتوقع بان تفهميني ، انك هنا مع الكشكشة التي تزين فستانك بينما ليس لي غير فكرة بلوغ السادسة عشر من العمر قريبا !! ٠ كان يشع منه عــدم الرضى ٠٠٠ نوع من اليأس التقليدي ورغبة في الوصول بسرعة الى عمر اكبر جعلته حاقدا على الايام ، فحينما تزدهر الروح والجسد تجعل ابـن الباريسي الصناعي هذا يتصور نفسه بانه بطل رومانتيكي ٠ ثم يقع عند قدمـي (فينكا) ويواصل شكواه قائلا : هنالك العديد من السنوات يا (فينكا) لحين ما اصبح رجلا ! رجلا تقريبا حر وقريبا من الحـب » ٠





عندئذ يلاحظ بأن (فينكا) تسحب نفسها من كتفه الذي كانت مستلقية عليه بحركة حساسة وغير مكترثة وبملء ارادتها . تنسحب وعيناهــا

معلقتان الى منحدر الصخرة الضيقة ! . ها ان ارجل (فينكا) متدليـــة في الفضاء ... لقد فهم حركتها ولكنه لـم يرتعد فهـم ماتبتغيه صديقته وحضن خصرها بين ذراعيه وتمسك بهـا بقوه بحيث لاشـيء في الارض يفصله عنها ! وبينما كان يضمها اليه شعر بطراوة هـذا الجسد الريان والحي والكمال المتدفق في جسم هذه الفتاة اليانعة والمستعدة ان تستجيب اليه في الحياة وان تقوده الى المـوت .

« الموت ؟ وما الفائدة ؟ هل يتوجب ان نرحل الى العالم الآخر دون ان أمتلك في الحقيقة ماخلق من اجلـي . »

على هذه الصخرة المائلة اخذ يحلم بالتملك مثلما يحلـم مراهـق خجول ولكن مثل رجل ملح في طلباته ايضا . ووريث صمم على التمتع بالممتلكات التي وفرها له الزمن والقوانين البشرية . لاول مرة وجـد بان عليه ان يتخذ قرارا لوحده يقرر مصير اثنين . له السلطة بان يتركها تنجرف مع المد او ان يتشبث بنتوء الصخرة مثل حبـة القمـح العنيدة التي برغم قلة الغذاء كانت تنبت هناك ... أخذ يشد يديه مـرة اخرى حول خصرها ويرفع الجسم الرشيق الذي كـان يتقل بين ذراعيه ويحث صديقته بنداء مقتضب : ـ فينكا ! هيا بنا !!

تأمله وهو منتصب فوقها وترى بأنه قد فقد صبره ، وعلمت بان ساعة الموت قد مضت . وتجد مرة اخرى بانفعال ساخط اشعة غروب الشمس في عيني (فيبل) السوداويين وشعره المنكوث وفمه والظل مثل جناحين مرتسمين فوق شفته ثم صاحت :

ـ انك لاتحبني بالكفاية ... انك لاتحبني بما هو الكفايـة !! .

يلتقي فيبل (بالسيدة ذات الملابس البيضاء) ومعها يتعرف على مسرة الحب!! انه الانعطاف الاول في مستقبله كرجل . ولكن فينكا اكتشفت منافستها ! كانت منكفئة على راحتي يديها المنبسطتين وكانت تبدو وكأنها واقفة على اربعة ارجل مثل اي حيوان ، لقد رآها فجأة وهي منطلقة ولكن وجهها احمر من الغضب . ان خصلتي شعرها كانتا تلتقيان حول وجهها الذى كان مائلا الى الاسفل ولم يترك شعرها للمرء سوى رؤيـة فمها وانفها المنتفخ بزفير الغضب وعينيها المتقدتين بزرقـة النار . « اسكت يافيبل ! اسكت ! والا قمت بايذائك ! انك تتذمر وتتحدث الي عن الامك ! لقد خدعتني ايها الانسان الكاذب ! أيها الكاذب الذى تركني من اجل امرأة اخرى اليس لديك قليلا من الخجل ! ومـن العقل السليم »، من الرحمة ! لم تجعلني اجيء الى هنا ؟ لكي تقص علي ما فعلته مع الامرأة الاخرى ؟ هل بامكانك ان تقول ما يناقض ذلك ؟ هيا هل تستطيع ذلك ؟ .... وضربته فجأة بلكمة مفاجاة ـ لكمة شاب ـ بحيث كاد يهاجمها ويتلاكم معها بكل ما يملك من قـوة .

(لم اتغلب عليك يا (فينكا) وان كلامك يستحق ذلك اكثر من حركاتك مثل هذه القوة التي طالما لاحظتها عندما كانت تسبح . وعندما كانـت تقفز وعندما كانت ترمي الحصى .....

(لم اتغلب عليك يا (فينكا) وان كلامك يستحق ذلك اكثر من حركاتك لم اكن اريد ان اخضعك ولكن هذه ليست المـرة الاولى التـي سمحت لنفسي ان انطلق الى ....

دمدمت وهي تقاطعه بصوت مبحوح : « من الطبيعي انك اخضعت واحدة اخرى قبلي . اما بالنسبة لي فسوف لن اكون الاولى هباء) .

، ومع هذا تمنح (فينكا) نفسها الى فيليب !!

كان يسمع انفاسها الحرى وهي ترتجف من خـــلال نبرات صوتها كما كان هو ايضا يرتجف · كان يعود دائما الى ما كان يعرفه جيدا الا وهو فمها ، وبينما كان يتمالك انفاسه صمم بان يتخلص مـــن القيود وان يستعيد ما هو متوفر !!



كوليت في حوالي ١٩١٨ و١٩١٩

عند ابتعاده عن (فينكا) تملكته ازمة من شعور حقيقي بالحرمان وخوف من الهواء النقي والذراعين الفارغتين ويعود اليها بسرور ليجد صـــدى لديها وليضم ركبتيها !! عندئذ يجد الشجاعـة لكـــي يدعوها (فينكا حبيبتي) بنبرة متواضعة وفي نفس الوقت يستجديها بان تنسى ما كان يطلبه منها !! لقد فهمت ولكنها لم تظهر سوى سكوت حانق قد يكون مبالغ فيه وتسرع لتقتل به نفسها · سمع التذمر الثائر القصير ولاحظ الهجمة غير المتعمدة ولكن الجسم الذي كان يغيظه لايخفي نفسه وبقـي يرفض ايـة رحمـة !!

فيليب يتأمل حالته الجديدة فهو لم يكن يتصور بان المتعة التي لاتمنح او تقبل بصورة جيدة يمكن ان تكون عمل يكمل المــرء · ان نبل العمر اليافع يدفع فقط الى انقاذ ما يجب ان لايهلك ، الخمسة عشر سنة التي عاشاها كتوأمين عاشقين وطاهرين !!

ساقول لها : هل تظنين بان حبنا ـ حب فيليل وفينكا ـ سيصل الـــى مكان اخر غير هناك ! بانه سيقود الى مكان اخر غير غرفتك او غرفتي · أنه واضح واكيد صدقيني لان امرأة لااعرفها منحتني هذا الفرح العظيم والذى مازال يجعلني ارتعش وانا بعيد عنها مثل قلب السمكة الـــذى انتزع حيا · ما الذى سوف لن يمنحنا اياه حبنا ؟ انه واضح واكيد··· ولكن اذا انا مخطيء فيجب ان لاتعلمي ذلك ····· »



في قصة (الحنطة في العشب) كان فيليب قد اطلع على الحب من قبل (السيدة ذات الملابس البيضاء) ... شخصية بقيت في الظل ولكن (شيري) سلط الضوء عليها بقساوة بالغة . يمكن ان نعتبر شيري تحفة اعمال السيدة (كوليت) الادبية واكثر من قصة غلام خليل تحبه امرأة اكبر منه سنا .

وهكذا تحكي لنا الكاتبة قصة ولادته في مقدمة احدى الطبعات الاخيرة (لشيرى) :

شيرى ! كان في البداية مخلوقا اشقرأ احد كتفيه منحن وحاجبيه وردية اللون والعين اليمنى فيها بعض الضعف ، يشخر بسبب زكام مزمن وبالرغم من مظهره كطفل عائلة فقيرة كان بامكانه التصرف بآلاف الفرنكات ! ففي كافة الاماكن حيث كانت باريس تنتظر وهي تشرب ومنذ ربع قرن كان يلون الفجر الزجاج بلون ازرق وحزين كانت تسمح لسيدة سمراء وقاسية وذكية ان تسيرها وتخدعها ! ، اود ان اضيف بان (شيري) في ذلك الوقت كان يدعى « كلوك » بسبب صوت لايحتمل يصدر من انفه المزكوم كلما سحب نفسا . وهكذا فان اول مظاهر الذل ظهرت عند (شيري) عندما احتجته لاحدى مقالاتي الاسبوعية في « الماتن » فاعترف بجبنه وبمرض الخوف الذى يسيطر عليه من الوحدانية وكيف انه يتحمل قسوة عشيقته والاصدقاء الذين يستدينون منه .

ولكن في احدى الايام وهو يتناول وجبة العشاء مع رفيقته والتي كانت تبهر الانظار بمجوهراتها لاحظ بانه توجد على الطاولة المجاورة اربعة نساء ناضجات ، وبالرغم من عدم وجود رجل معهن فكن يشربن الشامبانيا ويأكلن مالذ وطاب بينما كانت تنطلق الضحكات منهن وهن يتكلمن بكل جراة عن ماضيهن ومغامراتهن الغرامية !!

(كلوك) حدس مصيره ! والذي يتلخص بأن عليه ان يموت ليولد مرة اخرى ليصبح محبوبا اي جميل المظهر . بكل جبن واسمح لنفسي بان اسميه بقوة مبتدىء من الجنوب فقد « كلوك » وعيه والوان بشرته وانغمس في اعماق الفراغ ليستيقظ بين ذراعي « ليا » التي تدعوه باسم « شيري » !!

شيري ابن السيدة (بيلوة) غني ومحب للملذات يتعلق بصديقة قديمة لوالدته (ليا) حيث سيكون حبها العظيم والاخير .

« في التاسعة والاربعين تنهي » (ليوني فالون) المعروفة باسم ليا دي لونفال حياة عشيقة . كان لها دخل طيب . وكانت فتاة طيبة جنبتها الحياة المصائب والاحزان ، كانت تخفي تاريخ ولادتها ولكنها كانت تعترف بمحض ارادتها وهي ترمي (شيرى) بنظرات شهوانية عارمة بانها وصلت الى عمر يمكنها منح بعض المسرات !! كانت تحب النظام والملابس الجميلة والخمر المعتق والطعام الطيب ..... تتقدم اليه لتقبله باندفاع تملئه الضغينة والانانية وافكار الانتقام « انتظر ... انه حقيقي بان لك فم لطيف ! في هذه المرة ساشبع نفسي منه لانني ارغب ذلك وبعدئذ ساتركه لك ، ولو انك تشمت بي فاني قادمة !! كانت تقبله بصورة متقنة تتركه في حالة من الذهول وكأنه مخمور واصم

ومختنق ومرتجف !! وكأنه قدم لتوه من معركة !! .... ثم تقف امامه وهو لايتحرك !! ثم تتحداه بقولها « ها ! ها ! » وتقف منتظرة بان يقوم بشتمها ، ولكنه يمد ذراعيه اليها ويفتح يديه الجميلتين ويدير رأسه ليظهر دموعا براقة بين مقلتيه بينما يهمس بكلمات عتاب يكتشف من خلالها انها تدعوه « شيري » ! « تعالـــي » و « لن اتركِكي » اغنيتان ترددهما وهي منحنيه عليه ! ..

بعناد تفكر لقد اخضعتهم جميعا ولقد عرفت دائما ماالذي يرغبونه وماالذي يريدونه وهذا الطفل ... هذا الطفل الخجول سوف يكون صعبا فهو لن يسلم شيئا من نفسه وهو نشط ومعتز بعمره البالغ تسعة عشر سنة . انه مرح عند مائدة الطعام وقليل الصبر في الفراش !! ولكنه لايفصح شيئا عن نفسه ويبقى كالصندوق المقفل مثل العاهرات !! رقيق ؟ نعم ، ولكن الرقة تستطيع أختراق الصيحة اللا ارادية والذراعين التين تحتضناه ثانية بقوة .

ولكن « الخبث » يعاوده مع الكلام ومع التيقظ للهروب في الوقت المناسب ! كم من مرة وعند الفجر كانت (ليا) تحتضن حبيبها بين ذراعيها وهو مسرور وهادىء وعيناه شبه مغلقتان وفمه حيث ترى الحياة تدب من جديد كما لو ان صباح وعند كل عناق يصبح اكثر جمالا من البارحة !

كم من مرة وقد انتصرت عليها في تلك الساعة الرغبة باخضاعه ، والرغبة الجامحة للاعتراف وضعت جبهتها على (شيري) وقالت : « قل ... تكلم ... قل لي ... »

لكنه ظل صامتا ولم يخرج من فمه المقوس اي اعتراف !! ..

من اجل المصلحة سيتزوج (شيرى) ويعترف الى ليا ... وفي رأسه فكرة خفية لتمزيق فريسته ، ولكن المرأة صلدة ، وليا تنتظر مغادرة (شيري) لتطلق العنان للوعتها .. وفجأة ينتابها الم شديد بحيث انها ظنت في بادىء الامر بانه الم جسدي وكان من الشدة بحيث انه جعلها تنتفض واقفة يلتوى فمها وينتزع منها مع شهيق اجش وانتحاب اسما واحدا : « شيرى » . تلت ذلك الدموع التي لم يكن باستطاعتها ان تسيطر عليها فورا وحالما تمالكت نفسها جلست ومسحت وجهها واوقدت المصباح « اه ! جيد ! اني ارى الامور » .

اخرجت من الكومودي بجانب سريرها محرارا ووضعته تحت ابطها : سبع وثلاثون ، اذا هذا ليس الم جسدي ، السبب هو اني متألقة يتوجب علي ان اتصرف .

عقدت النية وقامت وغسلت عينيها المحمرتين ووضعت البودرة على وجهها ثم اضرمت النار في الحطب ونامت مرة اخرى . كانت تشعر بانها حاذقة وكلها تحد تجاه عدو لم تعرفه من قبل انه الالم ، لقد انسلخ عنها ثلاثون عاما من الحياة السهلة والممتعة وفي الكثير من الاحيان غرامية وفي بعض الاحيان جشعة وتركتها وهي تقارب الخمسين سنة من العمر يافعة وكأنها عارية ! اخذت تهزأ من نفسها ولم تعد تشعر بالالم ثم اخذت تبتسم .

اظن بأني كنت مجنونة .قبل قليل ليس لدي اى شيء الان !! .
بعد زواجه كان (شيرى) ايضا سجين ذكرياته وسرعان ماتسممت حياته

الزوجية ، فيهجر زوجته ويعود الى (ليا) .

• نونون حبيبتي ! لقد وجدتك ثانية ! حبيبتي نونون ! اه يانونون نفس ذلك الكتف وايضا نفس عطرك وقلادتك ! نونون حبيبتي اه انه لشيء رائع ... وكذلك ذوقك في الخصلة البيضاء في شعرك حقا انه شيء رائع . كانت تتشكى بصوت خافت وفمها مغلق ولم يصدر اي كلام !

كان يستمع الى (ليا) ساندا خده على صدرها وكـان يتوسل عندما كانت تتوقف عن عتابها الرقيق ويقول « المزيد من عتابك » .

و (ليا) التي كانت تخاف ايضا من ان تتفجر باكية واصلت عتابها بنفس الصوت : ايهـا الحيوان الشرير ... أيهـا الشيطان الصغير الذي لاقلب له ..... ايا ماكر ...

« وجه نحوها نظرة ملؤها العرفان وقال لها » اى نعم هكذا ! ويخيني ! أه نونون .

« ابعدته عنها لتراه بصورة افضل وسألته : اذا انك تحبني ؟ .

خفض عينيه باضطراب طفولي واجاب : « نعم نونون » .

ضحكة قصيرة مخنوقة لم تعـد تستطيع حبسها اندرت (ليا) بانهـا كانت قريبة جدا من الاستسلام الى اعنف انشراح في حياتها . ولكن هذا الفـراق اظهـر حقيقة كـان الاثنان يحـاولان ان يتغاضيا عنهـا . ان (ليا) امرأة عجوز !! هذه الحقيقة سطعت مثل البرق ، عند ذلـك وصلت الى اوج شخصيتها المؤلمـة ...

.. لقد حملتك طويلا وها ان لك بدورك حملا يجب ان تحمله امرأة شابة

قد تكون طفلة ···· اني مسؤولة عن كل ما ينقصك ··· نعم ! نعم ياحبيبي الوسيم ها انت في الخامسة والعشرين من العمر وبفضلي انــك مرتاح ومدلل وكئيب في نفس الوقت اني قلقة جدا · سوف تتألم وسوف تسبب الألم للاخرين ! انت الذي احببتني ·

توقفت اليد التي كانت تنتف ثوب الحمام فجأة واحست (ليا) على نهدها اظافر رضيع ماكر · واصلت كلامها بعد توقف قليل قائلة « انت الذى احببتني هل يمكنك ···· لاادرى كيف اعبر عن نفسي ؟ ····· انفصل عنها لكي يسمعها بصورة افضل ، كان عليها ان تصرخ : « اعــد هذه اليد فوق صدري واعد اظافرك في اثارها · ان قوتي تخونني حالما يبتعد جسدك عني !!

انحنت عليه بدورها وهو راكع امامها وواصلت كلامها «انت الذى احببتني انت الذى ستندم علي !! ···· »

ثم ابتسمت له ونظرت في عينيه · « ــ اه اى تعجرف هذا ؟ انت الذى سوف يندم علي ، اريد بانه عندما تشعر بانك ستفزع الغزالة التـي هي لك والتي هي مسؤ ليتك بان تسيطر على نفسك وبـــان تبتدع عندئذ كل ما لم اعلمك اياه ··· لم اتكلم ابدا معك عن المستقبل · اعذرني شيرى : لقد احببتك كما لو كان احدنا سيموت بعد ساعة · حيث انــي ولدت قبلك بخمسة وعشرين سنة فكنت محكومة بالموت وكنت اجــرك معــي ···

اسرع اسرع يا صغيري اذهب وفتش عن شبابك لان النساء الناضجات يجعلنك تتقرن ! انه ما زال موجودا بالنسبة لك وما زال موجودا بالنسبة الى هذه الطفلة التي تنتظرك لقد تذوقت الشباب ، انها لا تمنح الرضا ولكن يجب العودة الى هناك … هذه ليست الليلة الاولى التي بدأت فيها بالمقارنة . وما الذي افعله انا ؟ انا اعطي النصائح واظهر عظمة نفسية ! ما الذي اعلمه عنكما انتما الاثنان انها تحبك ! لقد جاء دورها لكي ترتعش ! وسوف تتألم مثل انسانة مغرمة وليس كأم معذبة ! ، سوف تتكلم معها كسيدها وليس كشاب متقلب يعاشر امرأة متقدمة في السن . هيا اذهب اذهب بسرعة .



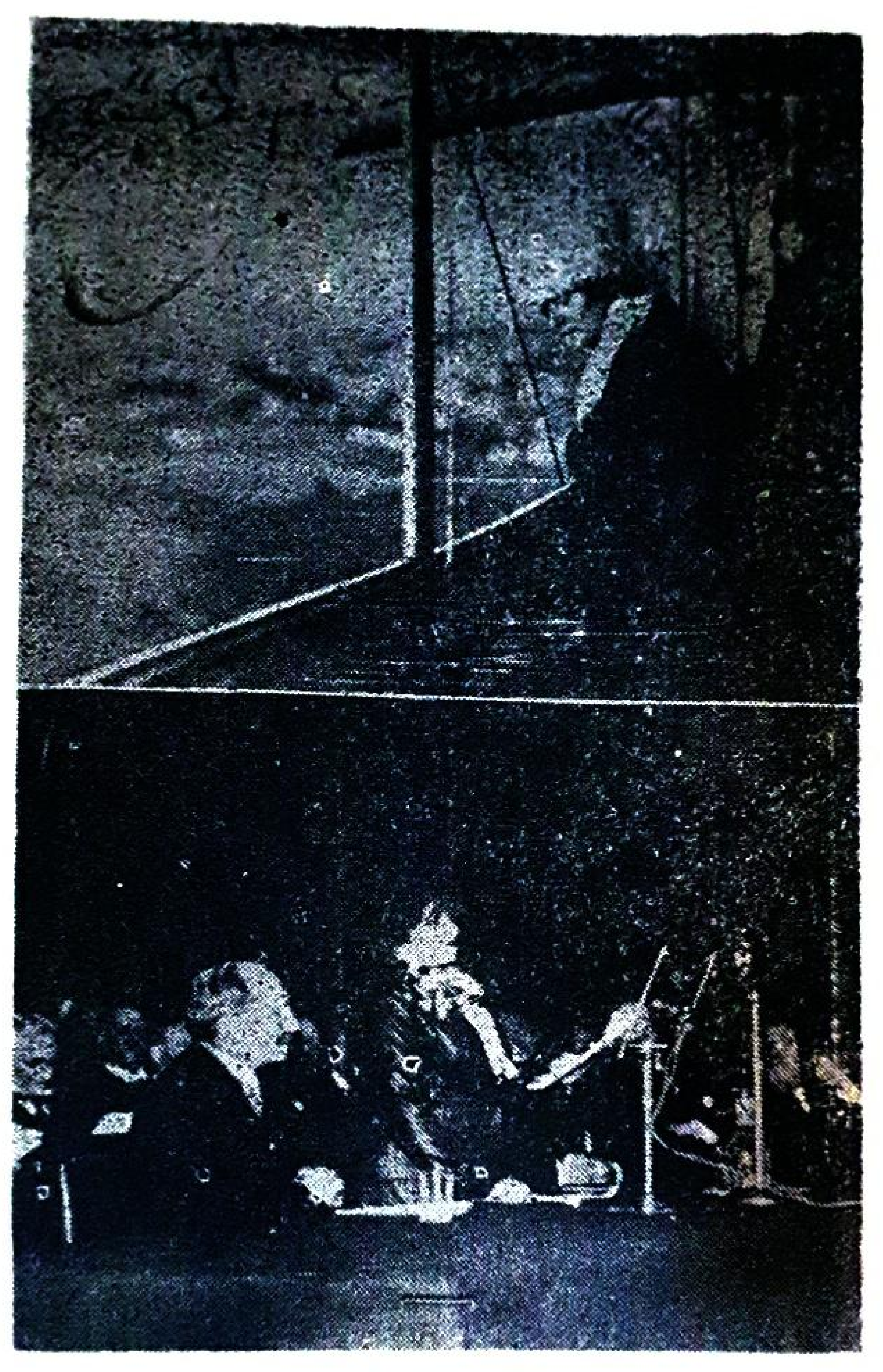
نهاية شيري ..

بعد تسعة اعوام تكتب كوليت (نهاية شيري) شيري الذي مر من خلال تجربتين قاسيتين . الحرب التي جعلت زوجته تشعر بنفسها والذبول الجسدي الذي الم (بليا) التي اصبحت (امرأة مسنة) ولم يكن يلتقي باحد غيرها فكان بؤسه عظيما . كانت تسميني البرجوازي الصغير لأني كنت احصي القناني في قبوها .

البرجوازي الصغير ، والرجل المخلص ، والعاشق الكبير هذه كانت اسمائي الحقيقية . أما هي فكانت الدموع تنسكب من مقلتيها عند مغادرتي . ومع هذا فهي التي كانت تفضل متعتها علي . وهي التي كانت تعد على اصابعها بجانب النار : « لقد عرفت هذا وذاك وشيري وآخر !!! »

كنت اعتقد بانها لي وحدي ولم الاحظ بأني كنت فقط احد عشاقها . هل هناك من استطيع ان لا اخجل منه حاليا ؟؟ .

كان يهيج نفسه لينتحب بعلو صوته ، وان يكرر « نونون ـ حبيبتي نونون » ليقنع نفسه بانه في حالة هوس . ولكنه كان يسكت خجلا لانه لم يكن بحاجة الى الهوس لاخذ المسدس الموضوع على الطاولة. دون ان يقوم فتش عن موضع مناسب وفي النهاية تمدد على ذراعه الايمن



صورتان « لكوليت » ..

المطوي والذى كان يمسك بالسلاح والصق اذنيه على المسدس الذى كان مدسوسا في الوسادات وسرعان ما سرى في ذراعه الخدر · كان يعلم بانه اذا لم يسرع فان اصابعه التي أخذ النمل يسرى فيها سوف لـــن تطيعه وعليه فانه اخذ يسرع ويطلق بعض الشكوى المكتومة لان مقدمة ذراعـه الأيمن كانت محصورة تحت جسمه وتعيقه · بعد ذلك لم يعرف شيئا من الحياة سوى جهد السبابة على نتوء بسيط من الحديد المحزز ·

قد تكون قصة (نهاية شيرى) قصاص الحب ··· قصاص لهذه الشهوة البشعة الى حد ما التي كانت بين شيرى وليا ولكن يمكن ان تكون انطباع في نفسية وحسب تجربة الكاتبة الشخصية بانها مدانـة ·

ولادة النهار

ان قصة التضحية بالحب التي كانت موضوعا ثانويا في (شيري) اصبحت في (ولادة النهار) التي كتبتها كوليت في فترة زواجها الثالث تحفة ادبية ، ولادة النهار او النضوج (الفصل الهادئ، حينما الشباب يعود شبابا او الطفولة تعود الى الطفولة)

« سيدي :

تطلب مني ان اقضي ثمانية ايام عندكم أي بالقرب من ابنتي التي اعبدها، انت الذي تعيش بالقرب منها تعلم باني لاراها الا نادرا وكم يسرني وجودها معي . كما اني تأثرت كثيرا بدعوتك للقدوم لزيارتها ومع هذا فاني لاستطيع ان اقبل دعوتك اللطيفة او على الاقل ليس في الوقت الحاضر . وهذا السبب . فهناك احتمال بان شجيرة الصبار الوردي في حديقتي سوف تنبت زهرة . انها شجيرة نادرة جدا قدمت الي كهدية وقد اخبروني بانها لا تزهر في مناخنا هذا سوى مرة كل أربعة سنين وحيث اني امراة تقدم بها العمر فاذا غبت في الوقت الذي ستزهر شجيرتي فانا متأكدة باني لن اراها عندما تزهر المرة القادمة . ارجو ان تتقبل ياسيدي مع شكري العميق تحياتي وأسفي » .

هذه الرسالة الموقعة « سيدوني كوليت ـ لاندوي بالولادة » كانت قد ارسلت من قبل والدتي الى احد ازواجي ، زوجي الثاني . وبعد سنة توفيت عن عمر سبعة وسبعين سنة .

بها . ان هذه الرسالة بعشرة اسطر اعلمتني بانها وهي في عمر ست
، اني ابنة تلك التي كتبت هذه الرسالة ورسائل عديدة اخرى احتفظت
وسبعين سنة كانت تخطط وتقوم بسفرات ولكن التفتح الذى يمكن ان
يتم . وبان انتظار زهرة من منطقة استوائية علق وجلب السكوت حتى
الى قلبها المكرس للمحبة . اني ابنة امرأة كانت في بلـــد صغير مكروه
وجشع ومنطوي تفتح بيتها القروى للقطط الضالة والمشردين والخادمات
الحبالى . اني ابنة امرأة التي لعشرين مرة تكدرت من عدم توفر النقود
لآخرين وركضت تحت الثلج الذى تعصف به الرياح وهي تصرخ مـــن
باب الى باب في منطقة الاغنياء بان طفلا بالقرب من موقد بيت معدم قـ-
ولد وليس هنالك ملابس له . عار بين يدين واهنة وعارية ، هل يمكن
ان انسى ابدا باني ابنة مثل هذه المرأة التي كانت تنحني وهي مرتعشة
وكل تجاعيد وجهها ترتجف بين اغصان الصبار الشائكة بامل رؤيـــة
زهرة . ان امرأة مثل هذه لن تتوقف عن الازهار وبدون كلل خـــلال
ثلاث او اربع قرون . » والان وانا اتقدم بالسن قليلا . وقليلا ارى نفسي
في المرآة باني ازدد شبها بهـا قليلا وقليلا . اذا عادت لاعتقد بانهـــا
ستتعرف علي كابنتها بالرغم من تشابه ملامح وجهينا الا اذا عادت عند
انبثاق النهار وتفاجئني وانا واقفة راصدة عالم نائم وعالم مستيقظ مثلما
كانت هي ومثلما ساكون في الكثير من الاحيان وقبل كل شيء . غـــدا
ساواجيء الفجر الاحمر فوق اشجار الأثل المتشحة بلون وردي مالح وفوق
الخيزران المنتصب والذى تتواجد فوق كل رمح ازرق لؤلؤة . طريـــق
الساحل الذى ينتصب من الليل ومن الضباب ومن البحر ومن ثم السباحة
والعمل والراحة ... كم من الممكن ان يكون كل شيء بسيطا ... هـــل

بنعت عنا النقطة التي لايمكن تكرارها ابدا ؟ كــل شيء يشبه السنين الاولى من حياتي واتعرف قليلا وقليلا على الانكماش في الحياة الريفية وعلى القطط وعلى الكلاب التي شاخت وعلى الاعجــاب وعلى الهدوء الذى اشعر بنسيمه عن بعد ..

رطوبة مشفقة ووعد بمطر شاف معلق فوق حياتي التي مازالت عاصفة واتعرف على طريق العودة ، اكملت منه عدة مراحل وتجاوزتها قصــر زائل اشار الى قصر السيد دى جوفينيل ذاب مع الغيبة وحل محلـه دار صغير . ان املاكا كثيرة في انحاء فرنسا تتقلص يوما بعد يــوم بسبب امنيات لم اكن اجسر من قبل ان اصوغها . جسارة فريدة وحيوية وماض يوحي حتى الى عبقرية المرؤوسين في الوقت الحاضر !

يعود الخدم متواضعين وكفوئين ، والوصيفة تعزق الارض بكـل محبة ، والطباخة تغسل الملابس ... في هذه الحياة عندما فكرت باني لــن استطيع ان اعيش فيها الا من الجانب الاخر !! . في هذه الحياة هــل يوجد ممر اخضر استطيع ان اطبع عليه خطواتــي ؟

عند فوهة البئر شبح مثل الام في روب ازرق قديم من قماش «الساتان» . ترى هل تملأ مرشة الماء ؟ .. البرودة المتاتية من الماء المنثورة وهــذه الارانب الوديعة وهذه الروح الريفية وهذه البراءة اليست هي دعــوة لطيفة لنهاية الحياة ؟ كم اصبحت بسيطة في كل شيء ، ولغاية الصحن الـ ني الذى اضعه على المائدة تحت الظلال مقابل صحني .

صحن ثان ... هذا يحدث نادرا الان ، صحن اخضر مع كاس قديــم

زجاجي ، اذا طلبت ان يرفعوه الى الابد فلن يتحرك شـــعري المنسدل بفعل اية نفحة مؤذية تأتي من الافق ـ هـذا الواقـع ـ وبمعنى أخـر فحياتي انا شبيهة بهذا الصحن الذي لو رفع من على المائدة فاني اتناول طعامي بشهية !! ان هذا الصحن صديق يأتي ويغادر وليس صحن رب البيت الذى تطأ اقدامه اخشاب الغرفة التي تصدر اصواتا مزعجة فـي ساعات الليل المتأخرة ٠ وفي اليوم الذى اختفى الصحن والكأس والقيثارة من امامي كنت لوحدي فقط ولست مهملـة ٠

حيث اني متواضعة عادة امام ماأجهله فاني اخشى ان اخطأ عندما اعتقد بانه تبدأ بيني وبين الرجل فترة استجمام طويلة ٠ ايها الرجـل ياصديقي الن تأت لنتنفس معا لقد اعجبتني دائما رفقتك ٠ انك تنظـر الي الان بنظرة رقيقة جدا ٠ ترى وهي تظهر من بين الركام وهي مازالت مثقلة مثل الطحالب غريقة ـ واذا كان الرأس قد انقذ فان باقي الجسم مازال يكافح وخلاصه ليس اكيدا ـ تـرى وهـي تظهر كاختك وكتلك المتواطئة معـك ٠

امرأة تهرب من العمر الذى يجب ان تكون فيه امرأة ٠ حسب ماتتصور ، لها سياج عريض وبان لها قوة جسمانية تبعد عنها الطيبة نسبيا والسلطة التي تبين لك بانه لايمكنك ان تدفعها الى اليأس بعد الان ٠ لتبقى معا ، لم يبقى لك من الاسباب الان لتتركني الى الابد ٠

احـدى تفاهات الحياة الكبرى هي بان الحب يهرب من حبي .! وان غريزة الامومة هي تفاهة اخرى ! واذا خرجنا مـــن هناك تجد كلما هو مرح وحقيقي ومتجدد ٠ ولكن لايخرج احد مـــن هناك عندما يروم

ذلك ولا مثلما يريـد ٠

كم كان عقلانيا تأنيب احد ازواجي لي بقوله : « الا تستطيعين كتابـة قصة تتناول مواضيع غير الحب والزنى ومعاشرة رجـل لامرأة معاشـرة تكاد ان تكون زنى مع المحرمات والانفصام ؟ اليس هناك شيئا اخرا في الحياة ؟ » ٠٠

ولو لم يكن الوقت قد ادركه .. حيث انه كان جميل الطلعة فتانا ـ ليركض نحو موعد غرامي لكان من الممكن ان يعلمني اية اباحة عنده تحل محـل الحب في القصة الغرامية وغير الغرامية !! ٠٠ فقمت مسرعة وتناولـت الورقة الزرقاء من على الطاولة المعتمة التي تقود يدي في هذه اللحظة مثل الفوسفور المشع حيث أودعت فيها ـ انا التي لاتنصلح ـ بعض الفصول المكرسة الى الحب والى حسرات الحب وفصلا حول الحب الأعمى !! لقد سميت فيه (رينيه) نيري ونوهت فيه عن ليا ، وهكذا فأنه قانونـا وفـي الادب وبين الاصدقاء لم يعد لي غير اسم واحد وهو اسـمي ٠

الم يتوجب علي لكي اتوصل الى ذلك والعودة الى هناك بان اقضي عبر ثلاثين عاما من حياتي ؟ لقد توصلت الى مايجعلني اعتقد بان ذلك لـم يكن ثمنا باهضا كما ترون فان الصدف هي التي جعلت مني احدى تلك

النساء التي تتعلق برجل فذ الى حد انها تحمل حتى الى تحت التراب

سذاجة امرأة عجوز !! ..

لم يكن من الممكن تصور مثل هذا الحظ . جسمي الممتلىء والمزدوج

الذي اضفت عليه الشمس والماء صبغة برونزية والذي أراه في المرآة

منحن ومرتجف كما لو كان يرتجف لغاية الان من خطر ماض !

القبعة العسكرية

(شيري) و (مولد النهار) هما قصتان تنبئان بالتضحيه بالحب وذلك يمثل تصرفا فريدا للسيدة كوليت ، فن تحويل قصصها الى تعويذة شخصية ٠ ومن الجائز لغرض طرد الشيطان من المستقبل !!٠٠ من الجدير بالاهتمام متابعة الخطوات المختلفة لهذه التطورات ومن دون شك ان مؤلفها (القبعة العسكرية) هي احدى الخطوات من بين الخطوات الاخرى ٠ وفي مؤلفها (العقبات) نوهت الكاتبة الى حكاية اصبحت بعد اثنين وثلاثين سنة قصة غرامية عن امرأة بعمر ناضج تتعلق بملازم ثان وفي يوم من الايام تلبس قبعة حبيبها العسكرية ٠ وهذه الصورة المضحكة عجلت من الانفصام بين (ماركو) والعسكرية ٠ حالة تظهر بأن موقف (ليا) كان نهاية معاكسة لنهاية ماركو ٠

يوم سعيد حقا ذلك هو احد الايام حيث مطر باريس ولا ندري اي رطوبة تغطي المرايا واية حاجة للتخلص من الملابس تحث العشاق على الانزواء في الغرف وجعل النهار ليلا !! ٠٠ في مثل هذه الايام يقول ماركو : « التي تتسبب في ضياع النفس والجسد كان علي ان اتتبع صديقتي وان اتأملها ـ وكانت تجبرني على ذلك ـ وهي شبه عارية ومستلقية على الفراش تنبثق منها السعادة الجسدية وجلفة بدرجة انها كانت

تسميهما الشريران !! ... وفي هـذه اللحظـة لمست يداها الضائعتان والتائهتان فوق الفراش القبعة العسكرية وانصياعا الى غريزة أنثويـة تماما انتصبت وهي في ثوبها المجعد ووضعت القبعة العسكرية فـوف اذنيها وثبتتها بضربة ماكرة وصارت تغني : طبل وبوق وموسيقى فـي الـــرأس .

هـذا مايحصل للفرقـة ....

اذا التزم بالواقع فأن قصة (ماركو) قد انتهت فقـد كان لماركـــو عشيقة ، ماركو لم تعد له عشيقة .. ماركو قد « لمس الفأس » أي انـه ارتدى القبعة العسكرية المحتومة وفي اتعس لحظة ... في اللحظة التي يكون فيها الرجل قيثارة حزينة مازالت تهتز . رجل مثل المكتشف الذي عاد من بلد لمحه ولكن لم يستطع ان يصل اليه نراه تائب واع يحلف « سوف لن اعملها مرة اخرى » ويخدش ركبتيه .

الثانية ...

موضوع اخر حول التضحية بالحب ، (الثانية) حيث نلتقي ايضا بوجه المراهقة المؤثر ومن الجدير بالاهتمام مقارنة فيبل في (الحنطة في العشب) مع (شيرى) ومع انطوان في (الفاسقة البريئة) هنا احـد ابطال (كوليت) الرئيسيين وهو (فارو) يخوض نقاشا . انه نوع من ذلك الذكر المزواج الذي يجلب الى بيته (جان) توضيحا بينها وبين زوجها وبين جان . ان هذا المنظر الذى هو محاورة مسرحية حقيقية تعيد الى الذاكرة مناقشة (كلودين ـ رينولد ـ ريزى) بحركتها ونبراتها يقوم فارو الذى كان جالسا ببطء وينزل حاجبيه علـى جبهته ببطء وبعظمة والامرأتان لم تخافا ولو للحظة واحـد لانهما كانتا تعتبرانـه وسيما ، كانتا تنتظران ولاهذه ولا تلك كانت تعرف اى نـوع مـن الصاعقـة .

« اي منكما قد تكلمت ؟ » يسأل اخيرا (فارو)

و (فاني) تجيب وهي تشعر بأنها مهانة انا طبعا .

يركز نظرته عليها ولكن من دون غضب وبتحفظ مدروس سابقـا .

« وأنت كنت تعرفين ذلك منذ امد طويل ؟ » .

تكذب بنوع من التبجح :

ـ نعم .. منذ امد طويـل .

ـ وقد اخفيت ذلك جيدا تهانينا !!

فكرت برد مبتذل على الهجوم المقابل ولكنها رفعت كتفها ٠

تواصل فارو قائلا « ولكن اذا كنت قد اخفيت الامر لهذه الفترة الطويلة وهذا ما اشك فيه ـ أي نعم اشك فيه ـ لماذا لا تستمرين على ذلك ؟

اندهلت للحظة ثم تمالكت نفسها ثم صرخت :

ـ وهل تعتقد بأن المرء وهو يعرف شيئا من هـذا القبيل يمكن لـه السكوت دائمـا ؟

ـ اني مقتنع بذلك « يجيب فارو » انت تعرفين جيدا يا (فاني) بأنك عزيزتي ٠ وقد استمعت دائما بحنانك وبالرغم من كل شيء وعبر عشر سنوات ٠٠ان هذه الاعوام العشرة تظمن لي بانك سـوف تعرفين كيف تدبرين تلك الامور التي تستحق التدبير ٠ واشكرك على ذلك سلفا ٠

« تلك التي تستحق التدبير استقبلت دون ان تؤثر على نهاية الفترة او ذهول فاني !! حتى هي كانت تعبر بفمها اعجابا كافيا وساخرا كأنهـا فقدت قابليتها على التأثر والتعجب منذ ان دخل فارو ٠ وكانت تتابع حركات (فاني) و (فارو) بعينيها ٠

بالنسبة الى الرجل الذى كشف لنا عنه اعلاه فان السيدة (كوليـت) تحكم على الصنف عبر هذه الشخصية ٠

« وجدته اوطأ من كل شيء !! نعم اوطأ من كل شيء ! لماذا كان اوطـأ من كل شيء ؟

وكيف تريدين ان يكون ؟ اجابت (جان) بشدة هل كنت تعتقديـن بانه سيكون روحيا ؟ او يضربك او ان يرميني من الشباك ؟ اي رجـل

في تلك الظروف ليس له واحد بالمائة مما سيكون في صالحه الا علـــى حساب شرفــه · فتهز رأسها وتقول بدون تعليق وكأنها تحتفظ لنفسها باوضح خبراتهـــا :

ـ انه صعب جدا بالنسبة لهم » ·

ـ لماذا ؟ تسأل (فانـــي) ··

وتقطع (جان) خيطا باسنانها وتقول وهي تستعمل نفس صيغة الجمع المزعجة : « لانهم هكذا ! انهم خجولون كما تعرفين بالاضافة الـــى ذلك فانهم مخلوقون بشكل بحيث انهم عندما يجدون انفســـهم فيما نسميه شجارا او خصاما يرون فورا امكانية التخلص منا الى الأبـــد » ·

وتتبع الامراتان نصيحة الرجـل وتقبلان الحـل الوسط بينما (فارو) الصغيرة تحتقرهم حيث ان المراهقة بعواطفها المتصلبة لايمكنها ان تتصور غير الحب التام والنقي !!



ولكن بالنسبة الى (ميشيل) فان الشيء الضروري هو شيء آخر. انه لايعتمد الان على اي شيء آخر غير (توعية العذاب) ويقتل نفسه لانه مثل (شيري) كان يعتقد بالحب ، هذا هو اليوم ينتهي بهذه السرعة ؟ كم يسير الوقت سريعا ؟ وها قد حان اليوم. كنت مرتاحا جدا ، مرتاح هي ليست الكلمة المقصودة ولكن على كل حال كنت لوحدي .

عندما تستيقظ ... ماالذي يريدون ان اكون عندما تفتح باب الغرفة والاسئلة والتعجب والقلق المجامل. ستقول لي باني غير منصف وستتقدم مني وتضع يديها على كتفي المنبوذين وسترفع ذراعيها الجميلتين .....

.... اطفأ المصباح على الطاولة ولكنه لم يفتح الجرار الذي فيه المسدس .

انا افعل شيئا من هذا القبيل في داري ؟ اترك اليس ترى هذا ؟ وماريا ؟ ماالذي ستقوله ماريا ؟ .... »

يتاثر من اللؤم الذى يملكه عندما يرى المارة يركضون تحت زخه المطر والرجل الذى يجد ملجأ في الوقت المناسب « اه كم تعلم ان تدبر امرها جيدا عندما تريد ... اراها هنا تثمن الاشياء مع « شيفتر » ومع رجال التأمين على الحياة الذين يبدأون عملهم دائما على مناقشة فرضية وقوع حادث . آه سيكون منظرا جميلا .

والعقد مع « إمبربوكو » سوف يلقى من يتكلم معه : النيسوا « سوف تكون عظيمة ! وقاحة مثل صاعقة الله ... راسها الى الوراء وسيكارتها في فمها ويدها على خصرها ان الانبهار الجائع لايكفي لتغطية هذه الارداف ولا الطية التي تشير اليها كلما تدير صدرها على خصرها وعندما تهاجم بغدر دون أن تخلص نفسها من الذى يهاجمها ! يعبر المنحدر حيث الليل مازال سائدا ويلمس تحت قدميه الثقيلتين والمتثاقلتين النهر الذى يضرب بامواجه الضامتة سياج المنتزه المخلوع !! ...

القطة !..

لم تكتب السيدة (كوليت) ابدا مقالة عن العواطف ولكنهـــا اعطتنا (القطة) التي هي بين مجمل اعمالها تمثل مثل هذا العمل ·

معقدان يتزوجان ، رجـل وامـــرأة يظهران منقسمين بسبب الرغبـة وبسبب الحــب ·

(الن) و (كاميل) هما صديقان منذ ايام الطفولة (يمكن مثل فيبل وفينكا في الحنطة في العشب) بعد بضع سنوات يتزوجان ···· ولكن الذى كان يحبه في (كاميل) هو (الشكل الذى هو كله كمال الثابـت غير المتحرك ···· هذا الظـل ··· الصورة او الذكرى الحية التـــي تتركها له لساعات معينة أو ملابس معينة ···)

اما (كاميل) فكانت تريد ان يحبها من اجل نفسها بكـــل سذاجـــة وامكانات قلبها وجسدها الجديد ، وكانـت رغبتها للسعادة والمتعـــة الجسدية تغيظ الـن ›

يدير رأسه بحذر ويفتح عينيه قليلا ويرى صورا بيضاء ومـرة زرقاء فاتحة حسبما تسبح في مجرى الشمس الضيق او تكون في الظل لأمرأة



القطة .. لا تفارقها حتى أثناء الكتابة

شابة عارية وبيدها مشط وفي فمها سيكارة وتدمدم باغنية !! ويفكر في نفسه . هذه وقاحة ! عارية تماما ؟ اين تظن انها موجودة ؟ ،

لاحظ ساقيها اللتين يعرفهما من مدة طويلة ولكنه تعجب من بطنها التي جعلتها الصرة الواقعة الى تحت تبدو اقصر . شبابها الغض غطى على عضلية اردافها والثديان رقيقان منتصبان فوق اضلاع بارزة . اذا لقد فقدت من وزنها !! .

الظهر العريض مثل الصدر يصدم الن !! لها ظهر مثل ظهر عامة الناس وفعلا كانت (كاميل) تتكيء على مرفق ذراعيها فوق الشباك مما جعل ظهرها يتقوس ويرفع اكتافها ، لها ظهر مثل ظهر ربات البيوت !! ولكنها تنتصب فجأة وتتقدم بحركة راقصة على ساقين جميلتين وتقوم بحركة وكأنها تعانق الفراغ .

ـ لاهذا غير صحيح انها جميلة فعلا ولكن ! ولكن اية جرأة هذه ؟ اتعتقد بأني ميت ام انها تعتقد بانه من الطبيعي ان تسير عارية تماما !! ولكن ذلك سيتغير ....

كان (الن) يحتفظ احيانا بملابسه الصيفية من دون قميص تحتاني ولكن (كاميل) كانت تمديدا متلهفة وتنزع سترته ورباط عنقه وتفتح ازرار ياقته وتلف اكمام قميصه وتكشف عن صدره وتفتش عن الجلد العاري . كان يظهر لها عدم رضاه بما تفعله ومع ذلك كان يتركها تفعل ما تشاء !

عندئذ كانت تضحك ببؤس وتكبت رغباتها ، وعند ذلك كـــان يخفض عينيه ليخفي وجلا لم يكن كله رغبة شهوانية .

ـ اية رغبة عارمة ارى على هذا الوجه .... ان فمها متوتر . امــراة شابة ... بهذا الشباب ... من الذي علمها ان تفوقني هكذا ؟ مــع ذلك فان عدم التوافق هذا الذي توطد مثل فصل جديد مع مفاجآته وفي بعض الاحيان مع متعته ، لايخلق الا جوا لمغزى القصــة ! ان الدرامـــا سوف تتفتح بمستوى اخـر .

لغاية الان صورت لنا السيدة (كوليت) الحيوانات ، لقد بعثت فيهم الحياة باسلوب باهر وفي هذه القصة ترفعهم الى مستوى الرمز التـــي تستطيع هي فقط ان تحل رموزه بالنسبة الى (الن) فان قطته هـــي خيال ســام .

قبل ان اختارك يا « ساها » لم اكن اعرف أبدا بانه بالامكان الاختيار اما بالنسبة للبقية ... ان زواجي يرضي كل الناس ويرضي (كاميل) وهناك اوقات يرضيني ايضــا ... « ..... يفتح الباب الزجاجـــي المتواجد في احدى نهايات الجدران الاكثر طولا والتـــي يسميها وتـــر المثلـــث .

ـ ومن ثم اقضي بعض الدقائق مع والدتـــي .

ـ لاباس ... الا تريد ان ارافقــك ؟؟ .

وتنبين بانه قد تكدر ولاول مرة ، في ذلك اليوم يحمر وجههـا ٠

ـ سوف ارى اذا كانت الاعمال ٠٠٠٠٠ »

ـ نعم الاعمال ٠٠٠٠ هذا مايشغل بالـك ! الاعمال اعترف

وتضم ذراعيهـا مثـل ممثلة تراجيدية ٠ « اعترف بانك ذاهب للالتقاء

بالتي هي منافسة لـي » ٠

ـ (ساها) ليست منافسة لك « اجاب (الن) بكل بساطة ثم واصل

كلامه قائلا « كيف تكون منافستك لايمكن ان يكون لك منافس الا فيما

هو فاسـق » ٠

ـ حتى امرأة تواصل (كاميل) كلامها بعصبية قائلـة ٠ حتـى امرأة

اخرى لن تحبها بدون شك مثلما تحب هذه القطـة !! ٠

ـ واجاب الن قائلا « هذه هي الحقيقة » ٠

ـ لست مثل الاناس الاخرين الذين يحبون الحيوانات ٠٠٠ (باتريك)

يحب الحيوانات ٠٠٠ يقبض على رقاب الكلاب الضخمة ويتمرغ معهـا

ويقلد القطط ليرى انفعالها ويصفر للعصافـير ٠٠٠ »

ـ على كل حال هذا غير صعب يقاطعهـا (الـن)

ـ اما انت فانك من نوع اخر ، انك تحب (ساها) »

ـ لم اخفي ذلك عنك ابدا ! ولكن لم اكذب عليك عندما قلت لك بـان

قطع كلامه واخفض كتفيه ليخفي سره تحت جفنيه والـــذى كان ســر طهارته ٠

ـ هنالك منافس ومنافس قالت (كاميل) بتهكم

(ساها) ليست منافسة لــك ٠٠٠٠٠ »

وفجأة احمرت وجنتيها وسرى في جسمها لهيب سـكر مفاجيء وتوجهت نحو (الين) وصرخت لقد رأيتكما لقد رأيتكما في الصباح عندما كنت تقضي الليلة على اريكتك الصغيرة ٠٠٠٠ لقـد رأيتكما قبل ان ينبلج الصـــباح ٠٠٠٠

لقد رأيتكما ٠٠ انتما الاثنين ٠٠٠٠٠ » ومدت يدا مرتجفة نحو الشرفة :

« كنتما جالسين ٠٠٠ انتما الاثنان ٠٠٠ حتى انكما لم تشعرا بوجودى كنتما هكذا ٠٠٠٠ خدا على خــد ٠٠٠ »

كانت (كاميل) تشعر بوجود منافس حقيقي تكرهه ٠٠٠

كانت القطة تركز انظارها على ظهر (كاميل) وكانت انفاسها تتسارع ثم قامت ودارت حول نفسها مرتين وثلاث وهي تنظر الى باب الغرفــة المغلقة ٠٠٠ لم تتحرك كاميل ٠ اما ساها فقد انتفخت مناخير انفهـــا وظهر عليها خوف يقرب من القرف ٠ اصدرت مواء طويلا كجواب بائس على تصميم قريب وصامت وادارت كاميل وجههــا ٠

جمعت (ساها) قواها وكانت تفضل الموت على اطلاق صرخة اخرى ،
(كاميل) كانت تراقب القطة دون ان تراها بصمت تام . ولم يقفز
(ساها) فوق السياج الا عندما وصلت اقدام (كاميل) اليها ،
ولم تصل اقدامها الى ارضية الشرفة الا لكي تتلاقى الايدي الممدودة
اليها والتي كانت سترميها من علو تسعة طوابق ...

كانت تقفز برشاقة وحذر وعيناها لا تفارقان غريمتها . ولكنها
لم تتنازل ان ترمق عينا غريمتها ولو بنظرة واحدة . أخيرا تخلصت
(كاميل) من منافستها ! توقعت كل شيء من (الن) عند عودته
ولكنها لم تتوقع بان يقوم (الن) بجميع حاجياته بعد ان علم بان
(ساها) قد هربت ليتركها الى الابد .

قصة حياة كوليت

بقلم كوليت

صدر بموافقة
وزارة الثقافة والاعلام هيئة رقابة المطبوعات العامة
بكتابها المرقم ١٣٢٤ والمؤرخ في ١٩٨٤/١٠/٢٧

ـ بغداد ـ الباب الشرقي عمارة ورثة حمدي الباجه جي
الطابق الثالث .. هاتف ٨٨٨٧٨١٤ ص. ب: ٥٧٤٣ بغداد

الناشر
مكتب
عنبر
الترجمة



١ ـ يقوم بالترجمة العالمية من مختلف لغات العالم الى لغتنا العربية الع
وبالعكس

٢ ـ باكورة اعماله اصدار كتاب « كويت » بقلم كويت وعلى نفقة
الخاصة

٣ ـ يهتم بالنواحي الفكرية التي تخدم الادب العراقي في كافة مياد
الحياة الزاهرة

٤ ـ حقوق الطبع محفوظة للناشر

العراق / بغداد / الباب الشرقي .. عمارة الباججي هاتف ٨٨٨٧٨١٤
السجل التجاري رقم ٦٧٥٥ في ١٩ / ٨ / ١٩٨٢ ص . ب ٥٧٤٣ بغداد

رقم الأيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٨٢٣ لسنة ١٩٨٥

سعر النسخة (٥) خمسة دنانير

كافة الصكوك والحوالات تعنون باسم
مكتب عنبر للترجمة: لصاحبه عباس صالح عنبر